

البناء الاجتماعي والثقافة الحسينية

غالب الناصر

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

الكتاب:..... البناء الاجتماعي والثقافة الحسينية
المؤلف:..... غالب الناصر
الطبعة:..... الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م
عدد النسخ المطبوعة:..... ١٠٠٠ نسخة
المطبعة:..... الأمير للطباعة - النجف الأشرف

التصميم والإخراج الفني

محمد الخزرجي ٠٧٨٠٠١٨٠٤٥٠

العراق - النجف الأشرف

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٧٤٣) لسنة ٢٠١٤م

مكتبة

يوسف الرميض

لنشر وترويج الكتب

بكافة مجالاتها

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ
رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩)
وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)

صدق الله العلي العظيم

الفجر

الإهداء

إلى مولانا صاحب البشري، المحمود
عند أهل الارض و أهل السماء، جدّ
الحسن والحسين، صلى الله عليه و
آله وسلم، أهدي هذا الجهد المتواضع.

الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه وأفضل سفرائه
محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أولاً : مقدمة البحث :

يأتي اعداد هذه الاطروحة في إطار سلسلة من الاعمال البحثية الجادة والدراسات المتواصلة في حيثيات مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام وحقيقته الثقافية والحضارية، وطرح مشكلاته : الفكرية والثقافية والاجتماعية، وكذلك تفاعلات هذا المجتمع الديني والحضاري مع ما يحيط به من حواضن اجتماعية مختلفة الاتجاهات والرؤى في الفهم، وكذلك تناول مشكلات جموع الزائرين الى كربلاء في الزيارة الاربعينية والتحديات التي تواجههم .

نحاول في هذا البحث صياغة نص أو بناء سردية سوسيولوجية أو خطاب علمي خاص بمجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام وبيان نموذجته الثقافي، يستلهم صدقيته العلمية من تلمس واقع الموضوع المبحوث أولاً وهو الأنموذج الثقافي للمجتمع الحسيني، وهو موضوع شديد الصلة بالنواة الصلبة لنظرية المعرفة الاسلامية في مجال بناء الرؤية الكونية، ومن الأسس المنهجية والمنطقية للتجارب التاريخية المتحققة في هذا التخصص العلمي عند علماء الاجتماع المرموقين في

دراستهم للحواضن الاجتماعية المختلفة ومصادر تشكل الأنموذج الثقافي فيها، فهي صدقية جامعة بين معطيات نظرية المعرفة الاسلامية ونظرية المعرفة الحديثة والمعاصرة في الدخول الى فضاء المجتمع الحسيني ودراسته ثقافياً.

خطاب يتناول بنية مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام وعناصر نموذجهما الثقافي بالتحليل لمكوناته الاساسية، يدرس المنابع التاريخية والدوافع والاتجاهات المحركة لهذه الجموع الهائلة باتجاه زيارة كربلاء، كيف يقرأ هؤلاء الحدث الحسيني، بقراءات تتناسب مع إمكانية كل واحد منهم في الفهم، ويوضح الافكار والمبادئ والثقافة، التي يمكن أن يتمثلها هؤلاء الافراد في مسيرهم ويحاكونها، كما يشرح أو يوضح الابعاد الأخلاقية التي يكرسها الفعل الثقافي للمسير الحسيني في ذاكرة الاجيال، مثلما يقف على الانشطة والممارسات الثقافية والسلوكية التي تتجلى على امتداد هذا الطريق ولاسيما الخدمات الهائلة التي تقدم بسخاء من قبل العاملين في خدمة الزائرين على امتداد الطريق الطويل وبكل كرم وعطف.

يستشرف هذا الخطاب مستقبل هذا المجتمع الكبير وجدليته المستقبلية مع محيطه الاجتماعي على صعيد العراق والعالم الاسلامي، وما يمكن أن يؤثر به على مستقبل الثقافة في العالم والفكر، بمعنى الأثر الذي سيتركه في تفاعلاته مع المجتمع الكبير من حوله، وكيف يمكن أن تتفرع عنه مجاميع بؤرية تعمل على استنساخ هذا المسير في كل بقاع العالم .

ومن أجل كل هذا البيان يستفيد هذا الخطاب في بنائه المنهجي من كل المدارس والأفكار السابقة في المضمارين الاجتماعي والثقافي، يستفيد من بعض

ايجابيات المدرسة الوضعية وطريقتها العلمية في بحث الموضوع، والوقوف على استيفاء الشروط الموضوعية لوضع الفروض العلمية، مثلما يستفيد من المنهج الجدلي، التفاعلي بين الثقافات، في صياغة دوائر التأثير والتأثير المتبادل بين مجتمع طريق الامام وما حوله من الدوائر والحواضن الاجتماعية وثقافتها.

كما ويستفيد من المدرسة الوظيفية الاجتماعية وما تقدمه من انجازات في سبيل تفسير البعد الوظيفي للظواهر والسلوكيات والادوار الاجتماعية، وكذلك أثرها الوظيفي على الصراعات والتجاذبات . مثلما تستفيد هذه السردية أو الخطاب من المدرسة الانتشارية في المجال الثقافي .

ومن المعروف قلة الأدبيات السابقة في مجال دراسة مجتمع طريق الامام والبحوث العلمية، ومن هنا يحاول الباحث الامام بالنسق الاجتماعي السائر الى كربلاء من جوانبه المختلفة، باعتباره يشكل جزءاً حيوياً من المجتمع العراقي، فهو كما يفترض الباحث جزء وظيفي من المجتمع، وليس ظاهرة عابرة، وبذلك يطرح إشكالات ومشكلات اساسية^١، قد تخرج عن الامكانيات التقليدية والمعالجات في بنية علم الاجتماع الحديث والمعاصر، ولا بد من التنقيح المنهجي أو معالجة الادوات الباحثة والطرق التي يمكن أن تستوضح اسرار هذا الاجتماع كمقدمة لدراسة هذا

^١ - المقصود بالمشكلات في هذه الدراسة هي : الازمات في المجالات العلمية أو المادية والتي يمكن أن توجد لها حلول كاملة، وإن كانت صعبة أو مكلفة، واما المقصود بالإشكاليات فهي : قضايا فكرية أو معنوية أو مادية لا يمكن أن تحل بشكل كامل ونهائي أو جنري، ويبقى جزء من المشكلة غير قابل للحل، كالمسائل الطائفية والحروب، ومشكلات العلاقات بين القوميات والدول المتجاورة والمتعاكسة في المصالح .

المجتمع الكبير ونموذجه الثقافي، ومن أهم هذه الاشكاليات والمحاور الاساسية في البحث هي :

أولاً : لابد من الوقوف عند إشكالية الاهداف التي يتوخى البحث الوصول اليها وأنماط الجدوى المتصورة للأنموذج الثقافي، من خلال خوض غمار البحث في هذا الميدان الاجتماعي الذي يضم ملايين الزائرين، بمعنى لماذا البحث في مجتمع طريق الامام عليه السلام؟، فمع عدم تحديد الاهداف والجدوى التي يمكن أن يخلص اليها العمل البحثي، يضل الباحث الاتجاه السليم في الدراسة، وتختل لديه بوصلة البحث بفقدان بوصلة الجدوى.

ثانياً : لابد من الوقوف عند إشكالية التعددية في المعارف الاجتماعية التي يمكن أن يدرس في ضوءها مجتمع طريق الامام عليه السلام، وهي تنطوي على تعقيد شديد، إذ يمكن التطرق الى ابعاد هذا المجتمع في ضوء مجموعة من الحقول المعرفية، هي:

١- المعارف المذهبية أو الفلسفية، والمقصود بذلك هو وجود البعد العقائدي الاسلامي الامامي في تكوين هذا المجتمع وتصوراته الفكرية التي تشكل الاساس لجوانبه الاخلاقية وممارساته العملية، فهو ليس بالمجتمع الرأسمالي وتصوراته عن التراكم وتقسيم العمل واسلوبه الليبرالي الحر في الحياة، وكذلك ليس بالاشتراكي الموجه على الطريقة الشيوعية في ادارة التراكم المالي للمجتمع وبالتالي بناء المجتمع الانساني، مجتمع ذو رؤية كونية قائمة على اساس الفهم الحسيني .

٢- المعارف النظرية العلمية في دراسة المجتمعات وملاحظة الظواهر الاجتماعية واعداد النماذج الثقافية . وتحديد الجوانب الوظيفية أو الصراعية من المجتمع، وبذلك يمكن مقارنة الحاصلات الفكرية للنتائج البحثية المتعددة لهذا المجتمع الفريد وأنموذجه الثقافي في مظاهر أفراد الانفعالية والعاطفية والكشوفات والتقويمات في ضوء نظريات علم الاجتماع الحديث والمعاصر السائدة في الاوساط العلمية الدولية، والاستفادة من ترابطات النظرية الاجتماعية بالمعارف الاجتماعية والانسانيات أو ما يعرف بالعلاقة بالعلوم الاخرى .

٣- معارف السياسات الاجتماعية التطبيقية أو ما يعرف بالبعد الحضاري، ولاسيما أنه مجتمع يقوم على اساس خدمة الدين ولاسيما القضية الحسينية وأهدافها في جميع ممارساته، وترسيم الرؤى والتوقعات أو الآفاق المستقبلية وما يتصل بها من تحديد الاستراتيجيات وحساب عناصر القوة والضعف، وتحديد مجالات الفرص وتأشير مصادر التحديات وانماطها، ومقارنة ذلك بالدراسات في مجال الحركات الاسلامية وادوارها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك.

ثالثاً: ولأن الدراسة شديدة التعقيد بهذا الشكل فلا بد أخيراً من الوقوف عند إشكالية الطرائق العلمية في بحث مجتمع طريق الامام ﷺ وتعقيد المناهج، وتمحيص الصلة بين طرائق البحث الاجتماعي والنفسي، والاساليب الكمية والنوعية التي يجب اعتمادها في دراسة المجتمع الحسيني ودوافع أفراد النفسية، التي تمكن من تحقيق القراءة الواعية والعلمية في هذا المجتمع والقادرة على سبر أغواره البنيوية ومكوناته العضوية، ورصد حركته وملامح تطوره المستقبلية.

بمعنى أن البحث في مجتمع طريق الامام ﷺ وترسيم الأنموذج الثقافي، في ضوء الاقسام المعرفية المذكورة، والحقول، أن يلتزم قواعد البحث والشروط المطلوبة في الدراسات الفلسفية والبحوث العلمية، والوضوح المنهجي عند رسم السياسات و الرؤى الاستراتيجية عند معالجة المقاربات التطبيقية والسياسات العملية .

لقد جاء تأليف هذا النص في السيسولوجيا الحسينية في ضوء المناقشات الموسعة داخل الحلقة البحثية التي تأسست من قبل مركز كربلاء للبحوث والدراسات وبمعاونة تجمع مؤسسات الرضوان، وتمثل هذه الحلقة العلمية رهاناً جدياً على طريق فتح باب البحوث واستكمال نصاب الدراسات في هذا المجال الحيوي،

ثانياً : موضوع البحث : (الأنموذج الثقافي لمجتمع طريق الإمام

الحسين ﷺ):

موضوع البحث في مجمل هذه الدراسة هو : محاولة بناء الأنموذج الثقافي وتحديد عناصره في المجتمع الدائم الذي تشكل عند العتبات المقدسة وفي المدن أو الطرق المؤدية اليها، من جموع الزائرين الذين يتوافدون على مرقد سيد الشهداء عليه السلام، ومن هنا نحاول في هذا البحث تقديم معالجة أولية لهذا الموضوع الحيوي، ووضع تصور منهجي خاص للكتابة في علم الاجتماع الاسلامي، وذلك كمقدمة من أجل البحث في جزء مهم من هذا المجتمع وهو الاجتماع الانساني للزوار الذين يرتادون العتبات المقدسة لمراقدة الائمة من أهل بيت النبي الأكرم ﷺ، وهذه حاضرة اجتماعية جديرة بالدراسة والبحث.

فمجتمع الزوار، مجتمع طريق الامام، يصلح في فرضية بحثنا، كموضوع للتأمل في امكانية تشخيص الشكل الاولي لمجتمع اسلامي قائم على أسس إسلامية ومن ثم ضبط أنموذج الثقافي، تتراجع فيه أولويات كثيرة، مثل أولوية وظائف الأسواق أو الوظائف السلطوية أو دور الحكومات، وهو بهذا المعنى يصلح كأنموذج ارشادي تطبيقي، ومثل أعلى ممكن، للمجتمع المسلم المنضبط أخلاقياً، والمنظم ذاتياً، ولاسيما مع غياب هكذا أنموذج في مجتمعاتنا التقليدية السائدة .

ولا يخفى أن مجتمع طريق الامام هو مجتمع مدني جامع، يتألف من أطراف عديدة ترتبط في هذا الطريق بشكل من العلاقات يختلف عما هو سائد من علاقات العمل القائمة على النفعية وتقسيم العمل الروتيني، كما لا يعبر عن أشكال من القرابة السائدة في المجتمع الريفي والاهلي العشائري، وفي طريق الحسين تتعاون المجموعات البؤرية في انسجام تام من أجل خدمة الزائرين وتقدم نمطاً من العلاقات لا يماثل العلاقات التقليدية في المجتمع السائد في الحياة العادية .

وللدخول في موضوع هذا البحث أو ترسيم الأنموذج الثقافي الكاشف عن الواقع الحسيني، بشكل صحيح لا بد من تمهيد الاطار المنهجي المتبع في الدراسة، وكذلك عرض اللغة والمصطلحات المستخدمة في صياغة معلومات هذه الدراسة الاجتماعية ذات الابعاد الثورية والروحية والثقافية والحضارية ولا بد ايضاً من الوقوف على الاطار النظري والذي يشكل حاضنة لفرضيات البحث الاساسية في مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام .

والواقع أن الموضوع في سعته لا يقف عند دراسة زوار الامام الحسين عليه السلام بل يشتمل على البحث في ذلك النمط العضوي من التجمعات الانسانية التي تدين بالولاء للعترة الطاهرة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وتعتمد الأنموذج الثقافي الحسيني، في كل انحاء العالم وتؤدي مراسيم الشعائر الحسينية في أوقات معروفة من العام الهجري.

مجتمع الزيارة والحشود السائرة على ذات الاسلوب المتبع في العراق، بات يتواجد في الكثير من مناطق العالم غير الاسلامية، كما في كندا، وفي امريكا، والهند، والسويد، وبريطانيا، فضلاً عن المسيرات التي ازدهرت في لبنان وسوريا وايران والباكستان وتركيا، فهل يؤسس هذا المشهد الواسع الانتشار في العالم لثقافة اسلامية جديدة قائمة على رفض العنف والدعوة الى السلام العالمي ؟.

ثالثاً : أهمية البحث :

تأتي أهمية البحث من أهمية موضوعه، والهدف وهو ترسيم عناصر الأنموذج الثقافي للمجتمع الحسيني، وما يترتب على هذا الاعداد من عطاءات ستتضح من خلال الاوراق القادمة بأذن الله تعالى .

فمجتمع طريق الامام عليه السلام ارتبط بواحدة من أهم القضايا الاسلامية، قديماً وحديثاً، وهي القضية الحسينية التي تجسّد فيها الهمّ الاسلامي على صعيد الثورة بوجه الظالمين، وتصوراتهم الخاطئة عن الاسلام، وممارساتهم الخبيثة والاجرامية التي يراد تمريرها باسم الاسلام، وكذلك جسدت القضية الحسينية عملية تثبيت التصورات الصحيحة والمنهج السليم في الفهم للأمور عند الامام المعصوم عن الوجهة الحضارية التي ينبغي أن تسير عليها حياة الامة الاسلامية في كل شؤونها الروحية

والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من معالم الحياة المتنوعة التي أقرها القرآن الكريم وسنها النبي الكريم، وأهل البيت عليه السلام، هم أعرف الناس بها.

ومن هنا يتضح أهمية البحث في هذا المجتمع الذي يشكل المثل الأعلى في الحياة الإسلامية واليه تتطلع كل التجارب الاجتماعية الشريفة في عالمنا المعاصر، فالمجتمع العراقي خاصة والمجتمع الاسلامي عامة يحاولان امتصاص أكبر قدر ممكن من قيم المجتمع الحسيني : الثورية والنهضوية والروحانية الخالدة، فهو بمثابة البنك الممول للمجتمع التقليدي بهذه القيم والمبادئ والرؤية المستقبلية، من أجل خلق تنمية مستدامة ونهضة شاملة لا تقبل الدورات التاريخية ولا تستسلم لحالات الركود والاستكانة للظلم أو الجباية من أعداء المنهج الاسلامي لأهل البيت عليه السلام.

كما يتصدى البحث لإجابة عن التساؤلات التي ترى في مجتمع طريق الامام مصدراً للهدر المالي الاقتصادي وتعطيلاً للعمل اليومي وإضرار بالحياة الاقتصادية للمجتمع العراقي واستهلاكاً غير مبرر للإمكانات .

رابعاً : فرضية البحث :

يفترض هذا البحث امكانية اعداد أنموذج ثقافي اسلامي من خلال اعتماد النظر في الثقافة الحسينية ودراستها، ومع جود علاقات ترابطية وتأثير متبادل أو تفاعل مستدام بين مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام، والأنموذج الثقافي، يمكن أن ينتقل أثر التفاعل الى المجتمعات الفرعية وكذلك المجتمع الكبير وهو المجتمع الاسلامي، وأن هذا الترابط سيفضي الى إعادة بناء المجتمع المتجذر أو التقليدي في ضوء القيم الإسلامية التي جسدها الامام الحسين عليه السلام .

فالقضية الحسينية ومن ضمنها تلك النخبة النائرة يوم الطف مع الامام الحسين هم المثل الاعلى الذي يحاول الجميع الاقتداء به والوصول الى ذلك المستوى من العطاء الذي بذلته تلك النخبة المقدسة يوم الطف في سبيل نصره الحق والقيم الكبرى للإسلام وهتفت : هيهات منا الذلة .

ومن هنا يقع التفاعل المستدام بين المجتمع الذي يتمثل تلك الممارسات البطولية والتمسك بطريق الحق الذي سار عليه أهل البيت عليه السلام، والمجتمع الاسلامي التقليدي الذي يرى هذه النخب السائرة والجموع الهادرة من محبي الامام في الطريق الى كربلاء وهي تتشد الوصول الى تلك المبادئ والقيم والممارسات البطولية المعبرة عن روح الاسلام والاقتداء بهذا المجتمع النبيل في مسار الحياة اليومية .

خامساً : أهداف البحث :

يستهدف البحث الوقوف على عناصر الأنموذج الثقافي في بناء المجتمع الحسيني وتحليل تكوينه الاجتماعي والانساني المفتوح أو المتحرر من قيود الطبقية وشأنية الوجاهة والمنصب وقيم السوق والمال . مثلما يستهدف الكشف عن تلك القيم المتعالية والنهضوية التي تشكل المحتوى الفكري والثقافي ومكونات : الهوية والذاكرة والرسالة والرؤية العملية للمجتمع الحسيني ونوع الخطاب السائد، وقيم التحرر والخلاص من قيود الايديولوجيات والمصالح الحزبية أو الفتوية أو الأسرية، الضيقة، المفعمة بروح الاقصاء والتهميش والابعاد للأخرين الأغيار .

يستهدف البحث متابعة المسار في التأثير والتفاعل بين المجتمع التقليدي ومجتمع الزوار الذي لا يزال ينمو ويستقطب المزيد من السائرين على هذا الدرب

باتجاه قيم الخلود والنهضة والتحرر، إذ أصبحت هذه القيم رويداً رويداً هي المعايير التي يحتكم اليها في المجتمع التقليدي، ونأمل أن تكون هي ذات المعايير المعتمدة في الانتخاب وتقييم السياسيين والمتصدين لإدارة الشأن العام في بلاد المسلمين .

يبين البحث كيف أضحت المسيرة الحسينية ومجتمع الزيارة ملاذاً آمناً من التطرف في العقل الآلي، أو الأدوات، ويوفر نوعاً من الخلاص عند العامة والطبقة المستضعفة في مواجهة البازار السياسي والحراك الزائف والنفاقي للنخب السياسية ، ورفضاً معلناً لقيم السوق التي تدفقت في الاتجاهات كافة بما في ذلك غزوها لبعض الشكليات الدينية التي تتزامن مع الحياة الروحية .

مليارات الدنانير العراقية تصرف على امتداد طريق الزائرين، فهل لهذه المصروفات الأثر البين في ترسيخ الابعاد الروحية و الأخلاقية وتحقيق الوحدة الوطنية بين أطراف المجتمع العراقي ولا سيما تمتين اللحمة الاجتماعية في الوسط الشيعي ؟ .

المئات من المواكب والعاملون فيها بالآلاف، على خدمة الزوار، وعلى مدار الساعة، طيلة أيام الزيارة التي تربو على الشهر، فهل تسهم هذه الخدمات في ترسيخ التواصل الاجتماعي وأخلاقيات العمل وفن النجاح في اداء المهمات، وتعلم الادارة والتنظيم والتخطيط والتوقع ؟ .

تضع الجهات الأمنية الخطط والبرامج المتكاملة لحماية الزوار من الارهاب التكفيري الاحمق، فهل لهذا الحضور الامني لقوى الجيش والشرطة أثرٌ في

تكريس العلاقة الطيبة بين رجل الامن والمواطن العادي في العراق وإدامة لهذه الصلة الوظيفية ؟.

تنقل الطائرات الآلاف من الزوار المسلمين القادمين للعراق من دول الجوار الاسلامي ومن بلدان العالم كافة، فهل لهذه الجموع القادمة من مختلف الحضارات العالمية والمتعايشة مع مختلف الثقافات أثرٌ في اعادة صياغة العلاقة بين الشعوب ؟ .

تشارك النساء بكثافة في الحضور في الزيارة الاربعينية، لمواساة العقيلة زينب عليها السلام، ويشكلن جزءاً اساسياً من مجتمع طريق الامام، فهل يؤسس ذلك لثقافة نسوية روحانية، تتخطى الروح المادية والنفعية باتجاه المساهمة في قضايا المجتمع الثورية والنهضوية عند المرأة المعاصرة، واستدامة الشعور بالانتماء لطريق المؤمنات الصابرات في مواجهة التحديات كما تمثل ذلك مولاتنا بنت امير المؤمنين (عليهما السلام).

كما تحضر الرجال والنساء تحضر الاطفال مع الأسر الزاحفة صوب كربلاء، فهل يشكل ذلك بداية عند هؤلاء الصبية والاطفال لبناء ذاكرة حسينية لا يمسخها تقادم الازمان ولا يطالها تعقد الظروف والاحوال وفوضى السياسات وتداخل المصالح عند الكبار بالحذف أو بالتشويش على مرور الايام ؟.

على امتداد الطريق الى كربلاء يجري الكلام على امتداد الايام والحوار والتواصل بين مختلف الاطياف الاجتماعية والفئات من الاعمار واللهجات واللغات، وتقوم المحاضرات والندوات وتحصل اللقاءات مع الاعلام بكل انواعه وتتحدث النخب والشخصيات، وتوزع الملايين من المنشورات والدوريات والكراريس الثقافية، التي

تطال مختلف موضوعات : التراث والواقع والحداثة، وما بعد الحداثة، ومشكلات العالم الاسلامي كافة، فهل يكون لكل هذا الحراك التواصلي والتبادل الحوارى والفكرى والثقافى من آثار على الوعى عند الافراد الحاضرين للزيارة، ينتقل من خلال أثر التحويل والانتقال القهرى الى كل أرجاء المجتمع بأشكال مختلفة منها المنظورة ومنها غير المنظورة ؟

نحاول فى هذا البحث كأهداف اساسية، الاجابة عن هذه التساؤلات وغيرها من الاستفهامات التى يطرحها هذا الحضور المليونى والآخذ بالتزايد فى كل عام بنسب عالية مقارنة بالنمو المألوف للكيانات الاجتماعية والحواضن الثقافية والمعرفية، وتوسع المؤسسات أو الاحزاب.

سادساً : خطة البحث :

خطة البحث عن الأنموذج الثقافى تبدأ بالمنهج، وبيان الإمكانيات المعرفية المطلوبة للتعرف على الموارد والمنابع والجذور التى كانت وراء تشكل المجتمع الحسينى والأنموذج الثقافى، وطريقة تفاعل هذه المصادر والموارد عبر التاريخ . ثم كيف افضت الى تشكيل هذه العناصر وطريقة البناء والتفاعل فيها .

من هنا ضمن البحث قسمين، فى الاول تم عرض المفاهيم التى لابد من تحديدها فى الدراسات الاجتماعية والتعريف بها لحداتها مثل : المؤسسة الاجتماعية، ومفهوم الجدلية، ومفهوم النسق الاجتماعى، والرؤية الكونية وصلتها بالثقافة الاجتماعية والأنموذج الثقافى، وكذلك عرض هذا القسم المنهج المتبع فى هذه الدراسة والمداخل العلمية للبحث الاجتماعى والثقافى فى مجتمع طريق الامام، وخلص

أخيراً لاعتماد المنهج الجدلي، التفاعلي من أجل رصد حركية هذا المجتمع المثالي ،
والواقعي معاً .

وتطرق القسم الثاني الى : دراسة مجتمع طريق الامام من حيث : الجذور
المؤسسة لأنموذج الحسين الثقافي، ومن ثم الخلوص الى البنية أو التكوين والاجزاء،
والتطرق الى دور الرواد المؤسسين لهذا المسار الاجتماعي والحضاري، وكذلك
المحتوى الفكري والثقافي وذاكرة هذا المجتمع وهويته التاريخية، ودرجة تمثله
لفكر الحسيني، كمثل أعلى . واهم ما في هذا الفصل هو دراسة النماذج المفسرة
لنمو مجتمع طريق الامام ﷺ ، والوقوف على عديد الدوافع والآمال المحركة لهذه
الجموع الزاحفة والتي تؤدي الى تكاثر اعدادها باستمرار .

وقد تصدى القسم الثاني ايضا الى بيان آليات التغيير التي يمارس من خلالها
مجتمع طريق الامام تأثره على المجتمع الاسلامي العام، ودور الاعلام في هذا المجال
من خلال جهود الفضائيات الحسينية ومنها قناة كربلاء المميزة في عرض الثقافة
الحسينية، كما يعرض البحث لمجالات التغيير المفترضة التي تتطور من خلال
التفاعل مع الزيارة الأربعينية وغيرها من أنشطة مجتمع طريق الامام ﷺ الدينية
والاجتماعية والاقتصادية والامنية وفعالياته الإدارية والخدمية التي تتكامل بفعل
النشاط المستدام للمجتمع الحسيني.

سابعاً : منهج البحث :

اعتمد البحث كما ذكرنا النظرية الجدلية في الاتجاه العام من أجل فهم
التأثير المتبادل بين المثل الاعلى الواقعي أو الرؤية الكونية، والمجتمع العادي او

الطبيعي في تكوين الأنموذج الثقافي، وقد جرى تطوير كبير للنظرية الفاهمة التي من خلالها حاولنا الوقوف على التأثير المستدام لمجتمع طريق الامام على المجتمع التقليدي العام، وهي النظرية الجدلية إذ تم ترميمها من الداخل لتستوعب النظرية المعرفية في الفكر الاسلامي المعاصر، وتعشيقها بالفكر الاجتماعي الوظيفي والنظريات الحديثة والمعاصرة : بناء الادوار والممارسة الاجتماعية والانتشار الثقافي، لكي تشكل معبراً صالحاً لفهم معطيات المجتمع الحسيني وآليات اشتغاله في التأثير على العالم الاسلامي واعادة بناء قيمه، بعيداً عن وهم الاستبداد والحد والكراهية التي أصل لها الظالمون والحاقدون والحمقى والضالون من اعداء الطريق الحسيني .

ثامناً: مصادر البحث : كان لابد للبحث من الخاصة والعامة في بحث هذا

الموضوع الاسلامي الخاص والانفتاح على الانجازات العلمية كدراسات سابقة، وقد كتب الكثير من الكتب التي حاولت الجمع بين معطيات الفكر الاجتماعي المعاصر ومناهجه والفكر الاسلامي من أجل بناء منهج جامع وعابر للحواضن الاجتماعية المختلفة في الثقافات والرؤى الدينية والحضارية، مثل كتاب نحو علم اجتماع عربي للدكتور معن خليل عمر^١، وكتاب منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، لمحمد محمد أمزيان، الصادر عن المعهد العالمي للفكر الاسلامي ٢٠٠٨م، وكتاب : اجتماعيات الدين والتدين، للشيخ حسين أحمد شحادة، الصادر عن مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ٢٠١٠م، وغيرهما من المصادر والمراجع، بمعنى عدم الاعتماد الكلي على المناهج المستوردة من الغرب والتعويل

^١ - د . معن خليل عمر، نحو علم اجتماع عربي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٤ م .

عليها فقط كطريق لفهم الحقائق في المجتمع الاسلامي، فمجتمع طريق الامام الحسين، مجتمع عرفاني في الدرجة الاولى^١، يؤمن بالغيب، ويؤمن بحياة الامام الشهيد المعصوم، ويتعامل مع المعصوم الشهيد على أساس من الوجود الحيوي القائم على الأخذ والرد المباشر وغير المباشر، وهذا يستلزم أن نجعل من مصادرنا المعرفية أوسع نطاقاً مما هو متعارف، ويكسب موضوع البحث الاجتماعي ابعاداً غير مسبوقة في بحث السيسولوجيا التقليدية، حيث تكون العلاقة الاجتماعية بين عالمين غير متساويين هما : عالم الغيب وعالم الشهادة، والحضور المتبادل بينهما .

اعتمد البحث عديد المصادر في بناء هذا الخطاب الاجتماعي والثقافي والحضاري، وكان في مقدمة المصادر بعد يوميات الثورة الحسينية ووقائعها في المقاتل المتعارفة، هو نفس واقع المجتمع الحسيني وتصريحات افراده وجموعه الزاحفة نحو قبلة الاحرار في كربلاء المقدسة، ومن الدراسات : الألم الخلاصي في الاسلام للدكتور محمود أيوب، والملحمة الحسينية للشهيد مرتضى مطهري ، والدراسات التي تناولت الشعائر الحسينية بالبحث والتحليل، كدراسة تراجيديا كربلاء لإبراهيم الحيدري،

١ - العرفان هو : درجة أو حالة معرفية تشير الى مكانة اجتماعية وعلاقة غير منظورة بين العارف المؤمن والعالم العلوي الذي يتلقى منه المعارف، وهنا لا يتنافى مع ما موجود من المصادر المعرفية الأخرى، والعارف يمكن أن يكون عالماً تقنياً وأديباً وفيلسوفاً وباحثاً اجتماعياً واقتصادياً في آن واحد، وهنا ينفي ما ذكره أوغست كونت من تحديد لمراحل المعرفة وعدم تداخلها، إذ شهد العالم وجود مجالات : الفلسفة والدين والعلم، وهي مجالات معرفية متعايشة ومترابطة في جميع مراحل التطور الانساني فلا صحة للتحقيب الكونتي أبداً.

كما اعتمد البحث دراسات سابقة عن المجتمع الاسلامي كدراسات : السيد الطباطبائي (قد) في تفسيره : الميزان، والدكتور محمود البستاني رحمه الله في الاسلام وعلم الاجتماع، والشيخ محمد مهدي شمس الدين في الاجتماع السياسي الاسلامي وغيرهم الكثير.

اما الدراسات الثقافية فهي جزء حيوي في بناء هذا الكتاب، وكذلك دراسات المجتمع العراقي وثقافته، كدراسات الدكتور علي الوردي، كما اعتمدت الدراسة كتب علم الاجتماع ونظرياته التقليدية والمعاصرة، والبحوث المهمة بالتغير الاجتماعي على طريقة النمو التلقائي، أو بالتغيير الاجتماعي والاصلاح الجذري المقارب للتنمية المخططة أو المستدامة في علم الاقتصاد ، وكذلك من مصادر البحث الكتب التي تعنى بالنظرية الثقافية والهويات والذاكرة المستدامة للمجتمعات، وعلم الحضارة وتحولاتها، و كتب فلسفة التاريخ .

ولابد في هذه المقدمة العامة من توجيه الشكر والتقدير لكل الأخوة الذين ساهموا في المناقشات التي أثرت هذا البحث وأوصلته الى ما وصل اليه من الأفكار والرؤى بشأن مجتمع طريق الامام، وفي المقدمة منهم الأخوة الباحثين في مركز كربلاء الدراسات والبحوث، التابع للعتبة الحسينية المقدسة، وكذلك الأخوة في تجمع مؤسسات الرضوان الثقافي، الذين قدموا الكثير في مجال توفير المناخ الملائم لعقد الجلسات العلمية وتشكيل الورش البحثية من اغناء هذا الموضوع .

كما لابد من توجيه الشكر العميق للسادة الباحثين في هذا الموضوع الشريف، ولاسيما: سماحة الشيخ محمد السند، وسماحة الشيخ مازن الكربلائي،

والاستاذ الدكتور المساعد في الاقتصاد عباس الدعيمي، والاستاذ الدكتور المختص في السيكلوجيا عبد الحسين المرزوقي، والاستاذ الدكتور الأخلاقي حيدر اليعقوبي، والدكتور الطبيب سليم الجوهر، وسماحة الشيخ الدكتور حسن كريم الربيعي، وكل الأخوة الباحثين الذين اسهموا في إغناء الحلقات النقاشية والورش البحثية في هذا المجال الحيوي وغير التقليدي .

أسأل المولى تعالى أن يوفق الجميع لاستكمال هذا الجهد العلمي والنشاط البحثي في طرق تقديم الخدمة العلمية والدراسية لهذا المجتمع الذي يشرفنا امام كل العالم انتماؤنا اليه، فهو مجتمع الحسين سيد شباب اهل الجنة بإجماع فرق المسلمين، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

الباب الاول

المفهوم والمنهج والأنموذج.

الفصل الاول : في المفاهيم .

الفصل الثاني : الموضوع والمنهج العلمي :

الفصل الثالث : في الأنموذج .

الفصل الاول : في المفاهيم

توطئة :

يذكر المختصون في مجال النظرية الاجتماعية بعامة، ومجال علم اجتماع الثقافة بوجه خاص، إن تحولاً استراتيجياً أساسياً حصل للنظرية الاجتماعية، بأن : أنتقل البحث من تحليل البناء الاجتماعي إلى دراسة التصورات الثقافية وتمثيلاتنا وذلك بفضل البحوث التي اثبتت الأثر البالغ للثقافة ودورها في تشكيل المجتمع^١، الأمر الذي يترتب عليه، ضرورة، عند البحث في مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام وثقافته : الجمع بين معطيات النظرية الاجتماعية ومعطيات النظرية الثقافية، وفي مقدمتها، الوقوف على المصطلحات المشتركة بين النظريتين والمفاهيم أولاً.

لقد بلغ الخطاب الاجتماعي والثقافي المعاصر مستوى متطوراً ولاسيما في الدراسات المعاصرة التي تصدر في العالم، سواء على مستوى المنهج البحثي وطرح الإشكاليات المذهبية المتبادلة بين المجتمع والثقافة، أم على مستوى المفاهيم المستخدمة أم على مستوى النظريات الفاحصة للمجتمع والبنى الثقافية السائدة، أم على مستوى التطبيقات والمجالات والافعال الاجتماعية والممارسات الثقافية قيد البحث وفي مقدمتها : مجال التغيير الاجتماعي واعادة البناء الثقافي والفكري من أجل النهوض بالحواضن الاجتماعية المختلفة .

^١ - تيم إدواردز، النظرية الثقافية، وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة، ترجمة: أحمد عبد الله،

إصدارات : المركز القومي للترجمة، العدد : ٢٠٠٨، القاهرة، ٢٠١٢م، ط١، ص ٧ .

من هنا يتبين أهمية التناول المزدوج للمجتمع الحسيني وثقافته في ضوء معطيات النظرية الاجتماعية ومعطيات النظرية الثقافية، وكذلك اطالة الوقوف عند المنهج لما له من الأهمية في ترسيم عناصر الأنموذج الثقافي الحسيني، وهي عناصر كثيرة وتغطي طيف واسع من المعارف العقائدية والتاريخية والشرعية والأخلاقية والأدبية، ومن الضروري ايضاً الوقوف عند تحديد المصطلحات، فمع وجود جملة من المصطلحات المشتركة بين المجالين الاجتماعي والثقافي، كان لابد من بيان هذه المصطلحات في اطار البحث في المجتمع الحسيني وثقافته معاً.

فمجال المفهوم والمصطلح في الدراسات الاجتماعية وفي مقدمتها الانثروبولوجيا الثقافية، قد أفضى الى تكريس جملة من المفاهيم والمصطلحات التي ينبغي الوقوف عندها قبل الشروع في البحوث والتطبيقات على مجتمع الامام الحسين عليه السلام والثقافة الحسينية، إذ تعبر هذه المفاهيم عن عمق نظري ورؤية في الدراستين : الاجتماعية والثقافية، وتختزل الكثير من الكلام والتعبيرات عن التكوين الاجتماعي أو الصيرورة الاجتماعية أو الرؤية الثقافية ودورها في مراحل التكوين والصيرورة الاجتماعية.

ومن هذه المفاهيم التي سنحاول التطرق اليها لأهميتها في ما نقدمه من خطاب عن منظومة مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام والثقافة السائدة فيه : مفهوم النسق الاجتماعي أو الثقافي، ومفهوم الجدلية في المجالين الاجتماعي والثقافي، ومفهوم المؤسسة في ابعادها الاجتماعية والثقافية، وكذلك مفهوم الرؤية الكونية من زاوية صلة هذا المفهوم بالبناء الاجتماعي أو التحليل الاجتماعي، وكذلك بالبناء الثقافي أو تشكيل المحتوى الفكري للمجتمع والثقافة.

أولاً: مفهوم النسق : الاجتماعي أو الثقافي.

النسق الاجتماعي Social System:

كانت النظريات الاجتماعية الكلاسيكية تنظر الى الكيان الاجتماعي كفضاء كلي متجانس، بكل ما يتضمنه من صراعات أو توافقات، ومع اقتراب النظرية الاجتماعية من الواقع أكثر اتضح أن المجتمع يتشكل من حواضن اجتماعية جزئية، ومجتمعات محلية فرعية، وبذلك رفض علماء الاجتماع الذين يتبنون منظور : الفعل الاجتماعي ، فكرة تأسيس نظرية في المجتمع على تصور ينظر إلى المجتمع ككيان كلي واحد أو منسجم^١، وبذلك تم التمهيد لظهور فكرة النسق الاجتماعي الذي يضم نمط من الفاعلين الاجتماعيين.

يجري التعبير اليوم عن مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام وتصويره بالنسق الاجتماعي، وليس بالظاهرة الاجتماعية، فما المقصود بمفهوم النسق في علم الاجتماع ؟، وهل يشكل مجتمع طريق كربلاء نسقاً اجتماعياً متكاملأً، من حيث العناصر والمكونات، ومن حيث الروابط والعلاقات، ومن حيث الوظائف والفاعليات، وغير ذلك من الموضوعات الحياتية أو المشكلات المرتبطة بالمجتمع بمعناه العام والسائد؟.

في البدء لابد من التأكيد على أن مجتمع طريق الامام ليس ظاهرة عابرة في الاجتماع الشيعي، تزول بزوال الدواعي التي أوجدتها أو كيان مؤقت ينتفي عند انتفاء

^١ - ميل تشيرتون، وأن براون ، علم الاجتماع : النظرية والمنهج، ترجمة : هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، الاصدار : ٢٠٧٥، القاهرة، ٢٠١٢ م، ط١، ص ٩٣.

الحاجة اليه في المدى المنظور أو البعيد ؟ بل هو مجتمع عضوي وكيان يتسم بالاستدامة البنيوية والوظيفية والنمو المتواصل، وذلك لأسباب دينية وتاريخية وسياسية وحضارية عديدة شكلت الثقافة الحسينية والمجتمع الحسيني، سيكون من مهام هذه الأطروحة بيان جانباً منها.

يعدُّ مفهوم النسق الاجتماعي من المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع المعاصر، إذ برز مع كتاب : (النسق الاجتماعي The social system)، الصادر عام ١٩٥١ للكاتب تالكوت بارسونز، طالب المؤلف في هذا الكتاب عند دراسة مجتمع معين، كموضوع بحث، دراسته من حيث البنية والتكوين أولاً، ومن حيث الروابط والعلاقات ثانياً، ومن حيث الوظيفة والاستمرارية التي تحفظ له البقاء في الوجود ثالثاً، وأطلق على هذا المجتمع المدروس بالنسق، بمعنى أنه يشير الى منظومة أو كيان متعدد الابعاد، أو نظام اجتماعي متكامل قادر على الاستمرارية وعدم التلاشي^١.

لقد قاربت هذه بعض اشكال هذا المفهوم : النسق بين المنظومات أو الفضاءات الطبيعية والصناعية والانسانية من خلال فكرة النظام أو الكيان أو الفضاء الذي يتضمن : المدخلات والمخرجات، ولاريب أن بين هذه المدخلات والمخرجات تقع أو تكون العمليات والانشطة الاساسية للنظام، وهكذا قارب مفهوم النسق بين ما يجري في العلوم الطبيعية من نظم فرعية، وبين ما موجود في الكيانات الاجتماعية الجزئية من فعاليات، مع أن مفهوم النسق الاجتماعي أوسع

^١ - نيكولاس لومان، مدخل الى نظرية الانساق، ترجمة : يوسف فهمي حجازي، منشورات الجمل،

بكثير من مفهوم النظم القائم على اساس موديل : المدخلات والعمليات والمخرجات، وذلك لمحدودية تمثيل المنظمة للواقع الاجتماعي إذ أن :

(المنظمة وحدة اجتماعية هادفة، وجعلت ذلك المنطلق قاعدة فكرية في التعامل مع المتغيرات التي أرست جوانبها النظرية، وقد عرف النظام بأنه : الكيان المنظم والمركب الذي يجمع ويربط بين الأشياء والأجزاء التي تكون بمجموعها تركيباً كلياً موحداً)^١ . ولكن يبقى هذا الأنموذج من أبرز مصاديق مفهوم الانساق، وتعدّ الآن نماذج النظم العامة أو الانساق الكبرى من التراث المعرفي العلمي الرصين لهذا المفهوم الواسع .

ولا ريب أن الانموذج يحاول أن يصور الواقع ويرسم معالمه ويشرحها، بشكل افضل من التعبير عن ذلك بالنظرية التي تحاول عادة رصد العلاقات السببية وليس تقديم الشرح والتأويلات المتعددة للموقف الاجتماعي والثقافي للنسق، لأن الأنموذج قد يضم عديد النظريات والمفاهيم ويتخطاها الى ترسيم السياسات الخاصة بالأنموذج.

والنسق بشكل عام : نمط من العلاقات بين مجموعة من العناصر داخل منظومة محددة، وكلٌ يملك خواصاً ترتبط به وتتولد عن وجوده، خلافاً لغيره من الانساق، كما وينظر الى النسق باعتباره لديه استعداد ذاتي كامن نحو التوازن، ومن هنا يكون تحليل الانساق، انما هو تحليل لقدراتها الذاتية على تحقيق التوازن

١ - د، خليل محمد حسن الشماع، و، د . خضير كاظم حمود، نظرية المنظمة، دار المسيرة، الاردن، ٢٠٠٧م . ط٣، ص ٨٣ .

والمحافظة عليه من خلال الترابط الداخلي للعناصر، والترابط الخارجي مع البيئة المحيطة بالنسق والتي يبدو فيها مميزاً عن غيره من الانساق^١.

اما بشأن خواص وسمات النسق الداخلية، فقد طور عالم الاجتماع انتوني جيدنز، في كتابه : المشكلات الاساسية للنظرية الاجتماعية، (١٩٧٩) دراسة النسق من خلال التدقيق في الخواص والسمات التي وجدها ترتبط بالفاعل الاجتماعي في النسق، إن الخواص أو السمات المنسوبة للنسق الاجتماعي، انما هي خواص الفاعلين الاجتماعيين داخل النسق وفي إطار الفعل الاجتماعي، حيث يجري انتاج هذه الخواص واعادة انتاجها من خلال ممارسات اجتماعية روتينية يتم ترسيخها بمرور الوقت، ومن ثم فان الخواص المنظمة للانساق الاجتماعية تنشأ من طبيعة الفعل الاجتماعي الذي يمارسه النسق ومعناه^٢، ومن هنا يفتح باب الكلام عن صلة النسق الاجتماعي بالمحتوى الفكري والثقافي.

النسق الثقافي culture System :

اما بشأن النسق الثقافي، فهو تعبير عن الخواص والسمات الثقافية المكتسبة بالتعلم والمرتبطة بالفعل الاجتماعي للفاعلين داخل النسق الاجتماعي كممارسة ذات معنى تواصلية، وبالتالي تجتمع ثلاثة خصائص في النسق الثقافي هي : أولاً : القدرة على الاداء في مجال الممارسة الثقافية كالقدرة على تكلم بأكثر من لغة، وثانياً : الدلالة على المعنى، كما في فعل زيارة قبور الشهداء، أو الاقارب أو

١ - جون سكوت، جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ج٣، ترجمة : محمد جوهري، ومحمد يحيى، وهناء رشيد، ومحمود عبدالرشيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١، ط٢، ص ٤٠٤.

٢ - نفس المصدر، ص ٤٠٥.

المرضى، وثالثاً : الاشتراك مع الآخرين في العمل الاجتماعي باعتبار أن الفاعل الاجتماعي والثقافي هو جزء من مجموعة من المشاركين في النسق، ويتقاسم معهم القيام بنفس الفعل^١، وفي هذا البحث يحدونا الامل نحو بناء أنموذج ثقافي اسلامي معاصر من خلال نسق، تشكل فيه الثقافية الحسينية عنصراً وملحاً ثقافياً اساسياً في هذا البناء .

ويمكن القول من الآن، أن فكرة النسق الاجتماعي أو الثقافي، كمفهوم جامع للنظم الاجتماعية والثقافية، أو كنظرية خاصة بدراسة الكيانات الاجتماعية والثقافية وتغيرها، أو

بتفسير السلوك الاجتماعي والثقافي داخل النسق، من المعارف العلمية التي لا يمكن الاستغناء عنها عند دراسة مجتمع طريق كربلاء، من حيث توصيف بنية وتكوين هذا المجتمع الذي أصبح كياناً عالمياً، ومن حيث العلاقات والارتباطات الموجودة بين افراده وفئاته، وكذلك عند دراسة محتوى هذا المجتمع الثقافي والحضاري ووظائفه، وقدرته على الاستمرارية والبقاء، متعاشياً مع الأنساق الأخرى ومتفاعلاً ومؤثراً، فهذا المفهوم لابد أن يكون جزءاً أساسياً من الخطاب الاجتماعي والثقافي المعاصر الذي يتصدى بشكل علمي للبحث عن مجتمع طريق الامام ﷺ أو ثقافته.

١ - ألسندرو دورانت، الانثروبولوجيا اللسانية، ترجمة : فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة،

ثانياً: مفهوم المؤسسة الاجتماعية والثقافية:

يتعلق مفهوم المؤسسة الاجتماعية والثقافية بذات الأفعال والممارسات التي يجري تكرارها داخل النسق الاجتماعي والثقافي الذي تم التعريف به في مفهوم النسق، وضبط هذه الأفعال من خلال الأداء والمعنى والاشتراك بين الفاعلين، والتي تشكل خصائص وسمات الفاعلين، وبالتالي تشكل مجمل خصائص وسمات النسق، وبذلك يصبح النسق أو النظام أو المؤسسة عبارة عن :

(ممارسة اجتماعية مألوفة وتمارس بصورة متكررة، وبمقتضى هذا التعريف يتسع نطاق هذا المصطلح لما هو اكبر من النطاق الذي يعنيه في الحياة اليومية، حيث لا يقتصر فقط على الإشارة إلى : السجون، والملاجئ، والمدارس، والمستشفيات، والإدارات الحكومية ونحو ذلك، بل يضم كذلك نظام اللغة، والممارسات الخلقية والثقافية .)^١

وبذلك يجري تعريف المؤسسة في العلوم الاجتماعية ومنها الأنثروبولوجيا الثقافية وعلم الاجتماع، تارة بتطبيقها على جميع حالات السلوك العامة والخاصة، وتارة أخرى بتطبيقها فقط

على حالات الانتظام في السلوك أو الاستناد الى قاعدة مقبولة عموماً مثل : تعاليم الدين، وذلك من جانب مجموعة اجتماعية، تُعيّن السلوك في أوضاع معينة، وقد

^١ - اندرو ادجار، وبيتر سيد جويك، موسوعة النظرية الثقافية، المفاهيم والمصطلحات الاساسية، ترجمة : هناء جوهرى، مراجعة : محمد جوهرى، المركز القومي للترجمة : العدد : ١٣٥٧، القاهرة، ٢٠٠٩م، ط١، ص ٦٦٣ .

تكون ذاتية أو تفرض من قبل السلطات الحكومية، وقد سعى في ضوء هذا المعنى الثاني المخصوص : اتباع المفكر دوركهايم الى حصرها _ أي المؤسسة _ وتكوين مفهومها، باعتبار أن المؤسسات هي أساليب للعمل والاحساس والتفكير، متبلورة، والى حد ما ثابتة، ملزمة، ومميزة لمجموعة اجتماعية معينة^١، وسار في هذا الاتجاه الحصري أيضاً كليفورد غيرتز في كتاب : تأويل الثقافات وبين أثر الدين بوصفه نظاماً ثقافياً مؤسساً في المجتمع^٢.

من هنا أهتمت المدرسة المؤسسية في الفكر الاقتصادي على سبيل المثال بدراسة الانماط السلوكية السائدة في المجال الاقتصادي من العادات والتقاليد الاستهلاكية باعتبارها موجهات ثقافية فاعلة للسلوك والنشاط الانساني اليومي في هذا المجال الحيوي، وليس ما يسمى بالرشد الاقتصادي عند اتباع المدرسة الحدية والحسابات الدقيقة للمنافع الحدية^٣.

وفي مجال مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام ومستنده الثقافي، نلاحظ تلك الاستدامة في السلوك وذلك التأسيس الذي يستلهم القيم الاسلامية الاصلية كما قدمها مجتمع اصحاب الامام وانصاره في كربلاء، كمثال أعلى للأجيال ورؤية كونية، تحاول النخب الحسينية امتصاص أكبر قدر من فكر هذه

١ - ر . بودون وف . بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة : د. سليم حداد، دار مجد، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م، ص ٤٧٩.

٢ - كليفورد غيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة : محمد بدوي، مراجعة : الاب بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩م، ط١، ص ٢٢١.

٣ - مالكولم رذر فورد، المؤسسات في علم الاقتصاد، المؤسسة القديمة والجديدة، ترجمة : نادر ادريس التل، دار الكتاب الحديث، عمان، ط١، ٢٠٠٩، ص ٢٦١.

المدرسة وعقائدها واخلاقها وممارستها التي تستحضر سلوكيات الانبياء كما قدمها القرآن الكريم وتجسدت في سلوك الامام الحسين عليه السلام، والعمل بالتأسيس لسلوكيات الناس في هذا الاطار المؤسسي من الانماط السلوكية .

سيتضح من خلال الدراسة جانباً من أسباب الرسوخ التاريخي عبر أجيال من المجتمع الاسلامي والتقلبات في الأنموذج الثقافي، لتلك المؤسسة الاجتماعية والثقافية التي تضمنتها الجينات والشروط والمقتضيات التي حملها الامام الحسين عليه السلام لحركته، كواقعة تاريخية وموقف تحيط به مجموعة من النصوص والخطب الخالدة للثوار، فضمنت هذه الجينات لمؤسسة الثورة، سمات الانتشار والبقاء والمقبولية لدى طيف واسع من الشعوب الاسلامية، ولا تزال هذه الجينات تعمل عملها على الاستقطاب والتوسع العالمي، وسندرس هذا الموضوع في المبحث الخاص بالأنموذج التاريخي من القسم الثاني في هذه الدراسة.

اما مجتمع طريق الامام فهو يؤسس باستمرار : لتعديلات جذرية في السلوك الاجتماعي والثقافي العام من حوله كما هو ملاحظ، ويعمل على ازالة التشوهات في الأنموذج الاسلامي كروية كونية وثقافية وممارسات، تلك التشوهات الناتجة عن متغيرات دخيلة تطراً هنا وهناك على مجتمعنا الاسلامي كأعراف الاستبداد في السلطة أو إدارة الدولة، والتقاليد الحمقاء في هذا المجال، فتحرف المجتمع الاسلامي عن المسار الاساسي، تحرفه هذه الجاهليات عن قيم الاسلام الكبرى، وفي مقدمتها رفض الظلم، أو عمل الاسلام ووظيفته على تجلية الطبيعة الانسانية الحرة باستمرار، وفي ذات الوقت هي طبيعة طامحة للخلود كروية كونية مؤثرة في اتجاهات الثقافة، مثلما أنها تتطلب الحضارة والتقدم في الحياة الاجتماعية، وهذه هي قمة المؤسسة

لقيم العدل والمساواة والحرية وطلب الخلود في الاسلام، وبذلك تتأكد لدينا أيضاً ضرورة المعالجة المنهجية المزدوجة لقضايا مجتمع طريق الامام من خلال : علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية، سواء على مستوى التداخل المنهجي بين الحقلين أم على مستوى الاستفادة من المفاهيم المشتركة، أم على مستوى التداخل النظري والتمازج بين النظريات الثقافية والاجتماعية أم على مستوى التطبيقات المختلفة لقضايا ومشكلات هذا المجتمع.

ثالثاً: مفهوم الجدلية في المجتمع والثقافة :

الجدل في الاستعمال اللغوي، شدة الخصومة بالكلام . وفي المنطق، صناعة، تصدق على المناظرة أو المحاوره ، والحوار أو الجدل طريق للوصول الى الحقيقة والتعرف عليها كمثال أعلى ورؤية كونية، كما عند سقراط وأفلاطون ، والوصول الى الحقيقة ضروري، لان السلوكيات السليمة والصحيحة والمجدية، أنما تكون مبنية على التصورات الصحيحة ومعرفة الحقيقة، ومن هنا ارتبط الجدل بمناهج العلم كاتجاه فلسفي، يؤمن بحركية الفكر والواقع، ويرصد التطور من أجل بلوغ الحقيقة .

الجدلية في حدود العقل، منهج يرصد حركة الذهن الانساني وتداعياته، إذ يرتقي العقل من المحسوسات إلى المعقولات، والانتقال في حيز الذهن من معان إلى معان بواسطة معان، لكي يدرك الأمور الكلية الجامعة، يصل اليه العقل بعد العلوم الجزئية، ثم ينزل من هذا الكلي إلى هذه العلوم يربطها بمبادئها وإلى المحسوسات

يفسرها، فالجدل منهج وطريقة في الادراك، يجتاز بموجبها العقل جميع مراتب الوجود من اسفل إلى أعلى وبالعكس من أجل بناء رؤية كونية متكاملة عن العالم.

اما على صعيد الواقع والمجتمع والعلاقات، فالجدل اتجاه قديم في فهم الوجود والحركة، وتطور الماهيات، عُرِف في الفلسفة الاسلامية بالحركة الجوهرية، الا أنه أكتسب أهميته الحقيقية مع تطبيقات هيغل وماركس وماكس وبيير وتوماس كون في المنطق والاقتصاد والمجتمع والنماذج المعرفية، الساعية الى بناء أنموذج عن مسار الحضارة والحياة الانسانية فيها، ومن أنماط الفكر الجدلي ما يأتي :

١. جدل هيغل:

هيغل أعاد تعريف المنطق والفكر، في ضوء منطق الجدل الذي يعني فن الحوار المتبادل في الالمانية ، وقدم توصيفاً جديداً لحركة الذهن من المعلومات الى المجهولات، يغير التوصيف التقليدي المعروف في المنطق الارسطي، القائم على حركة الذهن باتجاه واحد، أي من المعلوم الى المجهول، بأن جعل هذه الحركة قائمة على الجدل الدائري، في حركة مكوكية أو حلزونية متصاعدة نحو التكامل في الروح بمعنى الفكر .

تتطلق من الفكرة الاساس في العقل باتجاه الخصم لهذه الفكرة أو نقيضها، ثم تعود الى تبين فكرة ثالثة أكثر نضجاً، تنبثق من هذا التصادم أو الجدل،

أو التأثير المتبادل، ولذا قالوا أن مختلف المفاهيم التي يتبع الواحد منها الآخر في الوعي ليست مفاهيم عرضية وإنما يتولد الواحد منها عن الآخر توالد الضرورة^١.

طبق هيجل هذا الحراك المنطقي في مجال العقل على الطبيعة والتاريخ، أي جدل المادة وجدل التاريخ، وبذلك قدم فتحاً جديداً في مجال دراسة فلسفة التاريخ، سرعان ما أنتقل إلى حقل الدراسات الاجتماعية و الاقتصادية على يد كارل ماركس.

(المنطق الهيجلي يقوم أساساً على فكرة التطور والحركة، وهي الفكرة التي لا تكاد تخلو منها فلسفة من الفلسفات المعاصرة، فهي كلها تذهب إلى أن الشيء هو عملية صيرورة أو مجموعة من اللحظات المتحركة المتغيرة، وليس ثمة شيء جامد أو ساكن، وإنما الكون كله دائم الحركة والتطور فلا شيء يستقر على حال، وبالتالي فدراستنا الكاملة لشيء من الأشياء لابد أن تكون في صميمها دراسة - تاريخية - تتبعية تنظر إلى هذا الشيء كما هو الآن وكما كان في الماضي، أي أن النظرة الحقيقية إلى شيء ما هي النظر إليه على أنه شيء متحرك ومتطور)^٢. وكانت لهيجل تطبيقات مهمة لفكرة الجدل في مجالات : الفكر والطبيعة والانسان .

١ - د . محمد الشيخ، فلسفة الحداثة في فكر هيجل، الشبكة العربية الابحاث، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ٩٦.

٢ - د، امام عبد الفتاح امام، المنهج الجدلي عند هيجل، المكتبة الهيجلية، دار التنوير، ط ٣، بيروت، ٢٠٠٧ م، ص ٣٦٥.

٢. جدل ماركس :

تلقف ماركس فكرة الجدل في حدود العقل من هيجل، ليطبقها في مجال تطور أدوات الانتاج المادية، فقال بالجدل في حدود المادة فقط، وجعل من هذا التطور المادي الجدلي، فيما أسماه بالبنى التحتية، أساساً لكل تطور لاحق في عالم المجتمع والانسان والنظم والافكار أو البنى الفوقية، ورفض ماركس أن يكون هناك مسار جدلي بين البنى الفوقية والتهتية أو تأثير متبادل، فأثر البنية التحتية ذو مسار واحد، ومحصور بأثر المادة في الفكر، أي ذات التعريف الكلاسيكي للفكر، مما جعل من فكرته ذات اتجاه أحادي في التفكير ومحدودة في تطبيق المنهج الجدلي، وهذا هو المدخل النقدي لكل من ماكس ويبر، وغرامشي، ولدي التوسير على طريقة ماركس، حيث وسّع دي التوسير المنهج الجدلي ليشمل تأثير البنى الفوقية ومنها الأفكار في إعادة تكييف البنى التحتية وهيكلتها، وهذا المدخل النقدي الجديد هو من أوضح سر قوة الرأسمالية وسطوتها وقدرتها على تجديد نفسها.

٣. جدل التفاعل :

لم يُسلم أصحاب الرؤية التفاعلية بالحصص المنهجي الذي لا يمكن المساعدة عليه في نظرهم، لدى جدل هيجل، أو جدل ماركس، حيث يصر هيجل على جعل الجدل في حدود العقل والفكر والمنطق وهو من يعيد صياغة وبناء وتكوين الواقع، فيما يرى ماركس العكس، وأن الجدل هو في حدود المادة فقط، وأن التطور المادي هو من يتسبب في بناء الواقع، وإعادة البناء والتكوين في كل مرة تصل فيها التناقضات والازمة الى الحد الكافي لتوفير شرائط التغيير وإعادة التكوين للبنية الفوقية .

في الجدل التفاعلي يكون التأثير غير محصور في اتجاه واحد، بل هو منفتح على كل التحولات والتأثيرات المتبادلة، ومن هنا وجه كل من : ماكس ويبر، وغرمشي، والدي التوسير، وكارل بوبر، وغيرهم الكثير، النقد الى الطريقة الاحادية في فهم الحركة الجدلية .

اما في ضوء الفلسفة الاسلامية، فقد ذكر السيد الصدر هذا النمط من تبادل التأثير بين الواقع والمنهج في كتابه : (معالم الاصول)، وشرح تأثير الواقع والفقه على تطور علم الاصول الذي هو منطق الفقه، وتأثير الأصول على الفقه والواقع .

ذكر هذه الجدلية كذلك السيد عبد الأعلى السبزواري، وقال في تقرير هذا النمط من الجدلية:

(إن جميع ما في هذا الكون من العناصر، والمواد، والآثار والصور، تكمن في كل شيء كموناً هيولائياً، فيمكن أن يستخرج أحد الضدين من الآخر، كما يستخرج في هذه الأعصار من مادة النفط - مثلاً كثيراً من الأمور التي ربما يكون أحدها مضاداً للآخر. ولعل نظرية الفلسفة الديالكتيكية القائلة: بان كل شيء يجعل ضده، مأخوذة من هذه القاعدة، وكذا نظرية داروين، القائلة: في التنزع في البقاء، وبقاء الأصلح، وكيف كان فإن كانت الأشياء حاملة لكل شيء فهي لا تخرج عن قدرته، وربوبيته العظمى) ^١ .

١ - السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري(قد)- مواهب الرحمن، دار التفسير، قم المقدسة، ٢٠٠٧

كما ربط المفكر إدريس هاني في أبحاثه الفلسفية بين الحركة الجوهرية في الفلسفة الاسلامية، عند صدر الدين الشيرازي، والحركة الجدلية الوسطية، وهي وسطية قائمة على أساس التفاعل، والسيرورة والحركة الجوهرية عنده هي التفاعل الذي يؤدي الى الاستبصار بالحل الثالث الابداعي قال :

(إن مفهوم الوسطية في ضوء أطروحة التبني الحضاري، والتجديد الجذري، هي: حصيلة التجادل بين طرفي معادلة، وليس تموقعاً بينياً في التّخوم الفاصلة بين طرفين) ١ .

كما طرحت هذه الجدلية في ترسيم العلاقة العرفانية والصوفية بين العاشق والمعشوق واستكمال حال الوصل والجذب نحو مرتب الارتقاء ومنازل المريدين والسائرين الى المولى الحقيقي أو العشاق لمنبع الفيض والحق المطلق في هذا الوجود.

ومن هنا يظهر بوضوح صلة هذا المفهوم الثنائية بقضايا المجتمع والثقافة، فجلد الطبقات الاجتماعية والفئات ومظاهر الصراع أو الاجماع والوفاق في فضاء المجتمع الكلي انما تمر عبر الحوار والجدل الثقافي داخل الانساق الاجتماعية أو فيما بينها، وبذلك يحصل التأثير المتبادل والتغيير في الاتجاهات والاهتمامات .

وسيتبين في الابحاث اللاحقة، كيف أن اختيار هذه الدراسة لمنهج الجدلية العام وجدلية الارتقاء بالذات، في فهم مجتمع طريق الامام الحسين (عليه السلام) وتأثيره الثقافي، انما يأتي في إطار الشكل الثالث من الجدل، وهو الجدل التفاعلي متعدد

الابعاد والذي يقود نحو الارتقاء باتجاه المثل الاعلى والالتزام بالرؤية الكونية الاسلامية، وليس الجدل هيجل المثالي، ولا الجدل الماركسي المادي .

لقد عملنا على ترميم هذا المنهج من خلال الافادة من أفكار أخرى في المدارس الاجتماعية كالفاعلية التأثيرية للمثل الاعلى في حركة المجتمع المستقبلية، وفي مجتمع طريق الامام تكمن إجابة عميقة وصادقة عن سؤال المستقبل كما سيتضح من خلال هذا البحث ، وكذلك الافادة من المنهج الوظيفي للكيانات أو الاعضاء في علم الاجتماع ومهامها الاساسية في الترابط والتفاعل، والافادة ايضاً من النظرية الاجتماعية القائمة على اداء الادوار، أو نظرية الانتشار الثقافي، وكلها نظريات ومناهج على صلة بشكل أو آخر بالمنهج الجدلي في عالم الثبوت والاثبات ومتقاطعة ايجابياً مع رؤيته، حيث أن التأثير الصادر من الطرفين في مجال الحواضن الاجتماعية المتداخلة وتفاعلهما، ظاهرة ملاحظة في عالم الاثبات بشكل علمي ووجداني، ومدرسة احصائياً، على شكل متغيرات مستقلة وتابعة، أو ثابتة ومتغيرة يؤثر بعضها في البعض الآخر .

رابعاً : الرؤية الكونية :

يذكر هذا المصطلح في الدراسات أو النصوص الاجتماعية على خلفية الكلام عن المحركات الثقافية للمجتمع ومصادره المعرفية، أو عن التوجهات الفكرية العامة التي تحكم العقل الجمعي والسلوكيات العامة المرتبطة بالهوية والذاكرة للمجتمع، أو أثر العامل الديني في بناء المجتمع واستشعار المسؤولية فيه، فكل حديث عن الثقافة والفكر للحواضن الاجتماعية لابد أن يستدعي الكلام عن

الرؤية الكونية، وكذلك الامر المعكوس بمعنى كل حديث عن الرؤية الكونية
انما هو حديث عن الفكرة القيادية في مجال الثقافة والتغيير الاجتماعي .

يقال أن الحديث عن الثقافة أو الفكر كالحديث عن السياسة، يمكن
اختزاله الى اجزاء محدودة وموضوعات قليلة، كما يمكن التوسع فيه بشكل كبير
جداً لموضوعات واسعة، ففي مجال الثقافة يمكن أن تشمل الثقافة حينئذٍ : الحياة
المادية، والدين، واللغة، والقيم، والتربية والتعليم، والعلاقات الاجتماعية .

وفي بعض النماذج التي تعتمد حصر الثقافة، نجد أن موقع الرؤية الكونية
في المركز أو القلب من الكيان الثقافي . فالرؤية الكونية بالنسبة للثقافة هي
النواة المركزية وغرفة قيادة عمليات أية ثقافة، من الثقافات، وهي هنا تشمل عموم
ومجموع العناصر العالمية، كالحياة والمجتمع، والعالم الطبيعي من حولنا، والذهن
والقوى الغيبية، وهي القدرة على اعطاء تعريف للإنسانية^١ .

كما تذكر الرؤية الكونية في مجال الأخلاق، فهي الساند والضامن
الاكيد للفعل الاخلاقي، وذلك من خلال توفير الضمانات الأخرى الفرعية المطلوبة
لتحقق هذا الفعل، فهي ترتبط، أولاً : بالضامن المعرفي وطرق الوصول للتشخيص
الاخلاقي، كما تؤمن الرؤية الاخلاقية ثانياً : الضامن المعياري : والمطابقة للحق
والحقيقة في الفعل الاخلاقي، وأخيراً أو ثالثاً : توفر الضامن التنفيذي لوقوع الفعل
الاخلاقي، من خلال وجود المسؤولية على التنفيذ الجدي، والمتمثلة بمختلف

١ - محمد جواد قاسمي، نظرية الثقافة، ترجمة : حيدر نجف، مركز الحضارة لتنمية الفكر

المسائل كالمضمير، والعرف المجتمعي والقانون، والاهم في مجال المسألة هو وجود الآخرة والثواب والعقاب في العالم الآخر .

ومن هنا فأن مدلول الرؤية الكونية هو طيف واسع من الأفكار العقيدة والممارسات المرتبطة بالثقافة والحضارة والأخلاق والمجتمع والتدين والاقتصاد والسياسة، وهي من توفر الضمانات المعرفية والمعيارية والتنفيذية للسلوكيات التي تأتي عادة مطابقة للتصورات الكونية ولا تحاول أن تشذ أو تخالف الرؤية الكونية حال التنفيذ، بمعنى مقارنة العقيدة بالرؤية الكونية وهذا ما التفت اليه السيد جمال الدين الافغاني في رسالته الشهيرة : الرد على الدهريين، إذ ربط العقيدة بملاحظة الطبيعة والكون، وقسم الرؤية الكونية الى شكلين الاول : الشكل المادي، والثاني : الذي يؤمن بوجود الروح وعالم الآخرة، ثم خلص الى أثر الرؤية في الفكر والثقافة والأخلاق، فقال : العقيدة أحجى حاد للفكر في حركاته، وأنجح داع للعقل في استعمال قوته، وأقوى فاعل في تهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الرذائل.^١

ومع هذه الأهمية الكبيرة لموقع الرؤية الكونية بالنسبة للمجتمع والثقافة برز اتجاهات اساسية في الغرب لتحديد طبيعة العلاقة بين الرؤية الكونية والثقافة وهي :

١ - جمال الدين الافغاني، الرد على الدهريين، ترجمة : محمد عبده، ص ٢٦.

١- : الاتجاه المثالي :

ينظر هذا الاتجاه الى محورية الثقافة وخصوصيتها المستمدة من الرؤى الكونية والفلسفية والتاريخية التي يؤمن بها المجتمع كخصوصيات لا يمكن التفريط بها في الحياة الاجتماعية، وهو اتجاه سارت عليه المدرسة الألمانية بشكل عام، وأكدته ابحاث ماكس ويبر الاجتماعية وتلامذة مدرسته الذين كتبوا عن أثر الدين والتاريخ والرؤية الكونية في صناعة الثقافة والممارسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك من انماط الافعال اليومية الحضارية، المتكررة أو الروتينية، فالثقافة هنا تكون مشتقة من الرؤية الكونية وملتزمة بمقتضيات هذه الرؤية كبنية متسقة أو منسجمة في مرحلة الجمع بين الرؤية والثقافة قبل سلوك الفاعلين.

٢- : الاتجاه المادي :

وهو على العكس من الاتجاه الاول، يحاول هذا الاتجاه أن يقرر أهمية الواقع الحضاري والتقدم والتجربة والحياة المادية وقوى السلطة والمال، في رسم مسارات الثقافة وحركية المجتمع والعلاقات بين المكونات الاجتماعية وصولاً الى تقرير الرؤية الكونية القائمة على فلسفة التحول والضرورة المستديمة في صناعة الحياة وتطورها كما هو مقرر في الرؤية الداروينية أو عند سبنسر مثلاً، وغيرهم من فلاسفة التطور والانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح والارتقاء .

٣- : اتجاه التفكير :

ينظر هذا الاتجاه نحو المستقبل ولا يلتزم بأي رؤية كونية يملئها التاريخ أو المبدأ العقدي أو الحقيقة بمعناها المتعارف، بل هو يستهدف صناعة الحقيقة، وصناعة الحقيقة هنا تشمل المجتمع وإعادة البناء في مكوناته الاجتماعية، وإعادة البناء الثقافي، وتفكيك ما هو سائد وغير مجدي ولا يقدم المنفعة المرجوة من وجوده، ولا بأس في هذا الاتجاه باستعادة الخصوصيات وحياء التراث فيما إذا شكلت منفعة حاضرة أو مستقبلية، وكل شيء في ضوء هذا الانموذج خاضع لإعادة البناء والتشكيل باستمرار دون الالتفات الى ما يعتور الواقف من تناقض أو معايير مزدوجة، وقد ساد هذا الانموذج في الثقافة الامريكية المعاصرة، وشمل جميع نواحي الحياة اليومية وتطبيقاته اكثر من أن تحصى، وكانت له تجارب مريرة في مواجهة الثقافة الحسينية سواء في ايران الاسلامية أو في لبنان على يد حزب الله، وكذلك في بلاد الرافدين بعد احتلال العراق، حيث هزم الأنموذج الثقافي الأمريكي عند مواجهة الثقافة الحسينية، وستتضح معالم هذه الاتجاهات أكثر في المطالب اللاحقة.

وفي مجتمع طريق الامام من الواضح أن الرؤية الكونية السائدة هي الرؤية المشتقة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، واستشعار المسؤولية امام المولى تبارك وتعالى، لمسار الاسلام ورؤيته المستقبلية لما سيكون عليه المجتمع اذا ما تم الركون للظالمين وتصوراتهم الزائفة عن القدر الالهي المحتوم لصالح السلطة المجرمة . تلك الرؤية التي روج لها بين المسلمين، معاوية والامويون .

وفي ضوء الفهم الحسيني حدد الامام عليه السلام لعناصر الخير والشر في هذا العالم واكد نظريته أو أنموذج الاسلام في المقاومة من أجل الحفاظ على معالم الحياة الانسانية أولاً بعيداً عن النل والهوان والعبودية، وهذه المعالم لا تتأكد الا في ضوء الاسلام وبحضور جميع المستويات : الاعتقادية والاخلاقية والسلوكية الشرعية .

وفي إطار بيان جدلية الارتقاء في مجتمع طريق الامام ﷺ والتي تجمع بين الموضوع الاجتماعي والموضوع الثقافي، ستتظافر هذه المفاهيم : المأسسة ، والنسق ، والجدلية والرؤية، وهي مفاهيم تشمل حقلي : المجتمع والثقافة معاً كما لاحظنا، وكذلك جملة من المفاهيم الأخرى التي سنعرف بها وكذلك والنظريات من أجل التوافر على بحث علمي وسردية ممتعة في بحث وتناول هذا المجتمع ومحتواه الفكري والثقافي والحضاري وانشطته المعبرة، في النهاية عن : أهمية طلب الخلود كروية كونية راسخة في حياة الانسان وانعكاس ذلك في سلوكياته الاجتماعية والثقافية وعلاقاته الانسانية.

ونؤكد من الان ايضاً الطبيعة الثنائية أو المزدوجة عند معالجة موضوعي : المجتمع الحسيني وثقافة هذا المجتمع، فموضوع المجتمع الحسيني كنسق اجتماعي، مثله مثل الاسرة الواحدة عند معالجة عناصرها ومشكلاتها، هو من مفردات علم الاجتماع أو الأنثروبولوجيا الاجتماعية، فيما يكون موضوع الثقافة أو الانموذج الثقافي في القضية الحسينية هو من مفردات وبحوث الانثروبولوجيا الثقافية، وهذا ما سيتضح بأذن الله في الفصل الثاني،

الفصل الثاني

ثنائية الموضوع والمنهج العلمي :

توطئة :

المحنا منذ الفصل الاول إلى ازدواجية البحث في مجتمع طريق كربلاء، فهو بحث ذو جنبه اجتماعية من جهة، ومن جهة أخرى هو موضوع يندرج في إطار الأنثروبولوجيا الثقافية، التي تتصدى لدراسة الخيارات الثقافية عند الشعوب .

كانت دراسة الشعوب الصغيرة والاقل تطوراً من جهة الحضارة الحديثة تعدّ، كموضوع للبحث، من مفردات الأنثروبولوجيا العامة، في حين يركز علم الاجتماع الحديث ويختص بدراسة المجتمعات الحديثة أو المتقدمة والكبيرة نسبياً، وطرح مشكلاتها على وفق المعايير العالمية وهذا هو التمييز الذي اعتمدته إيفانز بريشارد للتفريق بين موضوعي البحث بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا^١.

هذا تمييز بين علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا انتهت صلاحيته وعفى عليه الزمن، بفعل تطور الدراسات في الأنثروبولوجيا وتمدد المجتمعات الصغيرة مع مرور الوقت، فصارت الأنثروبولوجيا تشمل المجتمعات المعاصرة والثقافات كافة، وبذلك أصبحت تتقاسم البحث العلمي في مجال دراسة المجتمع الى جانب علم الاجتماع العام :

١ - محمد الخطيب، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ٢٥ .

كانت معظم دراسات الأنثروبولوجيا، سابقاً، خاصة بالمجتمعات شبه البدائية والمتخلفة، وعندما تقدمت ابحاث علماء الاقتصاد والاجتماع والسياسة والدين والقانون، أصبح في مقدور الأنثروبولوجي الاستفادة من تلك الدراسات للوصول الى تحديد عناصر ثقافة المجتمع المتقدم، وكبير الحجم، والغني بالعلاقات الاجتماعية المعقدة المتشابكة^١. ولاريب أن هذا الادماج يمهّد السبيل الى ما يعرف بالعبر مناهجية، وهو طريقة في التفكير عابرة للحقول الدراسية، وتشتمل على بناء النماذج الجامعة بين الفلسفة والنظرية والتطبيق، الأمر الذي ينفعنا في الدراسة الشاملة للبناء الاجتماعي والثقافي معاً .

ومن هذه التوطئة يتضح بشكل عام امكانية دراسة مجتمع الامام الحسين عليه السلام الذي تمدد كثيراً في السنوات الأخيرة والبحث في نموذج الثقافة وهوية هذا النموذج وخصائصه، في ضوء الأنثروبولوجيا وتطوراتها المعاصرة، ولاسيما في فرعها الثقافي، والذي يعنى بدراسة الخيارات الثقافية والحضارية للمجتمعات المتنوعة ويقف على خصائص هذه الثقافات وسماتها ووظائفها بالنسبة للمجتمع .

ومن خلال هذا الجمع بين علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا يمكن الاجابة العلمية عن التساؤل الكبير، أو اللغز التاريخي الذي يطرح في كل مرة : كيف اصبحت الثقافة الحسينية خياراً ثقافياً وحضارياً للكثير من الأمم والشعوب الاسلامية قديماً وحديثاً رغم تنوع هذه الشعوب وتباعدها، ولماذا تشهد الثقافة الحسينية كل هذا التوسع والاستقطاب للجماهير في العالم ؟.

١ - د. عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١، ص ١٧ .

طور علماء الاجتماع مناهج البحث الخاصة بدراسة الفضاء المجتمعي ونماذجها الثقافية كممارسات أو كهويات من خلال الافادة من مناهج البحث العامة في العلوم، وكانت نظرية المعرفة وتطوراتها رافداً اساسياً للدرس الاجتماعي والأنثروبولوجي في كل محطات هذا التطور، وفي مقدمة أهداف الباحثين : بناء الدولة القوية الموحدة، والوقوف على مظاهر الثقافة الراقية والحضارة والتقدم والصعود الاجتماعي، التي تؤمن التكامل الاجتماعي، وآليات اشتغال هذه المظاهر والخواص وتعريفها، في مقابل سمات التخلف والنكوص وآليات التراجع الثقافي .

وهو ذات الامر الذي يثير اشكالية : تعريف الحقيقة، وطرق الوصول اليها بموضوعية وبلا تحيز، هذا التحيز يقوم على اساس اعادة الحقائق وتسميتها بغير اسمائها . فصارت اشكاليات مثل : الحضارة والتقدم، ومعرفة الحقيقة في المجال الاجتماعي والانساني، والموضوعية في التشخيص والتقويم، مقدمات تستدعي التثبت من أصل المناهج المتبعة في الكشف والتشخيص وآليات اشتغالها في البحث العلمي في المجال الاجتماعي، وخصوصا عند الحديث عن مسائل الدين والهوية الثقافية والمجتمع، وصلتها بقضايا الصراع أو البناء الاجتماعي والوظيفي ورموز المجتمع.

تمت كتابة عديد المؤلفات التي تعنى بطرائق البحث الاجتماعي والمعرفة العلمية في هذا المجال الحيوي، وكان النزاع يدور باستمرار بشأن أفضل الوسائل التي توصل لفهم المجتمع الانساني وحقائقه الكبرى ولاسيما في مجال التغيير الاجتماعي، بين التيار الطبيعي، ومنطقه الوضعي الاستنباطي أو الاستنتاجي في المعرفة، والتيار القائم على الفهم الانساني والتاريخي والاستقرائي وعمليات التأويل، هذا التيار الذي كان يلاحظ التنافس والجدل والصراع كملامح اساسية في حركة

الطبقات أو الاطيفاف أو الفئات الاجتماعية والتشكيلات الثقافية، ومع تمكن الثقافة الحسينية من تشكيل هويتها عبر المجتمع الحسيني يأتي السؤال الاساسي الباحث في الاطار المنهجي هو : كيف يمكننا دراسة مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام وثقافته، بشكل علمي بالاستفادة من تطور العلوم الاجتماعية ومنها الانثروبولوجيا في العالم ؟ .

لذا تحتم على البحث أن يدرس مناهج البحث الاجتماعية، ذات الابعاد العلمية في النظر الى بنية المجتمع ووظائفه، أو عند تقرير تطور المجتمعات وبناء النماذج التي تحكي قصة التغير الاجتماعي التلقائي أو التغير الاجتماعي المخطط، والانتقال من مرحلة الى أخرى، التي يمكن توظيفها في دراسة مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام .

المناهج العلمية في علم الاجتماع الحديث والمعاصر لابد أن تقترب من روح الموضوع الاجتماعي، من خلال استيعاب بنية الموضوع ووظائفه العديدة وتاريخ تطوره، وكذلك الاحاطة بوظائفه الجانبية المرتبطة وعلاقته بالموضوعات الاخرى المختلفة ومنها الموضوعات الاجتماعية .

وفي مجتمع الزائرين، لابد أن تتحقق هذه المناهج من الفرضية التي يقوم عليها البحث، بأن مجتمع طريق الامام، وإن كان محدوداً في وجوده، وحديثاً في تشكله، الا انه يمكن من الناحية البنيوية أن يعطي صورة أولية عن نواة لمجتمع اسلامي متكامل، وهو مجتمع رحلة العودة الى الله تعالى، وسيفرض نفسه في العقود القادمة من عصرنا الراهن، عبر آليات أو ديناميات تحتم سيادته وانتشاره، وهذا

الفرض الخطير أو الادعاء، يدعو بنفسه لضرورة النظر في الادوات الباحثة في هذا الموضوع بمعنى المناهج العلمية، بالإضافة الى عوامل أخرى محفزة لفحص هذه الادوات منها :

اولاً : فرادة الموضوع :فمجتمع طريق الامام عليه السلام، رغم أنه يشكل نسقا اجتماعيا كبيرا، الا أنه نسق عضوي وأساسي، وقد تجاوز في وجوده النامي والكبير، الظاهرة الاجتماعية أو الظاهرة الحضارية العابرة، الى أن يكون مكونا اجتماعيا، عضوياً، ونسقا مستقلاً، قائماً بذاته، له بناؤه الوظيفي، ومحتواه الفكري والاخلاقي والدوافع التي تتحكم في سلوكيات افراده، وهم من اطياف عمرية مختلفة، ومستويات ثقافية متباينة، بالإضافة الى الفروق الاخرى، كالجنس والاختلاف العرقي والبلدان .

ثانياً : جامعية المحتوى : إن مجتمع طريق الامام في توجهه المعرفي العام، فهو : مجتمع ديني، اسلامي، شيعي، في العراق، بمعنى أنه مجتمع مشتق من مجتمع أكبر منه، وهو المجتمع الشيعي العراقي، وهذا يضيف جانباً من الفرادة على الموضوع، وبالتالي يستدعي اعادة فحص الادوات المنهجية في دراسة المجتمعات المشتقة من حواضن اكبر منها .

ثالثاً : استهداف التغيير الاجتماعي : إن مجتمع طريق الامام منفتح على تصورات فكرية مثالية، أو يتطلع الى مثل أعلى في الحياة، وهو : الوصول الى تمثيل المجتمع الاسلامي الحسيني الكامل، سواء على مستوى السلوك الظاهر، أم على مستوى الافكار وتمثل التاريخ، و التصورات الثقافية والحضارية، أم على مستوى

نضج العواطف والانفعالات والدوافع المحركة لهذه الجموع، وبذلك فهو ينطوي على مستويات مختلفة من التظهير والتثبيت في هذه الجوانب الفكرية والاخلاقية والتطبيقات .

إن مجتمع طريق الامام يتمثل التاريخ الحسيني في ابعاده الثورية ورفض الظلم والطغاة، والتوجه للإصلاح والتغيير والبناء الحضاري، وقيام الدولة العادلة، والمحافظة على الحريات، وهذا التمثل التاريخي يضيف تعقيدات على دراسة الموضوع الاجتماعي، لان المحتوى الروحي والفكري والثقافي والاخلاقي لهذا المجتمع غير تقليدي وهذا المحتوى له تداخلات مع واقع المسلمين وحركاتهم الاجتماعية والسياسية وما تنطوي عليه من محتوى قد يكون على نقیض ما يطمح اليه المجتمع الحسيني، فیدخل البحث في مشكلة صراع الحركات الاسلامية على تمثيل نفس الاسلام.

من أجل ذلك، جاء الفصل الاول، كمحاولة أولية من أجل تحقيق القراءة في الادوات المنهجية وطرائق البحث الاجتماعي التي تشكل مداخل وكواشف قادرة على رسم تصور علمي عن بنية هذا المجتمع وسبر اغواره الفكرية والثقافية والاخلاقية وإنارة مكوناته الاجتماعية، وطبيعة العلاقات الجدلية بينه وبين الحواضن الاجتماعية الاخرى، المتداخلة مع مكوناته الاجتماعية، وايضا، لابد أن تكون الادوات المنهجية قادرة على تفسير نموه المتواصل، ومن ثم تقديم الحلول لمشكلاته وترشيد أولوياته التطبيقية .

معاور الاطار المنهجي :

البحث في البعد المنهجي وقع في أربعة محاور أساسية تحاول الاحاطة بكل ما يتعلق بمناهج البحث الاجتماعي وما يلابسها من المناهج الأخرى للبحث في مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام، وهي :

المبحث الاول : في انماط تحصيل المعرفة العلمية القائمة في المجال

الاجتماعي والتي يمكن أن يبحث في ضوئها مجتمع طريق الامام، يتم التطرق في المبحث الاول الى التعريف بالمعرفة العلمية في المجال الاجتماعي، والطرق التقليدية من : حسية وعقلية ونقلية وعلمية، ومن ثم تطبيقها على مجتمع طريق الامام .

المبحث الثاني : فهو في تقسيم المعارف الاجتماعية الى الحقول

الاساسية : الفلسفية أو المذهبية، والمعارف العلمية أو النظرية، ومعارف تتعلق بالسياسات التطبيقية والتخطيط في المجال الاجتماعي، ومن ثم الاستفادة من هذا التبويب في بحث مجتمع طريق الامام .

المبحث الثالث : يتم التطرق فيه الى المناهج أو الطرائق العلمية المعتمدة

في الدراسات والبحوث الاجتماعية من المناهج : الوصفية والكشفية والتشخيصية والتقويم .

المبحث الرابع : وهو للبحث في الجدوى والأهداف المتوخاة من هذه

البحوث الاجتماعية في طريق الامام عليه السلام .

المبحث الأول: أنماط تحصيل المعرفة العلمية

في (السيسولوجيا)

توطئة : في المعرفة العلمية ومصادر البحث العلمي في المجال الاجتماعي : في البداية لابد من التأكيد على أن البحث في مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام، ينبغي أن يتناول تنقيح أنماط المعرفة العلمية، بكل اطيافها من الملاحظ الحسية المنتظمة للسلوك الظاهري، أو المعرفة التاريخية وشواهدا في الاسترشاد بالنصوص الحديثية والنقل الروائي التي تحت الزائرين على المشي، أو العقلية، التأويلية أو التداولية في علم الاجتماع التي تدعو الى الاستفادة من الفكر الاجتماعي في تفسير بعض الظواهر الملازمة لمجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام، والالتزام بتأويل محدد .

وقبل الدخول في هذه التفصيلات في الطرائق البحثية، لابد من الحديث عن المعرفة العلمية الحديثة والمعاصرة في مجال الدراسات الاجتماعية، ولو بشكل موجز، ثم الانتقال الى تطبيقات ذلك على ابحاث مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام المختلفة .

البحث العلمي في المجال الاجتماعي:

يعرف علماء الاجتماع البحث بصورة عامة، بأنه : مجموع العمليات الفكرية أو الذهنية المتميزة والمتابعة والمتداخلة التي يقوم بها الباحثون في مجال معين، بهدف جمع المعلومات عن موضوع البحث، بشكل منتظم من أجل إنارة الظاهرة الملازمة للموضوع أو الكيان الاجتماعي وملاحظتها بشكل علمي، ومن ثم شرحها وفهمها،

وأخيراً وضع النظرية المفسرة للظاهرة واختبار مدى صدقية هذه النظرية عند التطبيق، كل ذلك بحسب الباحث الذي قام بالعمل العلمي، فتكوين النظرية بشكل عام، يمر بثلاث مراحل أساسية هي : الملاحظة للكيان، ثم الفهم العقلي، ثم التفسير النهائي^١ .

وفي مجال البحث العلمي الاجتماعي والملاحظة المقصودة أو التشخيصية عند دراسة المجتمع، فيذكر أن الناس والباحثين قد أفادوا من الطرق المختلفة، والأساليب المتعددة لفهم المجتمع الانساني ووظائفه المتعددة، وإدراك ظواهره المجتمعية الكثيرة، الأمر الذي أسس مع مرور الوقت وتراكم الجهود البحثية، لمناهج البحث العلمي وطرائق الكشف والتحليل في المجال الاجتماعي .

كانت الأشكال التقليدية من البحث والادبيات الفلسفية والتاريخية هي السائدة في القرون الوسطى وحتى عصر النهضة، كالاعتماد على الملاحظات الانطباعية والكتابة السردية الأدبية، أو التحليل الفلسفي العقلي المستند الى البحث في الماهيات والخواص الوجودية والسمات، أو الرجوع الى النصوص الدينية والمأثورات الشعبية في فهم ظواهر المجتمع والعلاقات بين الأفراد.

ومع عصر الاكتشافات العلمية في المجال الطبيعي وتطور العلوم تغير الحال، إذ شهد العالم ازدهار التيار الطبيعي والفلسفة الوضعية^٢ وطريقة الاستنتاج في البحث من

^١ - هنالك فرق بين الفهم للنص أو للظاهرة أو البحث أو الكيان، وبين اعطاء التفسير النهائي، وهو : كالفرق بين قراءة نص كتبه الآخرون ، وبين الكتابة أو التأليف الذي يقوم به الكاتب.

^٢ - الوضعية : تيار فلسفي ظهر في القرن التاسع عشر، ويفضل هذا التيار الاعتماد على الطريقة العلمية في العلوم الطبيعية، مقارنة بأشكال أخرى من المعرفة مثل الدين والاخلاق والايديولوجيا

أجل الكشف عن القوانين الطبيعية في الكون، كما هو الحال في موضوعات مثل : الفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة، واكتشاف الصراع في الطبيعة، ومع هذا التيار اتجه الباحثون الاجتماعيون بدورهم نحو اكتشاف القوانين التي تحكم سير الظواهر الاجتماعية والصراعات، بنفس المعايير الوضعية والمنطقية المعتمدة في البحث في العلوم الطبيعية، وكان هذا التوجه على حساب البحث الفلسفي والبحث التاريخي والأخلاقي، أو رصد الجدليات الاجتماعية والتنافس والصراع بين الفئات الاجتماعية المختلفة، الذي يعد في مقدمة الظواهر الاجتماعية السائدة،

(وكان من نتائج هذا التصور أنّ النسق الثقافي الغربي المهيمن استطاع أن يصوغ العلوم الإنسانية والاجتماعية صياغة وضعية بعيدة عن قيم الوحي، وتم تضخيم الذات البشرية على حساب سائر القيم الدينية والخلقية والعقلية، وقد انعكس هذا التصور الغربي على العقل المسلم، فأوقعه في خلل منهجي أقعده عن التفكير الصحيح والابداع الأصيل والمعرفة الحقة، ولهذا اعتبر موضوع إعادة بناء النظام المعرفي الاسلامي ضرورة حضارية)^١.

ظهر التيار الطبيعي، في البحث الاجتماعي، كمنهج يحاكي البحث في العلوم الطبيعية من أجل التوصل الى القوانين التي تحكم التطور والضرورة في حركة

والاساطير، ويعد عالم الاجتماع أوغست كونت، أحد ابرز المؤسسين للتيار الوضعي في العلوم الاجتماعية، وكان يؤمن بإمكانية تحقق التقدم في الاوضاع الانسانية عن طريق الكشف عن القوانين الحتمية الخاصة بالوقائع، ينظر : جاك هارمان، خطابات علم الاجتماع في النظرية الاجتماعية، تعريب : أ. د. العياشي عنصر، دار المسيرة، الاردن، ط١، ٢٠١٠م، ص ٢٣.

١ - د. عبد العزيز بو الشعير، النظام المعرفي في الفكرين الاسلامي والغربي، منتدى المعارف،

بيروت، ٢٠١٤م، ط١، ص ١٤٨.

المجتمع، وكانت فلسفته الوضعية : بمثابة تجسيد للرغبة في طرح المشكلات الاجتماعية باعتبارها مشكلات علمية، خاضعة لإجراءات صارمة وقابلة للمراقبة، وتستلهم المناهج السائدة في العلوم الدقيقة والطبيعية، مثل المناهج الكمية والرياضية وحساب المتغيرات، أو ما يعرف بالمناهج الرسمية في البحث العلمي.

الا أن التيار الطبيعي ومن رواده أوغست كونت لم يصمد طويلاً أمام النقد وقد أثبت الباحثون وأدركوا حجم الفارق بين الموضوعات الطبيعية الجامدة وتطورها، وموضوع المجتمع وتصرف الأفراد فيه .

الكثير من الدراسات الاجتماعية في العالم التي اعتمدت المقاربات الطبيعية في اكتشاف القوانين الاجتماعية أو حساب الارتباط والانحدار في تقرير الظواهر الاجتماعية الجزئية وترسيم العلاقة بين المتغيرات، لم تكن موفقة في نتائجها، هذه الدراسات الاجتماعية انتهت الى الانزواء والاهمال، إما لعدم توخي الدقة العلمية والمنطقية في احتواء المشهد الاجتماعي، إذ أهملت عند دراسة الظواهر المجتمعية، الجوانب الدينية أو المذهبية أو الفلسفية التي تشكل اساسات النظم الاجتماعية، أو لغياب الدقة في حساب الجدوى الحقيقية عند تحديد أهداف هذه الدراسات والبحوث .

مهدّ هذا التراجع في التيار الطبيعي والفلسفة الوضعية المساندة له، باتجاه اعطاء الاولوية للتيارات الاخرى، وفي مقدمتها التيار الجدلي والمؤسسي في بحث الظواهر الاجتماعية وفتح الباب واسعاً أمام عمليات الفهم العقلي والتأويلات العديدة للظاهرة الاجتماعية .

وعلى كل حال فقد انقسم المجال العلمي في بحث المسائل الاجتماعية الى تيارين أساسيين : الاول : وهو التيار الذي اختار الابعاد الروحية والفكرية والثقافية، كعوامل فاعلة وقطاعات قائمة في عمليات التغير الاجتماعي، وهناك التيار الذي يرى في العوامل المادية والاقتصادية والتقنية، هي العوامل المحركة للتغير الاجتماعي، مع اتفاق الجميع على أن التغير إنما يأتي من الداخل الاجتماعي وفي اطار العناصر المتحركة في داخل البنية وليس يأتي التغيير من الخارج

(وضمن اطار النظريات التي تؤكد على أن العوامل التي تبت بالتغير الاجتماعي تنشأ من المجتمع نفسه، نرى أن أعمق وأهم جدل هو ذلك الجدل القائم بين أولئك الذين يقولون بأن القوى الرئيسة المحركة للتاريخ الانساني تكمن في المجالات الروحية وبين أولئك الذين يرونها كامنة في المجالات المادية، بين أولئك الذين يؤكدون على دور الفكر، وأولئك الذين يؤكدون على دور العوامل الاقتصادية، بين أولئك الذين يشددون على دور الثقافة، وأولئك الذين يشددون على دور التقنية)^١.

ثم تطور البحث من التغير التلقائي الى مجال التغيير المخطط والمدرس ووضع الاستراتيجيات التغيرية، وسنقف عند أنماط مهمة من المعارف المختلفة في البحث الاجتماعي، سواء كنظرية في فهم الواقع القائم أم كأسلوب في التغيير، والمشكلات التي تعترض البحث الاجتماعي .

١ - اميتا اتزوني، وايفا اتزوني، التغير الاجتماعي، مصادره، نماذجه، نتائج . ترجمة : محمد احمد حنونه، ومراجعة : عبد الكريم ناصيف، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، ط١، ١٩٨٤، ص ١٥.

ونتيجة العمق التاريخي لمجتمع طريق الامام ﷺ، وتعدد الحثثيات في هذه الحقيقة الحضارية من : أنطولوجيا الثورة ومراد التأثيرين، وأنطولوجيا التاريخ وكتابات المؤرخين، ومجتمع العشاق للوجود الحسيني والدوافع عند الزائرين، كان لابد من أرساء منهج متكامل جامع وأسلوب لفهم ابعاد مجتمع طريق كربلاء في ضوء هذا العطاء العلمي الجامع لنظرية المعرفة الاسلامية والغربية .

ومن المهم أن نؤكد على أن النظريات أو المدارس في الفكر الاجتماعي، إنها جميعاً ذات فائدة في دراسة المجتمع الحسيني ولا يمكن الاستغناء عن شكل معرفي من هذه الأشكال أو الاكتفاء بنمط محدد في مرحلة الفهم، وإن كنا لا نلتزم في مرحلة التبني أو تكوين القناعات بالتوجهات الغربية في مجالات محددة لا تتفق مع مسلمائنا الاسلامية ولاسيما نصوص القرآن الكريم.

الاسلاميون يعرفون أن التنظير طبقا للتعاليم الاسلامية غير ممكن من دون وضع منهجية محددة، ومن هنا نلاحظ كيف تحفل مصادر الاجتماع الاسلامي ولاسيما في مداخلها بالأطر المنهجية، الشارحة للمفاهيم، وقضايا المنهج كالتجربة والقياس، والنظرية أو الفروض، والعلم في المجال الاجتماعي، كما تحفل بالدراسات المقارنة، وذلك لأهمية هذا الموضوع في صياغة التنظير.

لا يستبعد الاسلاميون الاستفادة من كل الامكانات العلمية التي يتوافر عليها سواء التيار الطبيعي والمنطقية الوضعية ومنهجهم الاستنتاجي، أم التيار الاجتماعي - التاريخي والمنهج الاستقرائي، في بناء النظرية الاسلامية الاجتماعية.

فهم يقسمون مراحل البحث النظري الى قسمين اساسيين : الاول، مرحلة وضع النظرية والتدوين، وما تتطلب من الملاحظة وجمع البيانات وتحليلها، والفهم بكل الوسائل المتاحة الاستقرائية أو الاستنتاجية، وصولاً الى وضع النظرية بغض النظر عن الاحتكام الى المعايير الشرعية أو الاخلاقية .

المرحلة الثانية : هي مرحلة تقييم النتائج والاستفادة من النظرية في ضوء التعاليم الاسلامية، (بالنسبة للعلوم الانسانية، يجب فصل مرحلة الجمع والتدوين عن مرحلة التقييم، وبالتالي يمكن الاستعانة بمختلف المجالات الفكرية والثقافية عن بلورة النظرية، لتقديم قضية قابلة للتجربة)^١ .

كما نؤكد أن ذكر هذه الموارد المعرفية بهذا التسلسل لا يشكل بنفسه فهماً لآليات التقديم والتأخير في مرحلة الممارسة المعرفية، والباحث هو من يعمل على تفعيل مصادر المعرفة على وفق المنهج الذي يختاره في التقديم والتأخير، من أجل تحقيق شروط الموضوعية والحيادية في البحث .

المطلب الاول : المعرفة الحسية :

تركز هذه المعرفة على الانطباعات الحسية المتكونة عن السلوك الخارجي وعن الموضوع المبحوث أو الكيان الاجتماعي، والملاحظات الأولية والخبرة الشخصية التي يكتسبها الباحث من خلال المعاشة ولا تحتاج الى الحجج والبراهين، وفي المجال الاجتماعي تظهر أهمية هذه الخبرة الحسية في الاختلاط أو الاندماج في

١ - حسن آقا نظري، التنظير في الاقتصاد الاسلامي - دراسة في امكانه ومنهجيته، تعريب :

حسين صافي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، ط١، ٢٠١٢م . ص ٢٤٣.

الوسط الاجتماعي والمعيشة اليومية للناس المراد معرفتهم تجريبياً، وقد ارتبطت هذه المعرفة في مرحلة من مراحل التطور العلمي في مجال السييسولوجيا بالاتجاه الوضعي ومدرسته الطبيعية في البحث عن القوانين وفلسفته الحسية في المعرفة .

تمثل الملاحظة الخارجية والاختبار الحسي. الموضوعي العامل الوحيد الموجه للنظريات العلمية، بينما يتم رفض الفهم والتصور الداخلي بوصفهما مناهج لا تخضع للمراقبة، موقف تجسده الحسية Empirism^١.

من الناحية الحسية، يعدّ مجتمع الزائرين اليوم، كشل اساسي من اشكال التشكل الاجتماعي الدائم في مجتمعنا العراقي، فهو ليس بالظاهرة العابرة أو النسبية، بل هو : مكون أو عضو أو كيان من اعضاء البنية الاساسية لمجتمعنا، وجهاز قائم يتسم بالدوام والتكرار في العمل والوظيفة، وهذه معرفة حسية لهذا المجتمع، إذ انه ليس ظاهرة، قابلة للاختفاء احياناً، ويمكن ان لا نحس بها في بعض الاوقات، بل هو جهاز متكامل من اجهزة الجسم الاجتماعي كما هو واضح في المجتمع العراقي وغير قابل للإزالة أو الاختفاء شأن الظاهرة النسبية.

ولا ريب أن هذا الوجود الحسي المستديم، يشكل عنصراً جاذباً باستمرار لانخراط اعداد اخرى في مجتمع الزائرين ولو بشكل انضمام شكلي ودون امتصاص قيم ومثل هذا المجتمع ومحتواه الحضاري والثقافي، وبذلك يكون حضورهم حسيّاً وفي

^١ - جاك هارمان، خطابات علم الاجتماع في النظرية الاجتماعية، تعريب : أ. د . العياشي عنصر،

اطار ملاحظة السلوك الخارجي ومحركاته، مع الاحتفاظ بذات الدوافع والتوجهات غير النبيلة أو غير الدينية أو الروحية في التحرك.

نلاحظ العديد من السائرين يتحدثون عن مجتمع الزوار وعن العاملين في مجال الخدمات استناداً الى معلوماتهم الحسية والخبرة العادية التي حصلوا عليها من المخالطة والتعايش أو الانطباعات الشخصية التي تكونت لديهم .

ومن مشكلات هذه المعرفة الحسية أو الشخصية أنها لا تعطي تصورات دقيقة عن المشهد الاجتماعي المبحوث والواقع الكلي، ويعمل الملاحظ على تعميم هذه المشاهدة الحسية بدون الاستناد الى الدليل العلمي، فيقع في التناقض مع مشاهدات أخرى غير مطابقة، أي تعميم التصور الجزئي على الموضوع الكلي خلافاً للدقة العلمية .

ومما نسمعه في هذا المجال من بعض الناقدين، لمجتمع طريق كربلاء في انما يأتي في ضوء الخبرة والملاحظة الحسية وعدم التمييز بين المعطيات الكلية والجزئية، في نقدهم للحصيلة الثقافية أو الاخلاقية للزائرين بعد انتهاء مراسم الزيارة، أن فلاناً الفلاني، لم تؤثر فيه الزيارة أو الخدمة في طريق الامام وأنه قد رجع من الزيارة خال من كل معالم التقدم الأخلاقي ، بمعنى دون الزيادة في الايمان أو العمل الصالح، مع أن الكلام هو الزيادة الكلية والنمو الكلي في عموم مجتمع طريق الامام، وليس الحديث عن الشواهد الجزئية، كالحديث مثلاً عن النمو الكلي للدخل الوطني الذي يشمل نمو دخول كل الأفراد افتراضاً، وليس الكلام عن شخص أو شريحة معينة

قد يكون حصل تراجع في دخلها بسبب خاص هو تراجع قطاع أو حقل معين في الاقتصاد الوطني .

المطلب الثاني : المعرفة النقلية :

تشكل المعرفة التاريخية والتراثية رافداً أساسياً في فهم تكون هذا المجتمع وتطوره البنيوي والوظيفي، فجذلية النص والواقع تتجلى هنا في واحدة من اصدق الشواهد في قدرة الواقع على تمثيل النص التاريخي أو النص الديني أو التراثي وإعادة انتاجه بشكل أكثر تأثيراً وظهوراً مع مرور الزمن .

والمقصود بالمعرفة النقلية في المجال المعرفي الاسلامي العام، هي الاستناد الى القرآن الكريم والاحاديث الشريفة والموروث العلمائي والشعبي الذي تتناقله الاجيال من جيل الى آخر وتتعهد بالحفظ والتقدير والتأويل والاشتقاق .

وفي مجتمع طريق كربلاء تتفاعل هذه المعرفة بأشكال متعددة، وكلها تصب في خدمة تعاظم دور هذا المجتمع وزيادة عدد الزائرين في كل عام، حتى بلغ أكثر من خمسة عشر مليون زائر حتى عام ١٤٣٥هـجري. ويربط البعض بين تكامل المجتمع العراقي وبين تفاعله مع النص المعصوم، وصولاً الى تحقق دولة العدل الإلهي، عبر متوالية من الانزياح المستمر، أو القطائع مع المجتمع التقليدي السائد، عبر آليات النقد لهذا المجتمع والترشيد، ومحاولة الافلات من اكراهاته اليومية في المجالات الحياتية كافة.

يرجع بعض الزوار هذا التقليد في بعده الاجتماعي في التواصل مع الشهداء في الملحمة الحسينية والزيارة الى الصحابي الجليل : جابر بن عبد الله الانصاري .

فيما يرى آخرون أن السير الى كربلاء هو مقتضى المواساة الاجتماعية مع الاسرة الكريمة، الطاهرة من اهل البيت عليه السلام، التي قطعت مسافات كبيرة في طريق العودة من الشام الى العراق من أجل دفن الرؤوس والزيارة للشهداء .

وكل هذه الرؤى والتصورات عن مجتمع طريق الامام سواء على مستوى أسباب الحشد، أم على مستوى الزيادة المضطردة، تستند الى التراث الروائي والنصوص التاريخية.

المطلب الثالث : المعرفة العقلية :

يقال إن إدراك الإنسان للأشياء ورؤيته لها كما هي في الواقع هو المعرفة، وهو يدركها كما هي بواسطة الحواس، لكن تأويله لهذه الأشياء التي لاحظها وطريقة تفسيره لها، ومنهج توظيفه لأبعادها ومحتواها والمعاني التي نسبها للظاهرة بالتأكيد لا يكون من اختصاص الحواس، بل بواسطة القوة العقلية التي يحملها أو المسبقات الفكرية والقبلات التي يسقطها على الظاهرة من أجل تفسيرها، وهذا هو النظر العقلي أو المعرفة العقلية.

وفي مجال المجتمع فإن الباحث العقلي الذي يطالع الظاهرة الاجتماعية ويلاحظ الجوانب المختلفة فيها، لابد أن يشكك في كثير من المسلمات التي تقال بشأن الظاهرة وتفسيرها، سلباً أو إيجاباً، ويحاول أن يقارب الظاهرة في ضوء فلسفته الحياتية ونظامه الفكري والايديولوجيا التي استمدتها مسبقاً من المحيط أو المجتمع الذي يعيش فيه الباحث .

من هنا تتأكد خطورة الفلسفة أو الايديولوجيا على الباحث، فهي تعمل كنسق فكري موجه، يكون اساس سلوك الباحث وعمله اليومي واساس علاقاته وتفاعلاته مع الآخرين وكذلك مع الموضوعات التي يتعامل معها بالبحث كالمجتمع وطريقة فهمه للظاهرة الاجتماعية، ومن هنا ايضاً، تطرح مسألة الحيادية في البحث الاجتماعي على المحك عند الكتابة عن المعرفة العلمية في المجال الاجتماعي.

وفي مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام، لابد من عرض الفهم السائد لدى الزائرين بحيادية، وذلك عن طريق الاستبيان المفتوح، والحضور المباشر، بمعنى عقد اللقاءات مع جموع السائرين، لمعرفة التوجهات الايديولوجية والفلسفة المحرضة على المشي الى كربلاء، ونوع العقل الذي يتمتع به هؤلاء الناس.

المطلب الرابع : المعرفة العلمية المتكاملة.

بعد أن عرضنا لأنماط المعرفة الاحادية، بمعنى ذات الطريق الواحد في تلقي الظاهرة، كالمعرفة الحسية الانطباعية، أو المعرفة العقلية التأويلية، أو المعرفة النقلية التداولية، وكلها طرق تعاني من مشكلة الحصر المنهجي، نصل الآن الى المعرفة العلمية البحثية المتكاملة .

من أهم سمات هذه المعرفة هي التعددية المنهجية في التناول للموضوع، بمعنى النظر الى الظاهرة من زوايا متعددة من أجل الوصول الى الموضوعية أو اليقين العلمي، بمعنى معالجة الموقف البحثي في ضوء تعددية المناهج أو ما يعرف اليوم ب (العبر - منهجية)، من أجل الوفاء بتحقيق شروط النماذج المعرفية العلمية الموصلة للفهم السليم، والقادرة على ملامسة واقع واسرار الظاهرة بصدق، ولاسيما عند تناول

الظاهرة الاجتماعية ذات الابعاد الاعتقادية والثقافية والفكرية الدينية الكثيرة، كمجتمع طريق الامام عليه السلام، الذي يتشكل من فئات اجتماعية مختلفة، ذات تنظيم ذاتي تراكم الوعي بضرورته تاريخياً، وذات محتوى فكري وثقافي وأخلاقي يمنحهم التصورات والرؤى ويشكل لديهم الدوافع السلوكية المختلفة، وبالتالي نلاحظ الانشطة المختلفة والفعاليات في هذا المجتمع.^١

ومع هذا التنوع في التكوين الاجتماعي، والبناء الفكري، والدوافع المتعددة والاهداف من الحضور في مجتمع طريق كربلاء، بشكل منتظم، لابد أن تتطافر المناهج البحثية من أجل بيان ابعاد هذا التحرك المجتمعي، ورصد آثاره الداخلية والخارجية ولاسيما استشراف الاثار البعيدة المدى :

(إن تضافر المناهج ورؤية المستويات الثلاثة - الاجتماعية والفكرية والدافعية - تساعد على اكتمال الرؤية وشمولها، فالمنهج الاجتماعي، والعرض الفكري النظري، والتحليل النفسي التاريخي، كل ذلك يساعد على فهم الظاهرة، ورؤية جوانبها المختلفة دون الوقوع في الرد المنهجي واعتبار الظاهرة اجتماعية خالصة او نفسية خالصة او سياسية صرفة أو اقتصادية تعبر عن الازمة الاقتصادية

١ - في الدراسات الدينية يتم تقسيم المعارف الى : المعارف العقائدية العقلية، والمعارف الاخلاقية، والمعارف العملية التطبيقية، وفي مجتمع طريق كربلاء نلاحظ أن التسلسل المعرفي يبدأ من ملاحظة المظهر السلوكي العملي، ثم الجانب الداخلي الاخلاقي - وأخيرا التصورات العقائدية التي تحكم أو توجه مجمل العواطف والسلوك العملي.

في المجتمع، فذلك كله ابتسار للظاهرة ناتج عن تعصب للمنهج أو رغبة دقيقة للتقليل من أهمية الظاهرة واستقلالها)^١.

وفي إطار بيان جدلية الارتقاء في مجتمع طريق الامام ستتضافر كل هذه الانماط من تحصيل المعرفة : الحسية والنقلية والعقلية والامتكاملة من أجل الوقوف على تفصيلات واسرار مجتمع طريق الامام ﷺ، سواء في الجانب البنيوي أو الناحية الوظيفية أو طريقة الانتشار الثقافي والفكري لمضمون هذا الاجتماع الانساني في الاوساط الانسانية، وكذلك اسباب نموه وتطوره السريع في زمن العولمة وسرعة الاتصالات والتوافر على الوسائل الاعلامية بشكل غير مسبوق .

١ - د. حسن حنفي، الحركات الاسلامية في مصر، الهدى، المؤسسة الاسلامية للنشر، بيروت،

المبحث الثاني :

مداخل البحث في (السيسولوجيا والانثروبولوجيا) : (المذاهب، النظريات، التطبيقات)

أولاً : الرؤية المذهبية للمجتمع والثقافة:

الكلام عن الرؤى المذهبية وقضايا المبادئ والقيم الروحية والمادية بات يتقدم من الناحية المنهجية كل أصناف الحديث في مجال صناعة الخطاب في العلوم الانسانية، سواء في المجال الاقتصادي أم المجال السياسي أم المجال الثقافي، وغير ذلك من المجالات والحقول في الدراسات الاجتماعية والانسانية، فلا يمكن الحديث عن النظرية الاقتصادية أو السياسات الاقتصادية مثلاً، الا في اطار من تحديد المذهب الاقتصادي اولاً، وتحديد نوع النظام الذي يجري فيه النشاط الاقتصادي وفيما إذا كان يعمل على وفق المذهب الاقتصادي الاشتراكي أو المذهب الرأسمالي، وكذلك إن كان النظام رأسمالياً، فهل هو من النوع الذي يعطي دوراً فاعلاً للدولة وتحقيق الرفاه العام أم أنه من النوع الذي يقدم قوى السوق ذاتي التنظيم في كل المجالات ولا أثر فيه لدولة الرفاه وعملها ؟ :

(المجال الاجتماعي وعالم الظواهر الاجتماعية ليس متجانس البنية، فهو لا يشمل أنظمة ومؤسسات اجتماعية واقتصادية وحسب، بل جوانب ثقافية واشكالاً معينة للوعي الاجتماعي، ولهذا يقول عالم الاجتماع اليوغسلافي زيفكوفيتش : إن قضية العلاقة بين الفلسفة والعلم في مجال العلم الاجتماعي ليست قضية عديمة الأهمية، بل تعتبر قضية أولية في علم الاجتماع، وهي تنبع من السمات النوعية

للعمليات الاجتماعية، وبالتالي من المضمون الحقيقي للمجتمع، ومن ثم فإن حلها يحدد سمة المقولات الأساسية للعلم الاجتماعي وبنيته المنطقية بأسرها)^١.

من هنا يتضح أهمية العامل المذهبي والفلسفي عند الحديث عن المجتمع ونوع النظام الذي يسير عليه، فهو عامل يؤثر في صياغة النظريات التي تريد أن تشرح أو تفسر ما يدور من حراك في هذا المجتمع، من حيث التكوين والطبقات ونوع الدولة والقانون، والمحتوى الفكري والنشاط الثقافي والاقتصادي والسياسي الذي يجري فيه بل يذكر : إن تاريخ الفكر الفلسفي في العالم عامة، وفي أوروبا خاصة هو تاريخ البحث عن الرؤية الكونية القادرة على توفير الوعي الكامل بالحقيقة والتي تنعكس بعطائها على البناء الثقافي والأخلاقي وتوفير السعادة وإنقاذ البشرية من الشقاء^٢.

ومن النصوص المهمة والرائدة في هذا المجال ما ذكره السيد الصدر في كتابه : فلسفتنا، كشاهد على أهمية المذهب وأثره على النظام الاجتماعي والبناء الثقافي، عندما استهل الكلام في كتاب : فلسفتنا، عن المسألة الاجتماعية وربطها بالمجال الفلسفي قائلاً :

(مشكلة العالم التي تملأ فكر الانسانية اليوم، وتمس واقعها بالصميم هي مشكلة النظام الاجتماعي التي تتلخص في محاولة إعطاء أصدق إجابة عن السؤال

١ - د . أحمد القصير، منهجية علم الاجتماع بين الماركسية والوظيفية والبنوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م، ط١، ص٤٢.

٢ - البرت اشفيتسر، فلسفة الحضارة، ترجمة : د . عبد الرحمن بدوي، مراجعة : زكي نجيب محمود، المؤسسة المصرية للكتاب، ١٩٦٦م، ص٨.

الآتي : ما هو النظام الذي يصلح للإنسانية وتسعد به في حياتها الاجتماعية ؟ . . . وقد دفعت هذه المشكلة بالإنسانية في ميادينها الفكرية والسياسية الى خوض جهاد طويل، وكفاح حافل بمختلف ألوان الصراع، وبشتى مذاهب العقل البشري التي ترمي الى إقامة البناء الاجتماعي وهندسته، ورسم خططه ووضع ركائزه، وكان جهاداً مرهقاً يضج بالمآسي والمظالم، ويزخر بالضحكات والدموع، وتقترن فيه السعادة مع الشقاء، كل ذلك لما كان يتمثل في تلك الألوان الاجتماعية من مظاهر الشذوذ والانحراف عن الوضع الاجتماعي الصحيح، ولولا ومضات شعت في لحظات من تاريخ هذا الكوكب، لكان المجتمع الإنساني يعيش في مأساة مستمرة (١).

ومن الواضح اليوم أن نوع النظام الاجتماعي والثقافي للمجتمع إنما يتبع الرؤية الكونية والاعتقادية لذلك المجتمع بشكل كبير، كما أن هذه الرؤية الكونية الاساسية التي تغذي ثقافة المجتمع وحضارته، نفسها تتشكل عن طريق أسلوب الناس في التفكير وتحصيل المعرفة ومصادرها ومناهجهم في الفهم والاستدلال، ومن هنا قدم السيد رحمه الله تعالى البحث في نظرية المعرفة وطرائق الفهم على كل بحث.

من السهولة الكلام عن التغيير في المجال الاقتصادي أو نقل المجتمع من حالة الفقر والتخلف الى حالة الصناعة والتقدم والحضارة والازدهار الاقتصادي، إذ أن هذا التغيير عادة لا يمس قيم المجتمع الدينية والاجتماعية وتبديل العادات والتقاليد

السائدة الا بشكل طفيف وغير جذري، فيجري التغيير عادة تحت سقف نفس الدين ونفس القيم الاجتماعية السائدة .

وكذا الحال في مجال التغيير الاخلاقي والنضج العاطفي والانفعالي، فجميع النماذج التطويرية المطروحة في مجال الانتقال بالأخلاق من حال الى حال هي نماذج تتحدث تحت السقف الديني والاجتماعي بلا تفكير في تبديل مثل هذا السقف الاعتقادي.

ومن هذين النموذجين يتبين حجم الصعوبة في مجال التغيير الذي يطال اسلوب التفكير في المجتمع أو قيم ذلك المجتمع ونوع الدين والعادات والتقاليد واعادة النظر في المؤسسة الاجتماعية.

ومن هنا نؤكد أهمية مجتمع طريق الامام ليس في مجال التفكير بتغيير النظام الاجتماعي وإنما هو يؤثر في طريق التفكير ومسارات العقل في الفهم والتحليل ومعالجة المسائل بما في ذلك مسائل الرؤية الكونية التي يمكنها أن تغير نوع الثقافة التي يتبناها الشخص فيما تبقى من عمره على هذه الارض .

ولعل دراسة ماكس ووبر في مجال علاقة المذهب البروتستانتي بنهوض الرأسمالية من النماذج الشاهدة على هذا التداخل الكبير بين البحوث الاجتماعية ومجالات الدين والاقتصاد والسياسة والتكيف الفكري .

ثانياً : النظرية الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية :

المجتمع يتكون من النظم الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية التي نعيش فيها حياة متفاعلة ومترابطة، مع ملاحظة أن تلك النظم والعلاقات تتسم بأنها ملموسة ومحسوسة ومجردة في نفس الوقت ١.

وفي ضوء نظرية المعرفة التقليدية، يدرس الباحث قضايا المجتمع في ضوء حزمة من العلوم التي انفصلت توا عن الفلسفة، يدرس الجوانب السياسية، والجوانب السيكولوجية، والاقتصادية الطبقيّة، والعادات والتقاليد التاريخية، وغير ذلك من الموضوعات، ومن الواضح أن هذه الموضوعات مرتبطة بالثقافة والانموذج السائد لها.

ومع تطور نظرية المعرفة وفلسفة العلوم، صار لعلم الاجتماع موضوعه الخاص به الذي يدرس من جوانب مختلفة في ضوء المناهج العلمية المتداولة، كالمنهج الوضعي الباحث عن القوانين العامة في الفضاء الاجتماعي وكأنه فضاء طبيعي من الموجودات الحيوية، أو المنهج التاريخي الجدلي الذي ينظر الى المجتمع كفضاء من الصراع والتنافس وهنا يدخل الانموذج الثقافي كعامل اساسي في استمرارية النسق الاجتماعي المهيمن .

ومع تفاقم الفشل في الكثير من المناهج وفي المقدمة منهج المقاربات مع الطبيعة، في مقارنة المسائل الاجتماعية، كان لابد من اعتماد طرائق مبتكرة في

١ - ميل تشيرتون، وآن براون ، علم الاجتماع : النظرية والمنهج، ترجمة : هناء الجوهري،

المركز القومي للترجمة، الاصدار : ٢٠٧٥، القاهرة، ٢٠١٢ م، ط١، ص١٩.

مقاربة الواقع وترسيم نمودجه الامثل وكذلك في النظر الى المستقبل، فجاء منهج الفهم أو التأويل، ويقوم على اساس النظر الى المجتمع كفضاء عام لابد من إعمال الملاحظة العلمية في كل ما يراد دراسته أو البحث فيه، وذلك من خلال رصد الموقف الاجتماعي الحيوي، ثم محاولة الفهم في ضوء القبليات والمعارف السابقة واعمال المقاربات التي تساعد على توطين الفهم السليم للموقف، ومن ثم الخروج بتفسير منطقي وشرح لكي يمثل جزءاً من النظرية الاجتماعية، وبذلك يندرج في اطار أنموذج عام قادر على تمثيل النظام العام والعلاقات في ذلك المجتمع .

ذكرنا في البحوث السابقة من هذا الفصل كيف أن الاسلاميين لا يستبعدون الاستفادة من كل الامكانات العلمية التي تتوافر عليها المناهج العلمية سواء التيار الطبيعي والمنطقية الوضعية ومنهجهم الاستنتاجي، أم التيار الاجتماعي – التاريخي والمنهج الاستقرائي، في بناء النظرية الاسلامية .

وهم يقسمون مراحل البحث النظري الى قسمين أساسيين : الاول، مرحلة وضع النظرية والتدوين، وما تتطلب من الملاحظة وجمع البيانات وتحليلها، والفهم بكل الوسائل المتاحة من : الاستقرائية أو الاستنتاجية أو المعلومات التراثية أو الوحي، أو الحدس والعرفان، واستلهم كل المقاربات أو التفكيكات التأويلية، وصولاً الى وضع النظرية بغض النظر عن الاحتكام الى المعايير الشرعية أو الاخلاقية في هذه المرحلة .

وفي المرحلة الثانية : هي مرحلة تقييم النتائج والاستفادة من النظرية في ضوء التعاليم الاسلامية، بالنسبة للعلوم الانسانية ومن جملتها علم الاجتماع، يجب فصل

مرحلة الجمع والتدوين عن مرحلة التقييم، وبالتالي يمكن الاستعانة بمختلف المجالات الفكرية والثقافية عن بلورة النظرية، لتقديم قضية قابلة للتجربة .

ثالثاً : السياسات الاجتماعية والثقافية:

أدرك الغربيون أهمية الأفكار والمذاهب والفلسفات أو الثقافة بشكل عام، في رسم السياسات وصناعة القوى الاقتصادية والاجتماعية المهيمنة، فمع تركز الأفكار والثقافة باتجاه معين تتبلور قوى وحواضن تعتمد هذه الاطروحات في تسير المجتمع ورسم توجهاته المستقبلية .

وعند دراسة المجتمع الاسلامي القديم من قبل المستشرقين تم تأشير أهمية الأفكار الكلامية والفرق في التأسيس للقوى الاجتماعية والاقتصادية التي تهيمن على رسم السياسات واحتكار السلطة في العالم الاسلامي والتي استمرت آثارها حتى الآن ١ .

وفي الغرب الحديث صار يجري الحديث عن السياسات الاجتماعية في اطار الكلام عن مكافحة الفقر والحدّ من التخلف والامراض الاجتماعية وفي مقدمتها الاستبداد السياسي للأسر الارستقراطية والاقطاعية والاستبداد الديني لرجال الكنيسة ومحاكم تفتيش القرون الوسطى التي تم تجاوزها مع عصر النهضة والحداثة شيئاً فشيئاً، والتي كانت تطارد العلماء في قلب عصر الانوار والحداثة، ومن شواهد هذا العماء ما حصل للعالم الكبير غالييليو .

١ - جوزيف فان أس، علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة، الجزء الاول،

ترجمة : د. سالمه صالح، منشورات الجمل، بغداد - بيروت ، ٢٠٠٨م، ط ١، ص ١٠٨ .

اما في عصر الانتقال من التغير الاجتماعي التلقائي الى اعتماد آليات الانتقال المخطط والتغيير الثقافي المرسوم في أروقة التخطيط الاستراتيجي وبرمجيات التنمية التي تستهدف اعادة بناء المجتمع وهياكله الاساسية، فقد اتضح الدور الكبير للسياسات التغييرية في المجال الاجتماعي وتوجيهها .

فلكي يواصل الغرب المتقدم اليوم تطوره الاقتصادي والحضاري المستدام والبقاء في صدارة الركب المتصدي للتصدير ونتاج السلع الدولية وجني ثمار العولمة التجارية، لابد أن يمارس ويستمر في النهب للثروات الهائلة الموجودة عند الشعوب البائسة في الشرق والجنوب وذلك من خلال الابقاء لهذه البلدان على تخلفها الثقافي والعلمي والاجتماعي.

وكان لسياسات (فرق تسد) في المجال الاجتماعي دورها الحاسم في بث الفرقة بين الحواضن الاجتماعية للمسلمين . وذلك من خلال تخريب المجال الثقافي عن طريق الطائفيات والعنقيات وتوظيف هذه العوامل في تمزيق المجتمع الاسلامي وما لاحظه العالم من الدعم الغربي والامريكي اللامحدود للنموذج الارهابي اللوهابية وفرق الموت المنبثقة منها خير شاهد على هذه السياسات .

وهنا يأتي دور البعد الثقافي لمجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام والفكر الثوري والنهضوي الذي يقدمه لبيان الرؤية القادرة على صياغة عمليات اعادة بناء السياسات الاجتماعية من أجل توحيد العالم الاسلامي .

ومن الشواهد المهمة على أهمية الزيارة ونشاط مجتمع طريق الامام عليه السلام ما تم تأكيده من أكثر من مصدر حكومي عراقي في وزارة الداخلية العراقية وفروع

الشرطة المحلية في المدن والمحافظات من انخفاض نسب الجريمة والمشكلات الجنائية إبان الزحف الجماهيري الواسع الى كربلاء، وسيادة قيم على ثقافية واخلاقية من قبيل : المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، أو لا يجوز اخافة انسان ولو بنظرة، الامر الذي يؤكد قدرة مجتمع طريق الامام على تخفيض المشكلات الاجتماعية العويصة وتعديل السلوكيات حتى عند اصحاب الانحرافات النفسية الخطيرة.

وفي إطار بيان جدلية الارتقاء ومنهجها العلمي في دراسة مجتمع طريق الامام ستتضافر كل المعطيات الفكرية والعلمية في المجالات الاساسية : المذهبية والنظرية وطريق تطبيق السياسات الاجتماعية التي توفرها الدراسات السابقة في المجتمعات الأخرى العديدة من أجل الوقوف على الابعاد الحقيقية لتفاعلات هذه الجدلية بين مجتمع طريق الامام وغيره من الحواضن، وعلى مستوى جميع الآثار والمجالات ومنها المجال المستقبلي وطرائق التفكير التي يعتمدها المجتمع في : الفهم والنقد وانتاج الممارسة الاجتماعية، التي تتبدل بفعل المؤثرات الاحتكاكية بين الحواضن الاجتماعية المتفاعلة .

المبحث الثالث : طرائق البحث الاجتماعي والثقافي

(الوصف، الكشف، التشخيص، التقويم)

توطئة :

الباحث العلمي في مجال المجتمع والثقافة، لا يمكنه التقدم في عمله أو الابداع فيه عند خوض مضمار الدراسة الاجتماعية والانموذج الثقافي، بدون الاطلاع والتمرس في معرفة هذه المناهج والطرائق وأساليب الاستفادة منها في تحقيق الاهداف المنشودة من البحث الاجتماعي وبلوغ الجدوى المحددة سلفاً، وفي مجتمع طريق الامام تتعدد الجهات المراد البحث فيها، فهناك : الثورة الاصلاحية للإمام الحسين، وهي الاصل في الموضوع، ويندرج في بحثها النص الحسيني، ومراده من هذه الحركة الاصلاحية وأهدافه التي أعلن عنها في كلماته، وهنالك الثورة في مسارها التاريخي وبنيتها السياقية في مجمل الحراك الثوري الاسلامي، وكيف اثرت فيما بعدها من الحركات الاصلاحية والثورات .

وهناك اليوم الفهم المعاصر في زمن تعدد القراءات، والدوافع المختلفة التي تفسر هذا الحضور الهائل للزائرين وأساليبهم الكثيرة في قراءة كل هذا المشهد المتعدد الابعاد ، ومن هنا ندرك أهمية المداخل المعرفية والطرائق العديدة لفهم مجتمع طريق الامام عليه السلام .

أولاً : طريقة البحث الوصفي (Descriptive Research) :

من أهم خواص هذا الأسلوب البحثي وسماته، الاعتماد على وصف الواقع الاجتماعي كخواص وسمات عامة وخاصة، بدون وضع فرضيات مسبقة أو لكشف عن مدى صحتها، فهو منهج معد أصلاً للوصف وليس للاستدلال، وعادة ما تكون الدراسة الوصفية : شاملة ومستفيضة ويستلزم ذلك من الباحثين الدقة في جمع ووصف الأشياء والوقائع والحقائق، وذلك بالاستناد الى خطة أو تصميم بحثي يتناسب مع ضرورات توصيف المجتمع المبحوث توصيفاً علمياً دقيقاً، وقد يكون ذلك من خلال الاعتماد على الحقول والمحاور المتعددة من أجل ضبط جمع المعلومات وتوزيعها بالشكل الذي ييسر عملية العرض والتحليل .

ويعد الطريق الوصفي من منجزات الفلسفة الوضعية المحدثّة المبكرة في البحث عن الخواص والسمات سواء في المجتمع أم في الطبيعة على حد سواء، يقول سالم يفوت :

(تعتقد الوضعية المحدثّة بصورة عامة بتساوي التفسير والوصف، أي انها ترى في تفسير ظاهرة ما اعطاء خواصها ووصف مميزاتها مثلما نفعل حينما نفسر كلمة - هيدروجين- بأنها تدل على غاز او جسم غازي كثافته الذرية كذا.... قابل للاشتعال اكثر من الاوكسجين، له الكترون واحد، فالتفسير ليس شيئاً سوى

اعطاء وصف مسهب ودقيق، كما ان قيمة النظرية العلمية تكمن في الاكتفاء بتحليل وترتيب معطيات الملاحظة)^١

وفي الكلام عن مجتمع طريق الامام ﷺ، سنعمل على اعتماد مفهوم النظرية الاوسع، أي الذي يرى أن النظرية لا يمن اختزالها في التوصيف والتفسير فحسب، الامر الذي قد نلاحظه في دور الإعلام المحدود، فرغم أنه دور محوري في تقديم التوصيفات المصورة لهذا المجتمع والمشاهد المشرقة للبذل والتضحية في هذا السبيل، الا أنه غير قادر بشكل عام على تكوين نظرية عن هذا المجتمع قادرة على التنبؤ بظواهره المستقبلية بشكل علمي، كما وكثيراً ما نصادف اطلاق الاحكام الجزافية من قبل بعض الباحثين غير المتمرسين في اعتماد طرق التوصيف الصحيحة للظواهر والمجتمعات، والحكم على الاكثرية من خلال مشاهدة أو حادثة سلوكية شاذة، أو موقف غير مناسب من التدافع أو التجاوز .

وفي مجال توصيف المجتمع وظواهره الحيوية بشكل علمي يمكن رصد نمطين أو مرحلتين من البحث في النمط الوصفي وهما :

الأول: مرحلة الأسلوب الحيوي Vitaiust: ويقوم هذا الأسلوب عند دراسة

الظاهرة المجتمعية على أساس المعاشية للظاهرة والمشاركة، ورصدها وهي في محيطها الطبيعي والحيوي لملاحظة تكونها وأساسياتها ونموها عبر المراحل المختلفة بشكل طبيعي ومتسلسل وبالتالي رصده لحالات الوعي والإدراك والمقاصد

١ - د . سالم يفوت، العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٩م، ط٢،

والأهداف الملائمة لها وأثرها في نمو الذات أو الضمير في الظرف والمحيط الطبيعي للإنسان، وعن ضرورة هذا الأسلوب يقول الدكتور - كلارنس- أ- نبول : إن الحياة ظاهرة من نوع خاص لا يمكن أن تدرس بإدراك علمي يوجب الاطمئنان إلا إذا ما استخدمت أساليب، تدرك الصفات الخاصة للوعي والضمير ولنمو الذات البشرية .

المرحلة الثانية: مرحلة الأسلوب التحديدي أو التلخيص Reductions:

وهو الأسلوب الذي يقوم على أساس تقليص أية ظاهرة نفسية أو اجتماعية إلى مكوناتها، وإعادة صياغة بنائها بالشكل الذي يؤمن دراستها والكشف عن أسرارها وتحديد عناصرها ذات الأولوية في فاعلية الظاهرة وأثرها في السلوك العام. وفي برنامجنا العلمي لدراسة مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام، نحاول الوصول إلى نموذج إرشادي متكامل في البحث، يجمع بين الشكليات : الحيوي والتحديدي من الوصف، وذلك وصولاً إلى استكناه العقل الكلي السائر في الجموع الكبيرة وتوصيفه، أو ضبط المثل الأعلى في مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام، أو توصيف الأيديولوجيا الثورية المحركة لكل هذه الحشود الغفيرة في هذا المجتمع أو توصيف عن التوقعات والمردودات من وجهة نظر الزائرين أنفسهم، والآمال التي يعقدها الزائر وينشدها من وراء هذا التحرك .

ثانياً : طريقة البحث الكشفي (Exploratory Research):

يعد البحث الكشفي من أبرز انجازات المنهج الوضعي ومدرسته المنطقية التي تعتمد شروط وضع الفروض، ومن ثم التدليل عليها، واختبار صدقها، فالسمة الأساسية لهذا النمط من البحث هي : الإجابة على التساؤلات أو الفروض المسبقة التي يطرحها الباحث ويريد الاستدلال على مدى صحتها، دون غيرها من الفروض التي يتم استبعادها، وبذلك يجعل فرضه المقترح، موضع التجربة والدراسة بواسطة البحوث والتدقيقات اللاحقة في المجتمع المبحوث للتأكد من صحتها وصدقيتها، في تفسير الظاهرة، أو الكشف عن المشكلة سواء من حيث الاسباب أو الديناميكية في الحصول أو النتائج.

وفي مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام، يمكن أن يقدم هذا النمط من البحوث نتائج أساسية ومهمة في دراسة زيارة الاربعين والكشف عن أسرارها الحالية والمستقبلية، ويمكن الاستفادة في هذا المجال البحثي من الدراسات السابقة سواء في مرحلة وضع الفروض والاستدلال على صحتها، أم في مرحلة مقارنة النتائج ومقاربتها مع ما توصل اليه الآخرون.

ولعل من حقول هذا المجال في مجتمع طريق الامام ما ذكرناه من انخفاض نسب الجريمة والمشكلات الاجتماعية في المدن العراقية ابان فترة الزيارة، وبإمكان الباحث الاجتماعي، صياغة الفرض المناسب لهذا الادعاء ومن ثم صياغة متغيراته التابعة والمستقلة وحساب نسب الارتباط الموجودة بين المتغيرات، ومن ثم اختبار صدقية النتائج التي حصل عليها في ضوء الاختبارات المعروفة في حساب

المجتمعات الاحصائية وعيناتها وأخير التثبت من النتائج في ضوء معطيات الواقع وتدقيقها مع هذا الواقع المشاهد .

ثالثاً : طريقة البحث التشخيصي (Diagnostic Research) .

السمة الاساسية لهذا النمط من البحث هي : التفتيش عن الأسباب وتشخيصها، سواء من خلال التوصيف أم من خلال وضع الفروض والتدليل عليها وأخبارها، (لكونها تتناول دراسة الاسباب المختلفة والمؤدية لحدوث الظاهرة أو المؤدية الى تكرارها، وغالبا ما تشترك مجموعة العوامل في حدوث الظاهرة)^١ .

ولهذا النمط من البحوث أهمية كبيرة عند البحث في الزيارة الاربعينية، كالبحث في أسباب تزايد أعداد الزوار الوافدين من البلاد الغربية فضلا عن الدول المجاورة، كإيران والدول الخليجية، أو تزايد الأنفاق في كل عام من قبل الأسر المشاركة في خدمة الزائرين، وما إذا كان هذا الانفاق في خدمة زوار الحسين سبباً في نماء أموالهم الشخصية في كل عام تقريباً أو توجد أسباب أخرى، ومن المؤكد أن هذا النمط من الدراسات يتطلب استبيانات واضحة ودقيقة في هذه المجالات سواء أكانت بيانات مفتوحة أم استبيانات مغلقة في أسئلتها والتي يستطلع الباحث من خلالها الاسباب من وجهة نظر الزائرين أنفسهم.

١ - د . عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع، الاشكاليات، التقنيات، المقاربات، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٢٤.

رابعاً : طريقة البحث التقييمي (Evaluation Research).

السمة الأساسية لهذا النمط من البحث هي : أنها تحدد اتجاه البوصلة الحقيقية للبحث أو المشروع الاجتماعي، من حيث الهدف والجدوى التي يتوخاها الباحث من جراء هذه الدراسات الاجتماعية أو البرنامج الذي تتبناه الهيئة الاجتماعية، ومن ثم تقف على مدى صدقية هذه الدراسة العلمية وصحة نتائجها وصولاً الى بلوغ تلك الاهداف المرسومة للبرنامج، ومدى الجدوى أو المردودات التي تم تحقيقها والتي استدعت بذل كل هذه الجهود والإمكانات :

(ومصطلح التقييم Evaluation، يستهدف تحقيق بعدين : الاول، تقرير الجدوى أو القيمة الاجتماعية لنشاط أو برنامج معين، والثاني هو قياس الدرجة التي يحقق عندها هذا النشاط أو البرنامج الأفعال المنسوبة اليه، أو المتوقع منه تحقيقها).^١

وفي مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام، يمكن الاستفادة من هذا النمط في البحوث في ترسيم الجدوى من الأبحاث في هذا المجتمع، وذلك قبل تنفيذ هذه البحوث مما يسهم منذ البدء في توجيه البحث نحو الموضوعات ذات الاولوية، وبما يسهم في تحقيق الفائدة من الجهد البحثي وترشيده.

وفي ختام البحث عن الطرائق العلمية في البحث الاجتماعي، وكذلك في إطار بيان جدلية الارتقاء ومنهجها العلمي في دراسة مجتمع طريق الامام، لابد من أن نؤكد ضرورة اجتماع هذه الطرق وتكاملها في دراسة مجتمع طريق الامام الحسين

عليه السلام، ولا ريب أن هذه المنهجية الجامعة توفر للباحث امكانية استقصاء الابعاد التكوينية لهذا المجتمع وبنيته التركيبية، وكذلك الاحاطة بمحتواه الفكري والثقافي، وحالة النمو والvirورة التي يتمتع بها، وكذلك الوقوف على الابعاد الجدلية القائمة بينه وبين المحيط العام من حوله، وتفاعله مع البيئة الكبيرة الحاضنة، والانشطة والفعاليات التي تقدم في اطار هذا المجتمع، مع دراسة المشكلات والتحديات التي تواجه هذا النسق الاجتماعي، والخطط والاستراتيجيات التي من شأنها الارتقاء بمكوناته الثقافية والفكرية وترشيد الدوافع والممارسات .

المبحث الرابع :

الجدوى أو الاهداف الاجتماعية والثقافية

توطئة :

يعدُّ الحديث عن الجدوى في مجال البحث الاجتماعي والثقافي من المسائل المهمة في علمي الاجتماع والانثروبولوجيا ومن مبررات تقدم هذين العلمين، ولا يختص هذا الحديث بالاتجاه الموجه أو الاشتراكي، بل يشمل كذلك الاتجاه الليبرالي الحر في البحوث الاجتماعية، لما لهذا الموضوع من علاقة بمسألة الحفاظ على الهوية وكشف مصادر الهيمنة الثقافية، ومنها الهيمنة والمركزية الغربية على الثقافات في العالم ونمط الحياة الاستهلاكية للمجتمع الغربي وقيمه التي يريد تصديرها لكل انحاء العالم ، باعتباره مركز الهيمنة الحضارية في هذا الكوكب، ولكن تبقى أهداف مثل : توحيد المجتمع وضمان تكامله الاخلاقي وجعل حياة الناس أكثر أمناً واستقراراً وكرامة وسعادة، وهي الأهداف السامية والمتوخاة من كل بحث ثقافي واجتماعي .

وفي المجتمع الاسلامي بات من الواضح أهمية البحث في المجالات الاجتماعية وارتباطها بالثقافة والهوية ومطلب الأمن والاستقرار الذي تم فقده في أكثر بلدان العالم العربي والاسلامي والانتكاسات الفكرية الكبرى التي شهدتها العالم الاسلامي مع تزايد المد المتطرف للإرهابيين في كل مكان من عالمنا .

كان من الاستراتيجيات الاساسية للتصدي للإرهاب في العالم الاسلامي هو انعاش البحث الاجتماعي والثقافي عن جذور هذه الظاهرة الاجرامية، فشدت الساحة

الثقافية عديد الاصدارات التي تتحدث عن الجذور الاجتماعية والثقافية لتأسيس المذهب الوهابي، ومن ثم تشكيل تنظيم القاعدة العالمي وكيف انتقل بفعل صراع المصالح والقوى العالمية من طور التفجيرات واستراتيجية الشوكة مع الجيل الاول من القاعدة، الى طور الظهور العلني في اكثر من بلد من بلدان العالم الاسلامي مع الجيل الثاني من القاعدة، وأخيراً الى طور تأسيس الدولة الفاشية في العراق والشام مع الجيل الثالث من القاعدة، واستراتيجية ما يعرف بإدارة التوحش، ومن الواضح أن هذا الانموذج قد تم التحضير له عبر دراسات وبحوث متواصلة وتخطيط اجتماعي وثقافي في أكثر من مركز بحثي في الغرب وأمريكا واسرائيل.

اما في مجال بحثنا وهو مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام، وهو الضد النوعي لنموذج الارهاب الوهابي والاموي الخليجي، وهذه حاجة حقيقة في هذه المرحلة من مراحل تطور وتداعيات القضية الحسينية في مجال المجتمع الاسلامي . تستدعي تفعيل البحث الاجتماعي والثقافي في هذا الانموذج وهو انموذج بحثي أكثر فاعلية من استراتيجية تفعيل الدراسات الصوفية التي تم اعتمادها في بعض البلاد العربية لمواجهة خطر الوهابية وفروعها الجهادية الاجرامية .

ومن الواضح أن البحث في الثورة الحسينية هو اكثر ضرورة من هذه الحاجة العملية والنفعية في هذه المرحلة التي تستدعي تفعيل كل عناصر القوة لمواجهة خطر الارهاب، وهذه الاهمية العامة تتضح ببيان أن : ضمان ديمومة البحث في مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام، تتوقف على احراز الأهمية العامة للبحث في هذا المجال الحيوي، فمع الشك في الجدوى والاهداف يتحول البحث الى سلوك بلا هدف محدد .

من هنا لابد من الوقوف على جوانب تفصيلية من الجدوى التي يؤمنها البحث في هذا المجال، هذه الجدوى التي تتحول الى أهداف واضحة أمام الباحث، فمجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام أضحت مؤسسة كبيرة في تعدادها السكاني ونسقتها الاجتماعية المفتوح على كل أطراف المجتمع، فهي بذلك تمارس تأثيرات مؤسسية وبنائية كبيرة على الأفراد والجماعات والأنساق الاخرى، وتزاحمها في رسم صورة المشهد الثقافي والسياسي والاقتصادي وبالتالي الاجتماعي، وقد أكدنا هذا التأثير عند الحديث عن منهج الفهم الذي يقدر على رصد مثل هذا التأثير المستمر في عملية صياغة المجتمع باتجاه الاستقرار الثقافي والاجتماعي وتأمين السعادة في الوعي والسلوك وبناء الذاكرة للمجتمع الاسلامي المعاصر في ضوء القيم الثورية والنهضوية الحسينية وتقريره بشكل علمي.

وفي هذا المطلب سنحاول تقرير أهم الاهداف بالنقاط الآتية :

أولاً : لاريب أن ممارسة البحث في مجتمع طريق الامام عليه السلام يوقف الباحث بشكل عملي وتفصيلي على أفضل المناهج في هذا السبيل، والتعمق في فهم آليات الجدل بين الأنساق الاجتماعية والثقافية وطريق اشتغالها بمرور الزمن على احداث التغيير المطلوب في المجالات العديدة .

ثانياً : التعرف على سمات وخصائص مجتمع الامام البنيوية والوظيفية كمجتمع مثالي ومتعالٍ في دوافعه الفردية وادائه الثقافي، تسوده قيمة : (خير الناس من نفع الناس)، وهو في ذات الوقت منبثق من رحم المجتمع التقليدي الذي تسوده قيم الاسواق والتنافس، يساعد على فهم طريقة اشتغال العمليات التربوية والحركات

الاصلاحية وبناء الشخصية الاخلاقية في تمرير الخصائص والسمات ذات المواصفات العالية الى المجتمع التقليدي واعادة بنائه في ضوء الرؤى الجديدة لمجتمع طريق الامام عليه السلام، التي تبني الشخصية المتصالحة مع مجتمعه والمتعاطفة مع معاناته ومشكلاته، وتسعى لحلها بأخلاص.

ثالثاً : ومن العوائد المرجوة من البحث في هذا المجال الوقوف على طرائق اشتغال العقل المؤمن في التوفيق بين قيم النهضة والثورة والروحانية الاسلامية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ولاسيما أن القيم الثورية والنهضوية هي قيم انسانية مشتركة لدى الكثير من الشعوب ولا تختص بالمسلمين، وكيف يمكن أن يشكل مجتمع طريق الامام من خلال العقل المؤمن القطاع القائد أو ما يعرف في الادبيات الاقتصادية بقطب النمو في المجالات كافة : الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

رابعاً : يستطيع الباحث في مجتمع طريق الامام أن يرصد نسب النمو التغيير الثقافي المستمرة التي تمارسها عملية الثقافة بين الزائرين، الامر الذي يقلب موازين القوى لصالح الفكر الحسيني بمرور الزمن، ومع تغير الاتجاهات الثقافية ولو بنسب معينة الا انها قد تكفي للتغيرات المطلوبة في تغيير الاتجاهات الانتخابية والتأثير في الرأي العام وهذا مهم جدا في الجانب السياسي

خامساً : كما أن المشكلات التي قد تطال مجتمع طريق الامام عليه السلام، وتؤدي الى إحداث الخلل الوظيفي لها، كما حصل في بعض المناسبات كزيارة شهر شعبان في صيف عام ٢٠٠٧ م من استغلال لمجتمع الزائرين من قبل بعض عناصر قوى

الارهاب البعثية والحمقى، هذه المشكلات لا يمكن رصدها بشكل علمي ودقيق ووضع الحلول الجذرية لها الا من خلال البحث والدراسة المستفيضة لهذا المجتمع ومن ثم التحضير للتخلص من هذه المشكلات قبل حصولها .

سادساً : التوجهات المستقبلية والنمو ومتطلبات هذا التوسع في مجتمع طريق الامام لا تعرف هذه الابعاد الا من خلال اعمال البحث العلمي واستخدام قاعدة عريضة من البيانات والمعلومات والخطط الاستراتيجية في توجيه الزيارة نحو مزيد من العطاء في اعادة بناء الذات الاسلامية والمجتمع والتأثير في نموه المستدام في المجالات كافة.

سابعاً : يساعد البحث في مجتمع طريق الامام على المعرفة التفصيلية باحتياجات هذا المجتمع من السلع والخدمات والتي تكلف عملات صعبة تذهب للخارج بدون مبرر، ويمكن من خلال تشخيص هذه الحاجات اقامة الصناعات المحلية في مجال توفير مختلف المستلزمات التي تستهلك في الطريق كالأغطية والأقمشة التي تستعمل في الاعلام الحسيني والمواد الورقية والطباعة والصناعات الغذائية وغير ذلك من المنتجات التي قد توفر منطقة صناعية كاملة، وتشغل عدداً من البنوك في طريقة تمويل هذه الصناعات والاستثمارات والتي لا يستعمل الزائر في شؤونه الخاصة الا هذه المنتجات التي يقدمها طريق الامام ﷺ، بغية توفير الدعم المالي والمعنوي لها من قبل جماهير المتسوقين على امتداد العام وفي جميع المناسبات، وبذلك ينتهي اشكال الهدر المالي الذي يثار من قبل بعض الاقتصاديين على طريق الصرف السخية في مجتمع طريق الامام ﷺ .

وفي نهاية هذا المطلب الحيوي لابد أن نؤكد على أهمية صناعة الانموذج الثنائي الجامع بين البناء الاجتماعي والتحليل الثقافي كبحث العلمي يمكن يؤدي الى صياغة انموذج ثقافي مقنع وصالح للتطبيق في اكثر من مكان في العالم، لقدرة على الجمع بين الخصوصية المحلية والانسانية العالمية، انموذج يلتزم الشروط المرنة في البحث العلمي ويضع الجدوى الحقيقية ومصلحة الامة الاسلامية نصب عينيه، ولا ريب أن الكونية لا تتحقق الا من خلال مجتمع عظيم، وحضاري، وقادر على اىصال نموذجه الثقافي الى كل أرجاء العالم.

ويمكن القول : البحث العلمي بشكل عام هو خلاصنا من الكثير من المشكلات، وفي مقدمتها مشكلة التخلف الاجتماعي والثقافي وما يضعه هذا التخلف من معوقات وموانع وتسهم به باستمرار في تخلف هذه الامة عن ركب التطور العالمي، وحينئذٍ لابد من أنموذج ثقافي، جهادي، مقنع للأكثرية الشعبية من أجل ديمومة هذه الامة وخلاصها من هيمنة أعدائها، وهذا يجعل من القضية الحسينية في صلب البحث العلمي عن عناصر قوية تشكل نموذج الامة الثقافي .

وهنا يطرح السؤال المتفرع على هذه الرؤية : كيف يمكن تحويل فرصة الزيارة الاربعينية الى فرصة حقيقية للتثقيف الحضاري والثقافي والفكري ونماء الوعي في المجالات كافة ووضع مقتضيات وحوافز للنمو والتنمية من أجل مقاومة خطط الاعداء التي تتوالد من رحم السياسات الغربية وعملائهم في المنطقة بدون انقطاع ، ويكون بناء الاقتصاد المقاوم في الصدارة من افكار اعادة البناء في ضوء الحماس العقائدي والرسالي الحسيني لهذا المجتمع الكبير .

الفصل الثالث : الأنموذج .

جدلية الارتقاء الثقافي في المجتمع الحسيني

(الفهم، والنقد، والانتاج)

توطئة :

ذكرنا أكثر من مرة أن التداخل بين الموضوع الاجتماعي والموضوع الثقافي هو حسيطة التقاء التحليل العلمي للبناء الاجتماعي مع الدراسات في مجال التصورات والتمثيلات الثقافية^١، وبذلك تداخلت المجالات الثلاثة الكبرى للثقافات : العلوم الطبيعية بلحاظ مناهجها في البحث، وهي تعنى بالظواهر الطبيعية والتنبؤ بمستقبلها، والعلوم الاجتماعية، وهي تعنى بدراسة الظواهر الاجتماعية والنفسية والتنبؤ بمسارها المستقبلي، والعلوم الانسانية، وهي تعنى بدراسة المعاني والدلالات والرموز التي يضيفها الناس على الوقائع والنصوص^٢.

وكان من النتائج المترتبة على هذا التداخل الواسع هي اجتماع اكثر من منهج علمي في البحث والتقاءها على التفسيرات تارة والتأويلات تارة أخرى، بقول كليفوردي في تأويل الثقافات :

١ - تيم إدواردز، النظرية الثقافية، وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة، ترجمة: أحمد عبد الله،

إصدارات : المركز القومي للترجمة، العدد : ٢٠٠٨، القاهرة، ٢٠١٢م، ط١، ص ٧.

٢ - جيروم كيغان، الثقافات الثلاث، العلوم الطبيعية والاجتماعية والانسانيات في القرن العشرين،

ترجمة : صديق محمد جوهري، عالم المعرفة، العدد : ٢٤٧٦، الكويت، ٢٠١٤م، ص ٢١.

(انا انظر الى الثقافة على انها هذه الشبكات، الرمزية، وأرى أن تحليلها لا يكون علماً تجريبياً يبحث عن قانون بل علماً تأويلياً يبحث عن المعنى ...فانا ابحث عن الشرح، شرح التعبيرات الاجتماعية وإجلاء غوامضها الظاهرة على السطح .)١

كان لابد من اطار أوسع من النظرية التقليدية للشرح والتفسير والمقاربة وقادر على تمثيل الجوانب المذهبية والنظرية والاجرائية معاً في تصوير ومحاكاة الواقع الاجتماعي وبيان مكوناته واجزائه وطريقة اشتغال هذه المكونات وشروط ذلك، كان لابد من مقارنة الواقع المركب من خلال النماذج الموسعة في محاكاة هذا الواقع الكبير والمتغير وطرق السيطرة عليه أو إعادة البناء فيه وتشكيله وضبط مستقبله.

تعدُّ النماذج اليوم من قبل عديد الجهات والباحثين المختصين، كنماذج البناء المعماري، ونماذج المدن المصممة حديثاً، ونماذج من المجسمات الصغيرة في مدن الألعاب، ونماذج الطرق المرورية ونماذج الساحات القتالية استعداداً للمعركة وغير ذلك من الحقول التقنية التي تعدد في عملها على اعداد هذه النماذج لأغراض التنفيذ أو الشرح والتبسيط .

ولاريب أن الكلام عن الانموذج هو أوسع وأشمل من حدود الكلام في إطار صناعة النظرية، وقد بينا ذلك في بداية الحديث عن مفهوم النسق الاجتماعي فهو نظام يشتمل على أجزاء مثل : المذهب والنظرية والسياسات، فعندما نتحدث عن

١ - كليفورد غيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة : محمد بدوي، مراجعة : الاب بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩م، ط١، ص٨٢.

الاشتراكية أو الرأسمالية كأنساق : اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية فهو حديث عن أنموذج، وليس كنظريات محدودة في بناء الحياة الاقتصادية لوحدها، فالأنموذج يشتمل على عديد النظريات التي تغطي مجالات كثيرة و تشكل نسقاً متكاملاً ومنسجماً في اجزائه : المذهبية والنظرية والسياسة التطبيقية، والتي تغطي جوانب الحياة العديدة ومجالاتها، والمقصود بالمذهبية هنا هي : الغطاء الفلسفي العام الذي يتلفع به النظام في رؤيته الكونية، ا وتصوراته عن : الله تعالى والانسان والمجتمع والطبيعة، والحياة بعامة.

في الدراسات السابقة تم عمل نماذج تمثل الموديل المعتمد في رسم الواقع الاجتماعي والثقافي، وكانت تجربة مالك بن نبي من التجارب الرائدة في هذا المجال، وهو تصميم قائم على استلهام العلل الاربعة، كما يؤكد الباحث والمفكر الاسلامي زكي الميلاد، وكذلك قدم الراحل محمد أركون تصوراً مهما للنسق الثقافي والاجتماعي في العالم الاسلامي قام على اساس : ثنائية الثورة والنهضة.

وممن تبنى فكرة الانموذج في قراءة نظام المجتمع الاسلامي المستشرق والباحث الاجتماعي إرنست غلينر في كتابه : مجتمع مسلم^١، والذي تبنى فيه : انموذج ابن خلدون كمعبر عن الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب العربي، وهو أنموذج سبق أن عرضه بشيء من التفصيل الباحث العربي، محمد عابد الجابري في

١ - إرنست غلينر، مجتمع مسلم، ترجمة : أبو بكر أحمد باقادر، مراجعة : رضوان السيد . دار

كتابه : فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، ويقوم على اساس فكرة توظيف عقيدة الاسلام في خدمة العصبية والغنيمة عند القبائل العربية ١ .

هذا التخريج من قبل المستشرقين وغيرهم لنظام المجتمع الاسلامي ورسم نموذج، انما يكون متين ومضبوط في ضوء منهج بناء الرؤية من خلال الحراك الاجتماعي والمصالح وهذا هو التخريج الاموي المعروف في كتب التاريخ، وحالة الانقلاب الاجتماعي التي وقعت بعد رحيل الرسول الاكرم ﷺ، والتي اشار اليها القرآن الكريم من الانقلاب على الرؤية الكونية للإسلام، ومن المؤكد أن هذا التخريج لا ينطبق على مذهب أهل البيت عليه السلام، الذين اذهب الله تعالى عنهم الرجس وعبث الشيطان، كما لا ينطبق على المجتمع المفتوح والمتحرر من عبودية الطغاة، الذي اسس له الامام علي عليه السلام، وكما هو ايضاً، منطق الثوار في كربلاء، الذين وقفوا الى جانب أهل البيت عليه السلام ببسالة امام تحريفات بني امية للإسلام، وقدموا التوضيحات من اجل الحفاظ على اصالة الرؤية الاسلامية كما فهمها آل البيت عليه السلام، ولكي لا ينحرف المجتمع الاسلامي.

هذه التحريفات والتشوهات في تطبيق الانموذج الاجتماعي الاسلامي، أو عدم الالتزام بطريقة الاسلام في بناء المجتمع، لم تنتهِ حتى يوم الناس هذا، بفضل جهود مستمرة، كجهد ابن تيمية الواسع في احياء الفكر الاموي ورؤيتهم العقائدية والاخلاقية والفقهية التي اسسوا لها، فحاول ابن تيمية استعادة اللحظة الاموية في حكم الشرق بعد سقوط الدولة العباسية مباشرة، وذلك بتمويل خفي حينها .

١ - محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي، دار الشؤون الثقافية العامة في العراق، بغداد، ط١، ص٣٥٢.

ثم انبعث هذا النموذج مجدداً مع جهود ابن عبد الوهاب وتأسيس الحركة الوهابية، التي استفادت كثيراً من تحالفها مع بني سعود ودولارات النفط، ثم بالتعاون المادي والمعنوي مع الكيان الصهيوني وأمريكا، التعاون الذي حصل في بلاد الافغان من أجل مواجهة الاتحاد السوفيتي خارج الرقابة السعودية.

انتعشت هذه الجهود في تبني النموذج الاموي للمجتمع والثقافة، كثيراً، وبشكل معلن من قبل دولة طالبان، وبعد ذلك جماعات الارهاب في العراق و سوريا، وصولاً الى اعلان دولة العراق والشام المعروفة ب(داع ش) .

الا أن هذا النموذج من الشجرة الاجتماعية الخبيثة، التي ليس لها عند الله تعالى من قرار، لن يبقى هذا النموذج في عالم المسلمين ومجتمعاتهم أو يدوم، كما وعد المولى تبارك وتعالى في القرآن الكريم، ولأنه نموذج بائس في سلوكياته الحمقاء وغير العقلانية، وغير مطابق لروح العصر التحررية، ومتحلل من الفكر الاسلامي الصحيح، فكر أهل البيت ﷺ ومدرستهم، ومتضامن أبداً مع اعداء الامة، فهو نموذج منبوذ من قبل كل الشرفاء والاحرار.

ومع تفاقم اشكاليات : الحضارة والتقدم، واشكالية الموضوعية والحقيقة وادراكها، واشكالية المنهج الموصل للمقاربة الواقعية في معرفة الحقيقة والفهم، هذه الاشكاليات التي تعبر اليوم بصدق عن حجم الصراع بين الفئات الاجتماعية وطريقة تفكيرها، ولاسيما في العالم الاسلامي، كان لابد من منهج جامع، وعابر للحقول المعرفية، وقادر على استقطاب الفهم الدقيق للحقائق الاجتماعية في عالم يضح بالشكوى من المزيفين .

من هنا جاء طرحنا للمجتمع الحسيني، وللأنموذج الثقافي الحسيني ولمنهج جدلية الارتقاء في الفضاء الاجتماعي الحسيني، كمنهج ديناميكي في تصوير الأنساق المتفاعلة الأجزاء والمكونات، و معبر عما يسمى : (عبر - مناهجية) وهو مختارنا كطريق علمي للبحث في أنموذج مجتمع طريق الامام عليه السلام وفضاءه المفتوح، وتشكيل نظرياته العديدة، من أجل أن نصل الى فرص الاستفادة من هذا المنهج في صناعة أنموذج يستفيد من نصوص السيسولوجيا الدارسة لهذا المجتمع وحيثياته المتعددة والمعبرة كذلك عن نموذجه الاجتماعي والثقافي، ولشرح طريق عمل هذا النسق .

يمكن توظيف نقاط القوة الكثيرة في هذا المنهج وتعبئتها في مجالات : الفهم والنقد والانتاج السيسولوجي، لبناء سرديّة سسيولوجية تحاكي الوجود الواقعي لهذا المجتمع وحراكه، وتكشف عن أسرار دوافعه المعلنة والخفية، وصيرورته في التحول التلقائي، والتغيير المخطط ايضاً، وهي فرصة سانحة لبناء علم اجتماع اسلامي يمكن تطويره لدراسة حالات مقارنة في الاجتماع الاسلامي تعيش جدلية الارتقاء في ضوء المثل الالهي الاعلى ومصاديقه المحسوسة في حياتنا اليومية، وبالتالي خلق حالة من الانسجام بين التوجهات الثقافية لمجتمع طريق الامام عليه السلام والوضع الحضاري العام المحيط بهذا النسق مما يؤمن فاعلية أكبر للانتشار الثقافي لهذا الأنموذج عالمياً.

في اطار البحوث السابقة عن مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام تم تعريف الجدلية الاجتماعية، في مبحث المفاهيم، على أنها أوسع من علاقة التجاذب والنقد بين دائرتين أو نسقين اجتماعيين، أو أنموذجين، بل تمتد الى الاداء الوظيفي، وأنها

علاقة تبادلية متكاملة، أكبر من تأثير متعكس بين متغيرين، أو بين بنيتين متميزتين في مرحلة التحليل العلمي، في علاقة قائمة على التعاون الاجتماعي والتكامل والنقد الايجابي والأداء الوظيفي المتبادل .

ومن هنا يتبدى لنا الدور الذي يمكن أن تضطلع به الزيارات الدينية في المجتمع الاسلامي ومجتمع طريق الامام خصوصاً، في عملية التغيير الحضاري والمساهمة في اعادة بناء المجتمع والثقافة عبر آليات قد تكون بطيئة ظاهرياً وغير منظورة في هذه المرحلة الا انها في المدى البعيد تكون مؤثرة للغاية في تأصيل الحياة الروحية في ضمن الحس الثوري والحضاري.

لقد طرحت مسألة الجدلية التكاملية بين النماذج العلمية المتزاحمة وأثرها الفكري والعلمي في السياق بناء العلم وجدلية النماذج المعرفية، وفي هذا السياق ظهر واضحاً الدور الذي يؤديه التراكم والتكامل بين النماذج على تطور المعرفة ومسارات العلم، فذهب توماس كون الى القول بالنموذج المهيمن أو السائد الذي يتمتع بسلطة قيادة الحقل المعرفي، فيما ذهب كارل بوبر الى اعتماد الصيرورة والتحول باستمرار وضرورة اعتماد الأنموذج النقدي لكل ما هو يفترض كونه انموذج سلطوي مهيمن، بينما اختار فيرابند القول بتعددية الأنموذج، وأنه لا داعي للحصر المنهجي والعلمي من خلال القول بنموذج معرفي واحد مهيمن، وخلص لوكاش الى ضرورة التعاون والتكامل في البرنامج العلمي.

وفي ضوء هذا الجدل طرحت مسألة الجدلية التكاملية بين النماذج أو الانساق أو الدوائر، وعملية الارتقاء بالأنموذج السائد نحو التكامل من خلال عمليات : التعاون والتكامل والنقد البناء .

وفي المجال الاجتماعي، طرحت فكرة الجدلية التكاملية بين الأنساق الاجتماعية في شكلها الاولي مع ماكس ويبر (١٨٦٤-١٩٢٠)^١، الذي يرى في المجتمع الديني البروتستانتي الحاضنة الاولى لتكون الرأسمالية وانجازاتها في المجالات كافة، فمن خلال التأثير المتبادل بين النموذجين : النموذج المثالي والنموذج الواقعي، يتم بناء الواقع، كما هو الحال مع الجدلية التكاملية بين الفكر الديني البروتستانتي وحواضنه الزاهدة والتقشفية وبين الفكر الاقتصادي الرأسمالي وحواضنه الساعية نحو التراكم الرأسمالي الذي يوفر الامكانيات للنمو الاقتصادي وتحقيق الاستثمار المطلوب للتكوين الانتاجي واستدامة النمو، تحقق التعاون والتكامل والنقد البناء الذي اعاد بناء وتكوين المجتمع الغربي.

لخص البعض الجدلية التكاملية في فكر ماكس فيبر في ضوء وجود دائرتين من التصور : تستند دعائم التصور النظري لديه على أساس من النموذج المثالي، وهي طريقة لدراسة المعاني الذاتية للظواهر الاجتماعية، فالمعنى الأول هو المعنى الموجود واقعاً، لفاعل فرد واقعي، والمعنى الثاني : هو المعنى الذاتي الذي

١ - ماكس فيبر من مواليد عام ١٨٦٤ في ألمانيا، واحد من أكبر علماء الغرب الذين ربطوا بين الدين والحضارة الحديثة والمعاصرة، نشأ في أسرة بروتستانتية، عاش في برلين عام ١٨٦٩ ودرس الاقتصاد منذ عام ١٨٨٢ وعمل كأستاذ للسياسة عام ١٨٩٤ وأستاذ للاقتصاد عام ١٨٩٧، ومن أهم مؤلفاته : الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، وكتاب : الاقتصاد والمجتمع.

ندركه نظرياً ونطلق عليه : النموذج المثالي، وماكس فيبر ينظر الى الفاعل الاجتماعي لا على اساس أنه يستجيب لمؤثر بعينه، وانما على أنه يبذل جهداً ليتلاءم مع نماذج السلوك المثالي المجرد، والخلاصة : هي أن النموذج المثالي لا يشكل اسلوباً للفعل الواقعي وانما يعتمد اسلوباً مثالياً مفترضا يمكن المضاهاة في ضوئه والمقترنة ايضا التي تساعد على فهم ما هو قائم فعلاً^١.

ويمكن تطبيق هذه الرؤية النظرية للجدل التكاملي في مجال الدراسة العلمية لمجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام، وعلاقته بالمجتمع العام والحواضن الاجتماعية المختلفة من حوله، وذلك من خلال افتراض وجود نموذجين أو دائرتين يدور بينهما الجدل التكاملي :

والدائرة الاولى، هنا، هي مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام، وهي نموذج السلوك المثالي، والدائرة الثانية هي : المجتمع العراقي الكبير بكل انساقه الاجتماعية وحواضنه الواقعية، وما تشتمل عليه هذه الحواضن من تقاليد واعراف واخلاقيات وقوانين والتزامات بالتعاليم الشرعية : وكذلك ما يتضمنه من : صراعات حضارية و دينية وايديولوجية، أي تلك القادمة من عمق البادية العربية المقفرة، وتلك القادمة من عمق التاريخ الاسلامي وحمولته في الفرق والنحل وتلك القادمة من عمق الحداثة الغربية وصراع الليبرالية مع القوى اليسارية، وهذه هي دائرة السلوك الواقعي.

١ - براين تيرنر، علم الاجتماع والاسلام، دراسة نقدية لفكر ماكس فيبر، ترجمة : ابو بكر احمد باقادر، دار جداول، الكويت، ٢٠١٣م، ط١ ص ٩ .

وبذلك يقدم السلوك المثالي الى الباحث في علم الاجتماع كأنموذج اجتماعي، ليساعده في الدراسة لأنه عندما يقارن السلوك الفعلي بالسلوك المثالي يستطيع فهم الأساليب التي يتأثر بها هذا السلوك المتوقع^١.

وفي اطار هذه الدراسة يمكن أن نرصد المراحل الواقعية والافتراضية المستقبلية^٢، التي يمر بها هذا الجدل التفاعلي والتكاملي، باتجاه اعادة البناء، ورصد النخب الرائدة والجماعات البؤرية القيادية التي اسهمت في تطوير حركة المشي والزيارة في مجتمع طريق الامام^{عليه السلام}، وكذلك رصد الامكانات المادية الهائلة التي وضعت في خدمة هذا المجال الحيوي للتغيير الاجتماعي.

وهذه الجدلية المتواصلة بين الدائرتين، تجعل من المجتمع الكبير الواقعي، في دوامة مستدامة، كنسق اجتماعي مفتوح على متغيرات واحتمالات كثيرة، كما يصير للمجتمع العراقي، بسبب من هذه الجدلية، تأثيراته خاصة على توجهات المجتمع العربي خاصة والمجتمع الاسلامي عامة، وصولا الى التأثير في المجال العالمي .

وعلى صعيد الأنموذج، يمكن أجمال الفوائد المتوخاة من اعداد هذا الأنموذج التصميمي المحاكي للواقع والذي يعتمد فكرة أو منهج الجدلية الديناميكي في اربع :

١ - نفس المصدر والصفحة .

٢ - هي مراحل : التظهير، والتثبيت، والارتقاء . وسيتم تناولها في اطار فقرات : الفهم والنقد والانتاج .

اولاً : اكتشاف العناصر الرئيسة، أو الأجزاء المكونة والداخلية في أنموذج الثقافة الحسيني ومجتمع طريق كربلاء، وكذلك تأشير وضبط العناصر الفرعية الدقيقة والمكونة للأجزاء الرئيسة .

ثانياً : رصد الترابطات الموجودة بين الاجزاء والعناصر الرئيسة والفرعية والحلقات الواصلة بين هذه الأجزاء، لما لهذه الروابط من الأهمية في متانة وتماسك الأنموذج واستمرارية عمله بشكل متراس.

ثالثاً : اكتشاف آليات عمل الأجزاء والعناصر في الأنموذج ورصد وظائفها الاساسية والفرعية في اعادة انتاج الفعل الاجتماعي والثقافي ودرجة تكراره بما يؤمن تطور الاداء وتكريس المعنى وتوسيع الاشتراك.

رابعاً : يساعد اعداد النماذج في رصد وضبط تطور الاجزاء بفعل عمل النسق الدائم، وبالتالي رصد المستقبل والتنبؤ في التبدل في الاولويات وظهور المشكلات والتوسع على حساب الانساق الأخرى والتحول في مجمل الخرائط الاجتماعية والثقافية،

كما يمكن لهذا الأنموذج، ولهذه الجدلية أن تساعدنا في المجالات الاتية :
الفهم النظري والواقعي الاجتماعي، ومجال النقد والفرز في القيم والأخلاق، وكذلك في مجال التخطيط واعادة البناء والتغيير، وهذا ما سنفصله جزئياً .

المبحث الاول :

الرؤية الجدلية والفهم في مجتمع طريق الامام عليه السلام.

الحدث الحسيني يستدعي أنماطاً من الفهم وحقولاً من التفكير والتأمل بهدف مقارنة الحقيقة في مجالات المجتمع والثقافة والرؤية الكونية التي تؤسس لتلك الثقافة، وبيان حجم الترابط بين هذه الحقول المعرفية والتأثير المتبادل بين عناصرها المختلفة بمرور الزمن والاحتكاك بالمجتمعات والثقافات الاخرى وما يمليه من تأثيرات معرفية ومحاكاة للآخرين في المجال الثقافي .

لا ريب أن أعداد أنموذج نظري محاكي للثقافة الحسينية وللمجتمع الحسيني على طريقة عمل المهندسين في اعداد النماذج المعمارية والتي تحاكي للواقع أو الإداريين في مجال النظم المؤسسية وعملها، يساعد كثيراً في فهم حراك هذا المجتمع وطريقة الاشتغال الثقافي عند مكوناته الانسانية .

كتب الغربيون عديد النظريات من أجل فهم انماط الحراك الانساني في الفضاء الاجتماعي والمحركات الكامنة وراء هذا الحراك الكلي، وفي طليعة هذه النظريات هي النظريات الكلاسيكية ١ :

١ - المجتمع هو فضاء من الصراعات وتضارب المصالح والرؤى. ونجد أن هذا الفكر اظهر صوراً عديدة للصراعات الاجتماعية، تبدأ في الصراعات الجزئية بين الأفراد، وتنتهي بالصراعات الكونية والعالمية ٢.

^١ - ميل تشيرتون، وآن براون ، علم الاجتماع : النظرية والمنهج، ترجمة : هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، الاصدار : ٢٠٧٥، القاهرة، ٢٠١٢ م، ط١ ص ٢٥.

^٢ - د. معن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢م، ط١، ص ١١ .

٢ - المجتمع هو فضاء من التوافقات، والإجماعات، والجماعات المتحالفة فيما بينها وظيفياً. ويرى هذا الفكر في اطار منهج المقاربات الوضعية : أن ابتكار الثقافة وخلق الحضارة من وجهة علم الطاقة ليس الا تحويل أو انتقال الطاقة من صورتها الفجة غير النافعة الى طاقة نافعة، وكلما كان معامل الطاقة المتحصلة من هذا الانتقال او التحويل عظيماً كلما كان تقدم الحضارة اكثر واعظم.... إن المجتمع باعتباره مجمع الأفراد الذين يشغلون سوية لغاية مشتركة، هو تنظيم غرضه استغلال الطاقة الخام استغلالاً افضل وتحويلها تحويلاً اكثر كمالاً الى طاقة مفيدة ١٠.

٣ _ المجتمع هو فضاء من الهيمنة الذكورية . وقد وجدت الكتابات النسوية طريقها لتكون فلسفة للمرأة ورؤيتها الثقافية في المواجهة مع المركزية الغربية، حيث :

(سادت مركزية الحضارة الغربية العالمين، بسبب المد الاستعماري، وقهرت ثالوث الأطراف : قهرت المرأة، وقهرت الطبيعة، وقهرت شعوب العالم الثالث، وجاءت الفلسفة النسوية للعلم، ترفض التراتب الهرمي أصلاً، في العلم والحضارة على السواء، نازعة إلى تقويض مركزية العقل الذكوري، تحرير المرأة وقيمها الأنثوية، وبالمثل تحريراً للبيئة ولشعوب العالم الثالث) ٢٠.

^١ - معن خليل عمر، تاريخ الفكر الاجتماعي، اصدارات جامعة بغداد، ١٩٨٥م، ص ١٢٠.

^٢ - حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، منشورات الاختلاف، والدار العربية للعلوم، ناشرون، ٢٠٠٩م، ط١، ص ٢٤.

٤ - المجتمع ليس فضاء موحد، بل فضاءات من الممارسات الاجتماعية والثقافية ذات المدلولات والمعاني المختلفة في مجال الثقافة ودلالات الرموز.

قدمت هذه النظريات بعض المساعدة العلمية في فهم المجتمعات العالمية وحقيقة الحراك الانساني فيها، الا أنها قدمت فهماً مختزلاً للثقافة والمجتمع، ولم تفسر كل شيء، فمضى علماء الاجتماع قدماً في اعطاء مزيد من التفسيرات والتأويلات من أجل ايجاد التصورات الصحيحة للمجتمع والثقافة وطريقة صياغة مجتمع تجعل حياة الانسان اكثر اماناً وأكثر استقراراً وأكثر قابلية للاستمرار ولا سيما في مجال الاجابة عن الاسئلة الكبرى : من أين ؟، وفي أين ؟، و إلى أين ؟، وذلك من خلال الثقافة ومركز قيادتها، الرؤية الكونية، إذ أن غياب هذه التصورات السليمة يقود الى العماء في الرؤية، والهاء في التعبير، والأخطاء في اتخاذ السلوكيات المناسبة، وفي اختيار السبل الصحيحة ولاسيما في مجال حلول المشكلات الاجتماعية والانسانية، وهذه هي أهمية الفهم السليم ومقدماته المنهجية.

اما بالنسبة الى مقارنة الفهم في مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام والأنموذج الثقافي الملائم لبنيته العقديّة ورؤيته الكونية، فهو اوسع من يحاط به من خلال النظريات أو النماذج ذات الفهم المحدود، وما يقدم هنا هو مجرد محاولة متواضعة من أجل المزيد من الفهم والوضوح، ولا بد أولاً من بناء قاعدة من المعطيات التي تغذي عناصر الأنموذج الرئيسة، وكذلك تحدد الروابط بين مكونات هذا الانموذج والتفاعلات الاجتماعية والقافية ومن ثم تساعد على استشراف ابعاده المستقبلية.

فهناك أولاً : الثورة والخروج لمواجهة الارهاب الاموي ضد الاسلام وتشويه معالم الدين الذي أسس لكل ارهاب لاحق في العالم الاسلامي من أجل صرف الامم عن عظمة الاسلام وثقافته، وكان مراد الثوار الجدي من هذا التحرك الاصلاحى بوجه الظالمين هو : حفظ الدين، مع التصريح المباشر بمسار النهايات الحزينة والاستشهاد، وكيف أصبح الحزن والالم على مصاب العترة الطاهرة التي ضحت من اجل الدين الاسلامي، جزءاً من فلسفة الخلاص والتقرب من عتبات الثواب الأخروي:

(إن فكرة الرضا الطوعي وغير المشروط للاستشهاد في سبيل محبة الله والحفاظ على شريعته، قد دفعت فكرة الفداء في الفكر الشيعي إلى نهايتها القصوى، هذا التفسير لموت الحسين هو الذي بقي بشكل أو بآخر حتى وقتنا الحاضر)^١.

وهناك ثانياً : قصة الوقائع الاجتماعية والسياسية على الارض، والمساق المعد للثورة منذ زمان الامام الحسن عليه السلام في عهده مع (معاوية)، المؤسس الحقيقي لمذهب الجماعة السنية القائمة على فكرة القدر المحتوم، وكان ضمن بنود العهد، ارجاع الخلافة للإمام الحسين عليه السلام، إن هلك معاوية والامام الحسن غير موجود، وكيف اصبحت هذه القصة تستعاد بأثر رجعي لتميط اللثام عن كل الانحراف الذي حصل بعد رحيل الرسول الأعظم ورجالات هذا الانحراف، وكيف أسس لوصول الشجرة الخبيثة الى منبر الرسول ﷺ، وبالتالي تحميلهم مسؤولية الجريمة الكبرى في التاريخ :

١ - البرفسور، محمود أيوب، الألم الخلاصي في الاسلام، ترجمة : د . أمير ججي الدومنيكي،

المركز الاكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣م، ط١، ص ١٧٤.

(تذهب هذه الفرضية إلى وجود مؤامرة مدروسة من بني أمية لاعتلاء السلطة، وانهم وجدوا من وجهاء المهاجرين جسراً لبلوغهم طموحهم، ووجدوا أن الفرصة قد حانت عندما وصل عثمان إلى الخلافة، فنفذوا انقلابهم الكبير، الذي أدى إلى فتنة مقتل عثمان، ثم الحروب المتتالية وأخيراً استتباب الأمر لمعاوية، الذي انتهى إلى توريث يزيد السلطة، ووقوع فاجعة كربلاء)^١.

ثالثاً : عمل أنموذج الثورة الحسينية على إعادة صياغة المجتمع الاسلامي وثقافته، بشكل دؤوب ومستمر، وذلك من خلال المقاربة المتواصلة بين مآسي الناس ومتاعبهم بسب السلطة وعبثها بالحياة الاجتماعية والاقتصادية ومقاربة ذلك بمعاناة العترة الطاهرة ورفضها للظلم السلطوي، فتم نقل الولاء عند اكثية الناس من السلطة بشكل عام الى قوى المعارضة، ولاسيما القوى الموالية الى العترة النبوية الطاهرة، وتجربة العباسيين كانت محطة كبيرة على هذا الطريق حيث جذرت الدعوة العباسية وطلب الثأر والرضا لآل البيت ﷺ حب العلويين في مناطق واسعة من العالم الاسلامي ولاسيما في ايران، جاء في كتاب تراجيديا كربلاء:

(تقدم مجالس العزاء الحسيني قصصاً لحوادث تاريخية مفعمة بالحزن والأسى ممزوجة بقصائد في النذب والثناء، بألحان عاطفية تثير ما في اعماقهم من

١ - مرتضى فرج، خلفيات واقعة كربلاء، وشهادة الإمام الحسين بن علي ﷺ، دار الانتشار

العربي، بيروت، ٢٠١١ م، ط١، ص ١٧.

الأم، وبذلك تتماثل أوضاعهم الاجتماعية - النفسية مع مأساة كربلاء وما لاقاه الحسين وأهل بيته وصحبه من ظلم واضطهاد وقتل وتشريد^١ .

رابعاً : بذل المحبون لنهج الحسين ﷺ والشيعه عموماً جهوداً عظيمة في الحفاظ على تقاليد زيارة الامام في كربلاء من خلال التصدي لكل محاولات السلطات الزمنية وعلى مختلف اتجاهاتها والتي كانت تحاول طمس هذه معالم هذه القضية بمختلف الاساليب الوحشية وعلى جميع الاصعدة الفكرية والثقافية والمنع من الزيارة واداء الشعائر، فكان الرد من الناس بمزيد من التمسك بهذا الطريق .

وخامساً : الحقل الأكبر للفهم والتفكير والتأمل في هذه المرحلة ونحن في زمن تعدد القراءات، هو : الحشود المليونية التي تنطلق في كل ارجاء العالم، وتصدر من كل بقاع الارض عبر استخدام كل وسائل النقل، وهي تهتف في عاشوراء وصفير : لبيك يا حسين، كيف تقرأ هذه الجموع الحدث ؟ كيف تتمثل تفصيلات تلك السردية من تاريخ الثورة، أو تحاكيها ثقافياً، في راهن منحوس تتسابق فيه قوى الارهاب الحمقى مثل الفايروسات التي تنشرها امريكا في افريقيا لتفرغها من أهلها، يسندهم بعض حكام العالم الاسلامي من اشباه الرجال، وذلك من أجل تقديم فروض الطاعة للمستكبرين والطفة هنا وهناك ؟ .

وأي أنموذج ثقافي يمكن استنباطه من هذه المعطيات وغيرها الكثير مما ارتبط بالمجتمع الاسلامي وتراكماته عبر الاجيال . لكي يوفر الامن والاستقرار

١ - ابراهيم الحيدري، تراجيديا كربلاء، سيسيولوجيا الخطاب الشيعي، دار الكتاب الاسلامي،

والكرامة والسعادة وقطع ايدي السارقين والناهبين للثروات الوطنية، وتحرير الارض وعودة الحقوق الفلسطينية الى أهلها؟.

ومن أجل تقديم قراءة تستهض حاضرنا كما اراد الامام اصلاًحياً، يفترض أن نتفق على نوعية هذا الاصلاح وحقيقته، الامر الذي يجعل الاصلاح في حاضرنا مشكلاً هو الآخر، ويثير مرة أخرى سؤال الحقيقة ومعناها . الامر الذي يتطلب استئناف النظر في الموضوعية وحدود الذاتية في القراءة، ونوع الحقيقة التي ننشدها، وبالتالي ضرورة الوقوف على المعايير والقيم والاهداف في الحدث الحسيني والرسالة التي اوصلها للأجيال .

وهكذا يتسلسل البحث ويدور متداخلاً، فمن اشكالية الاصلاح والنهضة والتقدم، الى اشكالية الحقيقة وحدود الموضوعية والذاتية في هذا المنهج الاصلاحى، ومن ثم الى المعايير والمنهج الذي يصلح سبيلاً سوياً للفهم والادراك في الوصول الى الحقيقة أو مقاربتها في نهج الاصلاح، ولكي لا تتحكم الذاتية المغشوشة في مسالك الفهم والمنهج وتشخيص المصالح تأتي الحقيقة الحسينية فوق الشبهات ومناراً للفهم، وبذلك ينكشف الزيف عندما تكون المقاصد الاصلاحية تغرّد خارج السرب الحسيني وان كانت باسم الشريعة كما فعلها ابن تيمية في نموذج بالمقاصد :

(لابن تيمية كلاماً وافياً بالمقاصد، ولعل وجدانه خروج الحسين بن علي في كربلاء مفسدة في الدين والدنيا، منتهى قوله في المقاصد ! لنا قلنا وجب أن لا

نكتفي بالقول بالمقاصد، بل تعين ضابطة معتبرة لها، حتى لا تصبح طريقا الى الفوضى (١).

ومن يكن ذا فم مريض يجد مرأً به الماء الزلالا

مشكلة شيخ الاسلام الأموي، أنه يعرض الاحاديث والأحداث والاشخاص والمواقف على كتاب بني أمية وليس على كتاب الله تعالى، فما وافق سرديتهم وخطابهم منها، أخذ به، وما خالف توجهات بني أمية، ضرب به عرض الجدار، مع أن وصية أهل البيت عليه أن أعرضوا حديثنا على كتاب الله تعالى، فما وافق كتاب ربنا فهو الحق، وما خالف كتاب ربنا، أضربوا به عرض الحائط.

وبذلك يتضح اهمية المراد الحسيني في ضبط ايقاع الفهم الموضوعي والذاتي في تعدد القراءات للحقيقة الاصلاحية والنهضوية والتقدمية وترسيم المناهج القادرة على تخريجها وتثبيتها. وبعد هذا التمهيد لابد من ذكر امور مهمة في اطار ترسيم الفهم في بحثنا لمجتمع طريق الامام :

اولاً : منذ نهاية عقد السبعينات ومع تصاعد المدّ الشيعي الجماهيري بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران، جرت عملية شيطنة للشيعية في الاعلام الصهيوني، وتصوير نهضة الشيعة وثورتهم من قبل دوائر الاستكبار العالمي واعلامها المهيمن على الفكر العالمي على أنهم دعاة للشر والحرب، هؤلاء الروافض، وليس دعاة الثورة بوجه الناهبين والمجرمين من أجل بناء المجتمع الاسلامي وتحقيق نهضته التي بات لا

١ - ادريس هاني، المعرفة والاعتقاد، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، ٢٠١٢م،

امل بها على أيدي التابعين للقوى الكبرى في الغرب أو الشرق . لقد عمل هذا الاعلام الاجرامي على شيطنة المكون الشيعي في كل انحاء العالم .

وبعد هزيمة الحزب الصدامي في العراق، عمل الاعداء على نشر سوء الفهم بحق الشيعة وعلاقتهم بأهل البيت عليهم السلام . وفي هذا الاطار جاء تصوير الزيارة ومجتمع طريق الامام عليه السلام، من قبل الدوائر الوهابية أو الدوائر العلمانية الخاصة بمناهضة الفكر الديني والمرتبطة بالغرب في تحقيق هذا المسار دون تميز بين الفكر النهضوي التقدمي الناجح في انجاز التقدم والفكر الرجعي، النكوصي والمتخلف . من هنا تأتي أهمية بناء الفهم السليم وتجنب سوء الفهم في طرح قضايا مجتمع طريق الامام عليه السلام، وذلك من خلال اعتماد آلية علمية في مقارنة هذا الفهم المعرفي للعلاقة العضوية بين دائرة طريق الامام والمجتمع العام، وقدرة هذا المجتمع النبوية والوظيفية على المساعدة في اعادة بناء المجتمع الاسلامي، في ضوء قضايا : الثورة على الواقع الفاسد، والنهضة العلمية والاجتماعية والاقتصادية وبناء الانسان المسلم السوي، على وفق مطالبه الروحية الخالدة في النفس الانسانية وعلاقته بالسماء ، ومنهج الانبياء السابقين، وما جاء به القرآن الكريم وطريق الرسول الاعظم عليه السلام والعرة الطاهرة التي اسست لهذا المجتمع السائر الى الله تبارك وتعالى .

ثانياً : الآن وقد صار واضحاً لدينا مسار العلاقة الجدلية الواسعة والتكاملية بين دائرة مجتمع طريق الامام عليه السلام والمجتمع العام، ولا بد من الوقوف على النماذج النظرية المفسرة لتزايد اعداد السائرين في كل عام بهذا الشكل المطرد والواضح في نمو مجتمع الزيارة، وهو الامر الملاحظ بشكل عام لدى كل المتابعين للنمو في تكوين هذا المجتمع الديني المتحرك باتجاه الزيارة .

وبعد الملاحظ لابد من تحريك اليات الفهم النظري، أي البحث في ما تؤديه يمكن تؤديه هذه الرحلات الى كربلاء والعتبات المقدسة من وظائف وتلبيه من حاجات فردية واجتماعية مختلفة ضاربة في صميم الطبيعة الانسانية وعلى وفق الدوافع العديدة عند الناس :

إن الرحلة الراجلة قد تكون من أجل الافلات من حالة السكون الاجتماعي والركود الالي على حالة العلاقات الاجتماعية الساكنة . أوقد تفسر هذه الرحلة بمقاربة تلك الرحلة المطلوبة والقائمة في اللاوعي الانساني منذ القدم، نحو المحل الاول للوجود والفردوس المفقود الذي استقر حبه في اللاوعي، أو قد يكون السير بلا وسائل من أجل التلاقي مع الطبيعة من حولنا في مقابل العقل (الأداة)، ورتابة استخدام الآلة المفرط في حياتنا اليومية .

وكذلك من نماذج تفسيرها العلمية، للتخلص من الروح النفعية على امتداد ايام السنة نحو حالة من انعدام السوق على طريق الامام عليه السلام في مقابل التنافس على البيع والمنافع ، ويبقى التفسير الديني والمواساة وطلب الثواب والمرضاة الالهية في المقدمة . وهذا ما سنقف عنده في الفصل الثاني من هذه الدراسة عند طرح النماذج النظرية المفسرة لتكون هذا النسق الاجتماعي وتفسير ادائه الوظيفي ازاء المجتمع الاكبر المحيط .

ثالثاً : لاريب أن هذه الجموع الكبيرة القادمة الى الانضمام الى مجتمع طريق الامام تأتي من بيئات اجتماعية كثيرة، ومختلفة من حيث الدوافع والاستعدادات والقدرات، وتختلف ايضاً في عمق الرؤية العقائدية أو الاخلاقية أو السلوك، وكثير

من الزوار ينخرط في الزيارة سلوكياً دون ان يكون له نصيب يعتد به من الرؤية العقائدية أو العمق الاخلاقي وتمثل سيرة الائمة عليهم السلام.

وقد ذكرنا في المدخل كيف أن : مجتمع طريق الامام هو مجتمع مدني، يتألف من أطراف عديدة ترتبط في هذا الطريق بشكل من العلاقات يختلف عما هو سائد من علاقات العمل القائمة على النفعية وتقسيم العمل الروتيني، كما لا يعبر عن أشكال من القرابة السائدة في المجتمع الريفي والاهلي العشائري، وفي طريق الحسين تتعاون المجموعات البؤرية في انسجام تام من أجل خدمة الزائرين وتقدم نمطاً من العلاقات لا يماثل العلاقات التقليدية في المجتمع السائد في الحياة العادية، فهو مجتمع مدني بامتياز لا يتقوم بالعلاقات العشائرية والقربات السائدة في علاقاتنا العادية.

ومن خلال الاندماج في مجتمع طريق الامام يحصل للكثيرين فهم جديد ورؤية مغايرة عما تعلمه في محيطه المحدود في حاضنته الاجتماعية الاصلية، ومعرفة غير مسبوقة لديه بدوافع أخرى للزيارة مغايرة عن دوافعه التي جاء من اجل تلبيتها، وهذا أمر مهم في فهم أهمية الزيارة بالنسبة للكثير من الزائرين، كما تشكل هذه المعطيات فهماً ديناميكياً لعملية المؤسسة الاجتماعية وتطورها واعادة بناء المجتمع.

رابعاً : إن عملية الاحتكاك الاجتماعي تشمل هنا الافراد ودورهم في هذه الجدلية التكاملية، كما تشمل الجماعات البؤرية الصغيرة والمتوسطة التي تتحرك في مجتمع طريق الامام عليهم السلام، عبر تشكيلات المراكز الخدمية والثقافية والفنية،

والمواكب السائرة وغير ذلك، كما تشمل عملية الاحتكاك مجمل التكوين الاجتماعي وأهدافه الكبرى والتوجهات والامكانيات الموضوعة في خدمته ازاء المجتمع الكبير المحيط، ومن هنا يمكن حل إشكالية دور الفرد في مقابل دور المجتمع وتأثير أحدهما بالآخر، إذ تكون دوائر التأثير الفردية والبؤرية والاجتماعية، دوائر واسعة ومتداخلة ولا يمكن فصل الواحدة عن الأخرى في التأثير.

خامساً : قد يذكر البعض أن الزيارات المليونية شكل رافعة قوية للانصهار في اطياف المجتمع العراقي الشيعي، وقد اسهمت عبر السنوات القليلة الماضية في توحيد المكون الشيعي وحواضنه الاجتماعية وبيئاته المختلفة وادماجها، وهذا التأثير بحاجة الى فهم لآليات تظهيره واثباته واستدامته في المجتمع العراقي، وكل ذلك يمكن أن يتم عبر اعتماد الجدلية التكاملية والانصهار الاجتماعي من خلال التعاون والتفاعل البناء.

ولاريب أن الملاحظة العلمية لكي تشكل اساساً للنظرية لا بد أن يتبعها الفهم العلمي الجامع بين الذاتية الخصبية والموضوعية، وبالتالي فهو قائم على قبلات الخيال الخلاق من : المقاربات العلمية سواء القادمة من استقراء التراث أم الاستنتاج من الحداثة والمعاصرة، أو باعتماد الباحث اسلوب التفكيكات والاستبعاد، ومن ثنائية التفكيك والمقاربة يتشكل التأويل الذي يغدو الاساس في الفهم للحقائق الاجتماعية وقراءة الفعل الاجتماعي .

ورغم تقديم جانباً هذه المعطيات الاولى، فإن المباشرة الحقيقية بتدوين العناصر الاساسية للأنموذج الثقافي والاجتماعي في مجتمع طريق الامام عليه السلام، إنما

سيكون في القسم الثاني من هذا الكتاب، وبالذات في المبحث الخاص بعرض عناصر الانموذج الثقافي الحسيني والفصل الأخير من هذا المبحث .

المبحث الثاني :

الرؤية الجدلية والنقد في مجتمع طريق الامام عليه السلام :

الخطاب النقدي هو المقدمة والمدخل الطبيعي لخطاب التغيير، ولا بد من فلسفة أصيلة للنقد كما أنه لا بد من أهداف للتغيير، وفلسفة النقد تنطلق أولاً من تكريس تصور سليم للطبيعة الانسانية ومطالبها المحقة في هذه الحياة الانسانية والمجتمعية، في مجال طلب الخلود عند الانسان السوي، يمثل الحس النقدي الذي تبلوره الثورة الحسينية لكل مظاهر الاستبداد والركون الى المادة موقع الروح في جدلية الارتقاء نحو المطلق الإلهي، ومجتمع طريق الامام يعيش كل اشكال النقد والتسامي فوق الرغبات الدنيوية الناشئة التي تعكس مظاهر الترف والركون الى المادية والابتعاد عن عالم الروح ومطلب الخلود، ومن المعلوم أن هذا المطلب الانساني قد تم تغييبه تماماً من كل الادبيات الاشتراكية أو الرأسمالية ولم يحظَ بأدنى التفات من لدن فرانسيس فوكو ياما صاحب كتاب : نهاية التاريخ وخاتمة البشر، كما غاب سؤال الروح في كل الادبيات الفلسفية المعاصرة من هايجر وحتى كادмир .

وفي مجال الحرية ومطلبها في النفس البشرية، تقدم الافكار الحسينية برنامجاً اساسه التحرر من كل هذه التشوهات في عالم الاسواق وقيم البيع والشراء للذمم في الحواضن الاجتماعية التقليدية، التي تعج وتضج بتعقد المصالح والحسابات في بورصات السياسة وعالم الركض المحموم وراء المناصب والوجاهة والرساميل الضخمة في المصارف والاستثمارات وطلب العلو في الارض والهيمنة على حساب

الشرفاء والمخلصين والناس الاكثر نزاهة واخلاصاً .وهذا نقد آخر يقدمه مجتمع طريق الامام للمتهالكين على عبادة : عجل الذهب .

اما في مجال المساواة ومطلب العدالة الانسانية، يقدم مجتمع طريق الامام سردية كبرى للمساواة بين الناس على طول هذا الطريق، فلا تميز ولا عنصرية ولا فصل على اساس ما . بل هنا في طريق الامام، لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى، وبذلك ظهر مجتمع طريق الامام مثلاً أعلى للإدماج الاجتماعي الذي يتحدث عنه الغرب في أزمنة الفصل العنصري الذي تقوده إسرائيل ونخبها من ممثلي الحضارة الغربية في شرقنا الاسلامي المنكوب، كما يدعون .

ومن مجموع هذه المطالب الانسانية الكبرى : الخلود والحرية والمساواة يمكن أن تتشكل الرؤية الجدلية الارتقائية بالمعنى الشامل للتعاون والتكامل والمثاقفة الاجتماعية في طريق مجتمع الامام،وهي فرصة لفهم الممارسة النقدية في هذا الاطار التغييري باتجاهات الاصلاح الاجتماعي التلقائي الذي يتولد عن احتكاك الحواضن الاجتماعية بمرور الزمن وترسخ القناعات .

إن الروح النقدية التي تؤسس لها مشاهد الزيارة الاربعينية ومجتمع طريق الامام تؤكد ابدأ أن النظرية الاسلامية في الحياة لا يمكن مقاربتها بالنماذج الاشتراكية أو الليبرالية مهما حاول بعض الاسلاميين ولاسيما بعد وصولهم للسلطة وتذوقهم حلاوتها السامة، وعسيلتها الخبيثة، من محاولات تمييع الفكر الاسلامي باتجاه القبول المستبطن بهذه الاتجاهات المذهبية التي لا ترجوا اللقاء مع الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون .

لقد صار لدينا تاريخ طويل من توظيف حركة المشي من أجل الاهداف الكبرى، والجميع اقتبس هذا التقليد من مجتمع طريق الامام (عليه السلام)، فمن غاندي وحركة المشي في ثورة الملح الهندية ضد طغيان الانكليز ، والى مسير النساء بأمر الإمام الخميني لتحرير القصور الملكية في طهران من رجال الشاه وحرسه غداة الثورة الاسلامية في ايران، الى تخليد ضحايا المجازر في بلاد البوسنة والهرسك من المسلمين.

ومن هذه التجارب التاريخية أيضاً، دعوة الامام السيد السيستاني (دام ظله) من أجل انقاذ مدينة النجف الاشرف من بطش الجيش الامريكي وفك الحصار عنها، وذلك من خلال حركة الجماهير المؤمنة، لبث الجماهير الحسينية نداء المرجعية وزحفت سيراً على الاقدام، وتحت وابل من القذائف الطائشة، نحو مرقد الامام علي عليه السلام وطردت الوحوش الامريكية، عام ٢٠٠٤م الموافق للتاسع من شهر رجب عام ١٤٣٥هـ جرية، وصولاً بأذن الله تعالى بهذه المسيرات المقدسة الى تحرير فلسطين من شرادم اليهود وعملائهم من العرب، المعادين لخط المقاومة وثقافتها الاجتماعية المعادية للصهيونية.^١

يتذكر الجميع كيف تمت استعادة الثورة الحسينية لمواجهة فكرة التوريث التي طرحها في مصر على عهد مبارك، طبعت تلك السردية التي قدمها عبد الرحمن الشرقاوي عن الثورة الحسينية، وتم تمثيلها على المسارح من أجل وقف مهزلة

^١ - المسيرة الكبرى نحو كربلاء ينبغي أن تذكر الشعب الفلسطيني على الدوام بمسيرة العودة الميمونة والقريبة بأذن الله تعالى الى أرض فلسطين المغتصبة من قبل الصهاينة الانجاس، وبذلك اليوم العظيم الذي سيعود فيه أهلها من الشتات الى الارض المباركة والقدس الشريف .

التوريث، وفي ذات السياق النقدي يمكن القول أنه من العجيب ما نراه من عدم اهتمام الاكثرية من ابناء الشعب الفلسطيني ولاسيما نخبهم العلمية والثقافية وشبابهم من عدم الاهتمام الجاد بالتراث الحسيني الثوري أو الاكتراث، مع أن مأساة هذا الشعب التي لا مثيل لها في راهننا المعاصر، تدعوهم للتأمل في تلك المأساة التي وصفها الائمة من أهل بيت النبي : لا يوم كيومك يا ابا عبد الله، وفي ذات الوقت الذي يرى فيه مجتمع طريق الامام أهمية تحرير القدس وكل أرض فلسطين، وأن هذا الزحف المقدس ما هو الا استعداد لذلك اليوم العظيم المعد لنصرة قائم آل محمد الذي يفتح فيه ارض فلسطين ويستعيد قدسها، وينهي هذه المأساة المستدامة بفعل الصهاينة الاشرار .

ومن المهم اليوم أن يكرس الشعب الفلسطيني هذه التجارب العظيمة في الطريق الحسيني المقاوم، وأن يكون لدى شعب فلسطين واهلها الصابرين والمرابطين وعي حقيقي وانفتاح ملموس على القضية الحسينية ودورها المستقبلي في تحرير ارضهم من براثن الصهيونية المجرمة ولا سبيل الى تحريرها الا بمساعدة رجال الشيعة وابطال الخط الحسيني، الكربلائي في اسلوب التضحية لشعب فلسطين.

كما أن النقد الذاتي ومحاسبة النفس، لابد أن يكون حاضراً في هذا الطريق، فمع وجود النخب الشيعية في العراق والتي تستطيع افراغ الحاضنات الاجتماعية من مكوناتها البشرية ورفد مجتمع طريق الامام بالمكون البشري، الا انها كما نلاحظ، عاجزة عن سكب روح الثقافة الحسينية بكل معالمها في هذا

الطريق الحيوي، فما أن يرجع البعض من الزيارة حتى يعود الى ما كان عليه من
العماء والهناء، وكأن طريق الامام الحسين ما زاده الا نفوراً وخبالاً.

المبحث الثالث :

الرؤية الجدلية وإنتاج الانموذج السيولوجي الثقافي:

المسألة الثقافية والسعي نحو بناء أنموذج ثقافي اسلامي في المرتكزات والسمات والخصائص من الحقول البحثية النادرة في ادبيات الخطاب الاسلامي المعاصر، وقد استهل المفكر الاسلامي زكي الميلاد كتابه المسألة الثقافية بهذا التساؤل : هل توجد لدينا نظرية في الثقافة ؟، وكان الهدف الأخير من وراء السؤال استقراء امكانية انتاج أنموذج ثقافي اسلامي يتوافق مع تطلعات العالم الاسلامي ومجتمعاته للنهضة والتقدم في المجالات الحضارية كافة.

ومن المعروف أصلاً ندرة الاهتمام بالبحث الاجتماعي في عالمنا الاسلامي بشكل عام، فيما هو بحث عزيز على قلوب المستشرقين والمخططين الغربيين الذين يهتمون بمصالحهم كثيراً في هذه المنطقة ومستقبلها. وكذلك، توجد مشكلة الندرة في مجال انتاج خطاب السيولوجيا في مجتمع طريق الامام، فسردياته تعدّ الآن من النصوص النادرة بسبب حداثة هذا الحقل البحثي والتألفي، ومع أهمية أو خطورة هذا النوع من البحث وتداخله بالبحوث الاقتصادية والسيكولوجية وطرحه لمسألة النهضة والتقدم ومسارات التغيير في العالم الاسلامي كما اسلفنا تتضح أهمية : اكتشاف العناصر الاساسية للأنموذج الاسلامي في المجتمع والثقافة وطريقة تفاعلها، وهذا ما نأمل تحقيقه من خلال طرح انموذج ثنائي هو : جدلية الارتقاء الاجتماعي والثقافي في مجتمع طريق الامام ﷺ.

استعرض زكي الميلاد في كتاب : المسألة الثقافية جملة من الجهود السابقة في محاولة بناء نموذج اجتماعي وثقافي اسلامي فذكر ما كتبه مالك بن نبي، في كتاب : مشكلة الثقافة الصادر عام ١٩٥٩م في القاهرة، وطبق فيه طريقة العلل الاساسية في المنطق الارسطي على الثقافة، العلة الغائية وهي الأخلاق، والعلة الصورية، وهي الحس بالجمال في الثقافة، والعلة المادية، وهي الثقافة التقنية والصناعية، والعلة الفاعلية، وهي الثقافة العملية والاجرائية، وكذلك تطرق زكي الميلاد لجهود علي عزت بيجوفيتش في كتاب : الإسلام بين الشرق والغرب، ونموذجه في التمييز بين الثقافة والحضارة، ثم خلاص الى القول :

(نحن ما لم نتخلص من احساسنا بالقصور وبعمق النقص، وذهنية التبعية والتقليد، فلن نظهر ثقة وشجاعة في التعبير عن أفكارنا وفي التعامل معها، وبإمكاننا أن نكتشف لأنفسنا فكرة عن الثقافة انطلاقاً من منظومتنا الاسلامية، اذا بذلنا جهداً معرفياً، وتواصلنا مع هذا الجهد بطريقة بنائية وتراكمية، وتعاملنا معه بثقة عالية، وبخلفية الاصرار على الاكتشاف، والتمسك بنزعة استقلالية نتخلص من التبعية والتقليد) ١ .

وفي هذا الاطار المنهجي، والتراكمي ايضاً، جاء كتاب : نظرية الثقافة، لمحمد جواد ابو القاسمي الصادر عام ٢٠٠٨م، خصص مؤلفه الفصل الأخير من الكتاب لمحاولة الاجابة عن الاسئلة الاساسية في الانموذج الثقافي: ماهي العناصر والأجزاء الرئيسة في الثقافة ؟. وما هي العناصر التي تشملها المستويات الفرعية

١ - زكي الميلاد، المسألة الثقافية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، ٢٠١٠م ، ط٢، ص ٥٢.

للثقافة المختلفة ؟ . وما هي طبيعة العلاقة بين هذه العناصر ؟ . ومحاولة اعادة تعريف للمفردات المفتاحية في الثقافة في ضوء الرؤية الجديدة.١ وقد قدم ابو القاسمي جهداً مميزاً في رصد الأجزاء والمكونات التي يعتقد أنها اساسية في بناء الأنموذج وسنقف عند بعض كلماته في التعريف بهذه الأجزاء ووظائفها، بأذن الله تعالى في القسم الثاني من هذا الكتاب عند البحث في عناصر ومكونات الانموذج الثقافي والمجتمع الحسيني.

وفي هذا البحث لاريب توجد محاولة انتاجية أخرى في هذا الاتجاه بالاستفادة من مفاهيم مثل : الذاكرة والهوية والأداء والدلالة والاشتراك^٢، للوقوف على امكانات الأنموذج الثنائي الجامع بين المجتمع والثقافة سواء على مستوى الثبوت أو البنية أو البناء الفكري، أم على مستوى الاثبات أو تفعيل البنية والتطبيق، في الخروج بأنموذج ثقافي واجتماعي يركز على القضية الحسينية وتفاعلاتها الاجتماعية والثقافية ويحقق الانسجام مع الحضارة باعتبارها الوعاء الكبير الذي يحيط بكل الانساق الفاعلة في هذا العالم ولا يمكن اغفال هذا الوعاء الا من قبل المصائبين بالعمى الأنطولوجي .

ومن هنا ايضاً كان لابد من اختيار منهج الجدلية الارتقائية والتفاعل بين الدوائر والحواضن الاجتماعية والانساق وتأثير بعضها في البعض كنماذج متفاعلة من جهة، وبين الابنية الثقافية ودوائر الثقافات الفرعية المختلفة في هذا البحث .

١ - محمد جواد ابو القاسمي، نظرية الثقافة، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت ،

٢٠٠٨م، ط١، ص ١٣٣.

٢ - ينظر القسم الثاني من هذا الكتاب .

وبملاحظة حجم الموضوعات والمساحات التي تشكل حقولاً للبحث السوسيولوجي في تفاعل مجتمع طريق الامام ﷺ مع ما حوله من مجتمع وما يطمح السائرون من اكتشاف الحقيقة الحسينية والتغيير والتأثير في الوسط الاجتماعي العام .

وليس حديث الطريق والبحث فيه هو حديث الاحتجاج والمخاضة مع المختلف بقدر ما هو محاولة انتاجية لأنموذج جامع بين الثقافة والمجتمع كخطوة تراكمية في هذا المجال الحيوي عند المؤمنين، فبعد أن وضع المؤمنون ايديهم على العروة الوثقى، كان لابد من حديث الارتقاء، وحديث القرب والتسامي بالوعي :

(قصدهم الارتقاء بالأجوبة الداخلية لا الاحتجاج الخارج كما سبق ذكره، كان لابد من تحقيق طموح أعلى من مجرد التوجه بالكلام الى غير المؤمنين، أعني التوجه الى عقول المؤمنين لتحقيق حاجتهم للترقى في أفهامهم ومداركهم الآخذة يومها في التطور)^١ .

ومن مجموع هذه الموضوعات المحلية ذات المحتوى الانساني العظيم يمكن الانطلاق الى العالمية في الابداع والانتاج، وذلك بالجمع بين المحتوى الانساني في مجتمع طريق الامام، والتقنيات والمناهج في التقديم النصي او الانتاج الفضائي في عالم الصورة التي تقدمها الحداثة، متفنتة في تصنيع الحقائق وتقديمها.

١ - ادريس هاني، المعرفة والاعتقاد، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، ٢٠١٢م،

ويشفع لتعميم هذا الانموذج عالمياً صدقية اتباعه في التصدي للإرهاب الدولي وثقة الناس الشرفاء والابرياء بهم، فهو انموذج يعرف كيف يكرس المحتوى الانساني والسلمي للزيارة الاربعينية، وفي ذات الوقت لا يستبعد خيار : ثقافة المقاومة والتصدي لكل قوى الارهاب العالمي والبغي والنفاق الاجتماعي والديني والسياسي، من انصار القوى الغربية، المتحالفين مع الاستكبار العالمي وأذنابه الحمقى ؟ .

واما محاولة خلط المقاومة بالإرهاب على طريق اعلام الكيان الصهيوني فهي محاولة مكشوفة الاهداف سلفاً، إذ لم يعد انتاج فعل المقاومة والثورة قابل للتزييف أو الخلط بالإرهاب، من باب صناعة الحقائق الزائفة في زمن فقدان المعايير على ايد الصهاينة والوهابيين الخبيثاء، بل هو حصراً في طريق الامام الحسين (عليه السلام)، سيد شباب أهل الجنة عند كل أهل الحديث، ومن ثم هو حقيقة ساطعة في من سار على هذا الدرب البطولي لمناهضة الظالمين والسفلة من انصار الحكام الحمقى والذين يفجرون انفسهم في طريق الأبرياء، وعلى الانتاج النصي والإعلامي أن يكرس هذه الحقائق عن مجتمع طريق الامام (عليه السلام)، ويوصلها بأمان، وهذا هو السر في قوة الأنموذج الثقافي والاجتماعي الذي ينطلق من مجتمع الامام الحسين (عليه السلام).

فمجتمع طريق الامام (عليه السلام)، أصلاً يعيش حالة من التمثل الرسالي والامتصاص للقضية الحسينية ولمجتمع اصحاب الامام (عليه السلام) الذين كانوا معه في طريق الثورة والتضحية من أجل الرسالة الاسلامية وقيمها الانسانية الكبرى في مجالات العقيدة والاخلاق والعمل، وبذلك تتعدد مجالات تفاعل التمثل العليا على طريق الامام الحسين (عليه السلام).

ويشفع لعالمية هذا الانموذج، أن مجتمع الطريق يعيش حالة من الجذب الروحي الى تلك الثلة المخلصة من الاصحاب الذين بذلوا انفسهم في نصرة الامام وقضية الاسلام، وهم بدورهم ييثون الامل في كل ارجاء المجتمع الاسلامي من اجل استعادة تلك القيم السامية لسيد شباب أهل الجنة، بعيداً عن كل هذه الضلالات والتشوهات التي احدثها الاعداء في الملامح الاعتقادية والاخلاقية والسلوكية لهذه الامة العظيمة، ولعل واحدة من أخطر هذه التشوهات التوجهات المعوقة في مجتمعنا لكل ما هو ناجح، إذ يعمل الوسط الاجتماعي على افشاله والتخلص منه، فيما نلاحظ العكس على طريق الامام، حيث يساعد الفاشل من أجل بلوغ الهدف والنجاح في هذا الطريق للوصول الى المساواة مع الجميع وهذه هي أخلاق الاسلام .

وكذلك يشتمل تأثيره على حالة التفاعل والصراع بين القوى الفاعلة المختلفة في عالمنا الاسلامي من أجل النهضة، ومن المؤسف أن يحتفي البعض من كتابنا بالإنسان الاسمي في كلمات : (هكنا تكلم زرادشت) ونصوص نيتشه الالمانى ^١ الأخرى، باعتبار، (أن فلسفته تهدف الى ترقية النوع الانساني، فان المرمى واضح، تنهيز الانسان العربي وبث روح الحياة في ارادته، وبخاصة أن اقتضاءات تلك المرحلة من مراحل النهضة العربية كان طموحا عالياً وتستبطن نوعاً من التضخم، أي التضخم الذي يربط النهضة بقيادة الانسانية، وعدم البقاء في هامش

١ - فردريك نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠) شاعر وفيلسوف الماني، يعد المؤسس لنقد الحداثة، أو ما يعرف اليوم بما بعد الحداثة، بعد أن شكك في مقولاتها الاساسية من : الفردانية والعقلانية والحرية ، كما طرحت في الفكر الغربي آنذاك .

التاريخ)^١ . وتبصر العين اللماحة اليوم من هو في هامش التاريخ ؟، بل كم هم الذين تم قذفهم في مزابل التاريخ ؟ ممن حارب طريق الامام الحسين عليه السلام .

ومن الجوانب العالمية لهذا النموذج القدرة المستمرة على احداث التغيير في السلوك الاجتماعي والثقافي نحو الافضل، ففي الفكر الاجتماعي الحديث والمعاصر السائد ذكرت العديد من مصادر التغيير الاجتماعي ونماذجه التي تحاكي سيناريوهات التغيير الواقعية، والتي تستهدف في الاخير تقديم تنبؤ بالمستقبل لمسار التحرك الاجتماعي والثقافي وضبطه والسيطرة عليه. وفي مجتمع طريق الامام عليه السلام كما اعتقد تكمن إجابة عميقة وصادقة وواضحة عن سؤال المستقبل واشكالاته الكبرى.

ومهما ذكرنا في أسباب تفسير نمو مجتمع طريق الامام وتبنيها من النماذج المفسرة، فان هذا المجتمع قد حقق تقدماً كبيراً في تطوره في هذه المرحلة من التاريخ وهو آخذ بمزيد من الصعود والاستقطاب الجماهيري، ويعمل بشكل متزايد على تغذية الروح الثورية والنهضوية عند المؤمنين ويمدهم بطاقات خلاقة على مواصلة التحدي للمعوقات بكل اشكالها والمقاومة .

المجتمع العراقي ينقل جانباً من تأثيره الى المجتمعات العربية والاسلامية من حولنا، كما ترتد هذه التأثيرات بوسائل متعددة الى مجتمع طريق الامام لتعمل على تطويره وترسيخه ولاسيما مع هذا الدور المتصاعد للأعلام ونقل الاخبار المباشر في العالم ، فكل منهما يؤثر في الآخر، وكذلك تثير مخاوف جمة لدى المتوجسين

١ - د . عبد الرزاق بلعقروز، المعرفة والارتياح، منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١٣م، ط١، ص ٣١٣ .

خيفة من انتشار الفكر الشيوعي في هذه المرحلة كما هو الحال مع المفكر ديبورا آموس الذي صنف كتاباً تحريضياً يدعو فيه قوى الارهاب المدعومة صهيونياً للتصدي لما اسماء بتمدد الفكر الشيوعي والمجتمع الشيوعي صراحة^١، وقد شهد الجميع في سوريا وفي غرب العراق، كيف ظهرت الاسلحة والاموال والخرائط الاسرائيلية بيد الارهابيين، وكان رئيس الوزراء الإسرائيلي يزور جرحى الارهاب من الوهابيين في المستشفيات داخل الارض الفلسطينية المغتصبة ويدعوا لهم بالشفاء من على شاشات الفضائيات العربية، وكان جدير بهؤلاء الحمقى أن يفجروا أنفسهم في التجمعات الصهيونية وليس بين الابرياء من النساء والاطفال، في أسواق المدن الاسلامية، وعلى امتداد العالم الاسلامي من باكستان ومرورا بالقاهرة وحتى ارض المغرب العربي^٢.

ولاريب أن تحديد هذه الجدلية كمنهج لدراسة أنموذج متعدد الابعاد يساعدنا في عمليات البحث العلمي الاساسية من : الملاحظة والفهم والنقد والتفسير، في المجال الاجتماعي . وما نحاول أن نرصده في هذه الدراسة أيضاً، هو : هذا التأثير

١ - ديبورا آموس، افول اهل السنة، ترجمة : محمد فاضل ، تقديم : د، رضوان السيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٤م، ص ١٤٣.

٢ - سيتبين من خلال بحوث هذا الكتاب بأذن الله تعالى، كيف أن مجتمع طريق الامام ﷺ مجتمع قائم على الدعوة للسلام، و منفتح على جميع مذاهب المسلمين ومجتمعاتهم الكريمة، وليست له مشكلة مع أحد، الا أن البعض لا يريد لهذا التوجه أن يوجد اصلاً بين المسلمين عامة، وينزع الى التحريض والتكفير والتنازع ، كي تعم الفوضى في العالم الاسلامي، وبذلك لا يقوم الاستقرار في بلاد المسلمين، وانعدام الاستقرار هو في الواقع مقدمة للدمار الشامل الذي يخدم الوجود الاسرائيلي، بمعنى يوجد من عنده مصلحة حقيقية في تأجيج الفتنة المذهبية بين المسلمين لكي يجعل كيدهم في نحرهم .

المتبادل على امتداد الاعوام العشرة الماضية من تاريخ استعادة مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام، بعد سقوط نظام الحزب الواحد الشمولي في العراق.

ونحاول في البحث أن نرصد كيف تم خلال الاعوام السابقة، تمثل المجتمع العراقي والمجتمع الاسلامي عامة، لثقافة، وأفكار، وقيم، وتقاليده، واعراف ومؤسسات مجتمع الامام الحسين عليه السلام، وحدود هذا التمثيل .

إذاً نحاول في البحث رسم منحنى التغيير في المجتمع العراقي التقليدي بمرور الزمن، واستمرار التأثير المتبادل والتغيير، لكي نصل بهذا المجتمع التقليدي الى مستوى مجتمع الامام من حيث الالتزام المبدئي والاخلاقي والراقي في تطبيق النظم الحضاري والوحدة الوطنية والتلاحم الجماهيري، الذي يفترض أن ينعكس على التنمية الاقتصادية بشكل أو آخر، وبالتالي تحقيق السعادة المنشودة في كلمات الفلاسفة والمصلحين والاولياء،

ويشفع لهذا النموذج عالمياً ايضاً، أجماع علماء الحضارة الحديثة والمعاصرة أن معالم الاصلاح والتغيير قد انطلقت من الحواضن الاجتماعية الملتزمة دينياً، والمنفتحة على الأخوة الانسانية والايمان بأهمية الانسان على هذه الارض ورسالته، وسواء جاء هذا الايمان بالإصلاح والتغيير من باب ايمان هذه الحواضن بدورها الشرعي في الامر بالمعروف ووقف الممارسات الخاطئة كما هي وظيفة الانبياء، او من باب الايمان بضرورة سعادة الانسان على هذه الارض كما هو رأي كل الفلاسفة الدينيين، فإن آلية البذل والعطاء والسخاء والعمل من أجل الآخرين كانت الطريق الى تحقيق هذا الاصلاح والتغيير وهذا ما يوفره طريق الامام الحسين عليه السلام.

ولا عجب بعد كل هذه الأهمية لطريق الامام الحسين عليه السلام، وامكاناته على الاصلاح والتغيير، أن نسمع في الحديث الشريف : إن زيارته عليه السلام تعدل الف حجة وعمرة في يوم القيامة عند الله تبارك وتعالى.

ومن هنا بالإمكان أن يتعدد انتاج النص في عالم السييسولوجيا الباحثة في بنية هذا المجتمع ووظائفه وفي المحتوى الفكري والثقافي ومدى تأثيرها على المحيط الاجتماعي، ونمو هذا المجتمع وتأثيره المستدام لروح المقاومة والثورة، في زمن العولمة والتقارب بين الامم والشعوب والمجتمعات من أجل العيش المشترك الكريم .

وفي ختام هذا الفصل الحيوي الذي ضم في ابحاثه : المفاهيم الرئيسة في الدراسة التي تساعد في فهم مجتمع طريق الامام كأنموذج متعالٍ وواقعي معاً، والمسائل المنهجية في علم الاجتماع من قبيل : طرق تحصيل المعرفة العلمية في المجال الاجتماعي، وكذلك مجالاتها الاساسية، المذهبية والنظرية والسياسية، والجدوى في البحث، وصولاً الى طرق البحث الاجتماعي، وكل ذلك من أجل بناء أنموذج علمي متكامل يستطيع أن يقدم لنا مجتمع طريق الامام بشكل مدروس ومبوب من حيث التوصيف البنيوي والوظيفي لهذا الاجتماع الانساني، ككيان اجتماعي وكذلك يحلل لنا المحتوى الفكري والثقافي لهذا المجتمع .

وكذلك يقدم آليات اشتغاله وانشطته التي تلبي دوافع افرادة المساهمين في صناعة هذه الممارسة الاجتماعية، وأعاده بناء وتكوين الشرائح المشكلة لهذا المجتمع واستراتيجياته التأثيرية في الحواضن المحيطة به من أجل بناء الانسان

المتصالح مع المجتمع من حوله، بعيداً عن ضغط الحرب الناعمة التي تشنها القوى الاجتماعية العميلة ومؤسساتها المتغربة أو المشرقة التي تفسد العقول وتسمم الاجواء.

تتيح حواضن مجتمع الامام ﷺ، تشكيل نوعاً من الاجتماع الانساني الوسطي، المتفلت من ضغط الواقع الاشكالي، أو خارج أطر الممارسات القصرية التي تنتجها قوى الحرب الناعمة التي تستثمر عناصر الخلل في الحواضن التقليدية النفعية، لضرب الشخصية واتلاف ذاكرتها الوطنية والاسلامية معاً.

وفي مقدمة هذه القوى عندنا اليوم هي : اجهزة الاعلام بمختلف اشكالها والاتصالات، والنخب المتنفة في ادارة الاحزاب والجامعات والمؤسسات المرتبطة بالخارج العراقي بشكل أو آخر، فتكرس هذه المجموعات أو النخب سياسات الحرب الناعمة الثقافية والفكرية التي توجهها أو تساهم فيها ضد المجتمع، وتستغل من أجل ذلك مكامن النقص الانساني التي تعاني منها هذه المجتمعات والحواضن، وفي مقدمتها سيادة المعايير المزدوجة في التعاطي مع القضايا الانسانية وطرق التفكير الملتوية الناتجة عن ازدواج الشخصية على أكثر من مستوى فتعمل على تميمتها بطرق رسمية وقانونية غير منظورة، ومدروسة بعناية فائقة في دوائر

ومراكز البحوث المتخصصة بالحرب والعلوم الناعمة^١. من أجل تمزيق المجتمع بلا أمل يذكر في إعادة اللحمة اليه.

خاتمة الباب : وهكذا، استوفينا في الباب الأول الحديث عن : قضايا المفاهيم والمنهجية والنظريات ومجالات التطبيق المتنوعة في مجال الثقافات والمجتمع، باعتبار أن الثقافة الحسينية بكل مكوناتها، هي جزء من مفهوم الثقافة العام، وبذلك يمكن دراسة هذه الثقافة كأنموذج مؤسس في ضوء المناهج السائدة في البحث الثقافي والاجتماعي وكذلك المفاهيم، والنظريات المعروفة والأدوات المعرفية القادرة نسبياً على استطراد أنموذج المجتمع الحسيني وثقافته وترسيم معالم أو عناصر هذا الأنموذج، وأخيراً تطبيقاته العملية واشكال الأداء والدلالة والمشاركة في مجال الثقافة. كل هذه الاشكاليات المعرفية والقضايا الاجتماعية والمسائل الفكرية المرتبطة بها وغيرها الكثير ستكون محاور اساسية في بناء الفصول الاتية من هذا الخطاب الاجتماعي عن طريق مجتمع طريق الامام ﷺ بأذن الله تبارك وتعالى، والحمد لله رب العالمين.

^١ - يقود هذه البحوث عالم فيزيائي مصري متخصص بإدارة البحث في الحرب الناعمة في الشرق الاسلامي ، وحاصل على جائزة نوبل العالمية، بمساعدة من دوائر المخابرات الصهيونية ضد العالم الاسلامي وهو مستشار الرئيس الامريكي حالياً .

الباب الثاني

الأنموذج الثقافي والمجتمع الحسيني

تمهيد :

الفصل الاول : الأنموذج الثقافي والمجتمع الحسيني : جذور تكوينية أولى
المبحث الاول : الجذور الاجتماعية للثورة (مشروعية الثورة في المجتمع
المقاوم):

المبحث الثاني : الحضور الاجتماعي النسوي في الثورة .
المبحث الثالث : كربلاء و ولادة مجتمع وثقافة المقاومة ..

الفصل الثاني : عناصر الأنموذج الثقافي الحسيني :

المبحث الاول : الرؤية الكونية .

المبحث الثاني : الهوية .

المبحث الثالث : الذاكرة .

المبحث الرابع : المحاكاة .

المبحث الخامس : الخطاب أو اللغة .

الفصل الثالث : المجتمع الحسيني : خصائص وسمات معاصرة، وآفاق مستقبلية:

الباب الثاني :

الأنموذج الثقافي والمجتمع الحسيني

مدخل عام :

تأكد لدينا منذ الباب الاول، أن الصراع في المجال الاجتماعي في أمتنا الاسلامية، إنما هو انعكاس للصراع الثقافي فيها، فصراع الرؤى الكونية والعقائد أو الاديان، يتولد عنه صراع الثقافات والأخلاقيات والسلوكيات العام، الممثلة لتلك الرؤى الكونية المتضاربة والمدافعة عنها، ومن ثم فإن صراع الثقافات وانقساماتها الحادة، هو من يؤسس للانقسام الاجتماعي وصراع الفئات والأعراق الى حد الاقتتال، وبذلك تتكرس الانقسامات الاجتماعية والحضارية أكثر .

وتتأكد لنا أهمية سعي العلماء والمؤسسات العلمية والفكرية باتجاه البحث في الأنموذج الثقافي بشكل عام، وذلك من أجل توفير أنموذج ثقافي : موحد للمجتمع، ومنسجم ثقافياً وحضارياً، ويسعى للتقريب بين الحواضن الاجتماعية المتعددة، أو الادماج بين فئات المجتمع المختلفة ووقف نزيف الصراعات المذهبية والعرقية وصراع المصالح والتصدي للإرهاب .

وفي هذا الباب، سنحاول الوصول من خلال البحث التاريخي والوظيفي في المجتمع الحسيني، إلى بناء أنموذج ثقافي لهذا المجتمع متكامل من الناحية البنيوية كصورة فكرية لهذا المجتمع، ويتضمن العناصر الكبرى المؤلفة لجوانب أو الابعاد الرئيسية التي يخزنها الفعل الثقافي في المجتمع ويجسدها، وهي : الرؤية الكونية، والهوية الاجتماعية، والذاكرة التاريخية، والمحاكاة العملية، وأخيراً عنصر اللغة

والرموز المشكلة للثقافة، وعملية بناء هذا الأنموذج ستتدرج عبر تكتيكات العرض التاريخي للموارد أو المصادر التي شكلت عناصر هذا الأنموذج وأسسها عبر التاريخ، كجدليات التفاعل الاجتماعي والصراعات، والتحليل النصي للخطابات ذات الصلة، واساليب الفهم والتأويل من خلال المقاربات والتفكيكات المناسبة للأحداث، وكذلك اعتماد المقارنات مع النماذج الأخرى المطروحة في أكثر من مجال ثقافي محلي وعالمي، والساعية لتمثيل الواقع الثقافي الاسلامي .

والهدف المنشود من كل بحوث هذا الباب وفصوله، هو الوصول أو المصير الى : بناء الأنموذج الثقافي الحسيني الذي يعكس محتوى الواقع الاجتماعي لمجتمع طريق الامام عليه السلام، والذي يمكن اعتماده : كأنموذج تطبيقي للرؤية الكونية الاسلامية الاصيلية، وكشكل من أشكال الهوية الثقافية المقاومة، أو البناء الاجتماعي الثوري .

وقبل الدخول في بحوث المصادر والمصائر، يمكن ذكر بعض عطاءات هذا الأنموذج أو امكانات الاستفادة من وجوده واكتماله كأنموذج ثقافي يحاكي حركية الواقع الاجتماعي وتطوره وتفاعلاته المستديمة، ولعل ذكر هذه الفوائد يسهم في حث الخطى البحثية أو يبرر الجهد، من أجل بلوغ مرام البحث وأهدافه النهائية، في تشكيل العناصر الاساسية في الأنموذج الثقافي لمجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام . وأثرها الحضاري في التفاعلات الاجتماعية:

أولاً : يساعد الأنموذج في إمكانات التقويم، وتحديد الفعل المنسجم ثقافياً وحضارياً من غيره، وذلك من خلال رصد الفعل الثقافي الاجتماعي المشارك بإيجابية

في الحياة العامة، بمعنى السعي في هذا العصر الى تحقيق الإنسام الثقافي والحضاري مع محيطه العالمي من موقع القوة وبناء هيبة الاسلام، وليس جلب العار بالممارسات الخائبة، وهذا الأمر هو من استدعى الكلام في طريقة تشكيل الرؤى الثقافية والحضارية ومقارباتها، وأثر هذه الطرق في التشكيل على تغيرات الفعل الثقافي والأنموذج.

ثانياً : الهدف الآخر من بناء الأنموذج هو: الكلام عن تحليل أو تحديد العمل الاصلاحى وضبط الأولويات الحضارية التي يوفرها وجود الأنموذج الثقافي الحسيني، كمثال اسلامي أعلى، ومن أجل رسم الأنموذج الثقافي الحسيني وطريقته في المشاركة الايجابية وتقسيم العمل، أو قدرته في ضبط الاولويات في المشاركة وتحقيق الاصلاح، ومن هنا كان لابد من الحديث عن الجذور والابعاد التاريخية، والبنوية، والوظيفية، والمظاهر الجدلية في تشكيل الأنموذج الاجتماعى والثقافى الاسلامى الحسينى وصولاً الى تحديد عناصره الرئيسة، والمستند الى القضية الحسينية ورؤيتها الكونية، وعلاقة هذا المجتمع بمحيطه من الحواضن والأفكار والثقافات ورؤاها .

ثالثاً : يساعد الأنموذج في رصد التحديات الموجودة في الواقع، ولاسيما في مجال اختلاف الهويات وصراع الثقافات، ومن هنا جرى الكلام في الباب عن : أسس الاختلافات بين المسلمين وتساعدنا بمرور الزمن، وكيف حفلت الناكرة الاسلامية بمختلف المآسي والاحقاد من جراء هذا الاختلاف الايديولوجي الذي استحال الى اختلاف ثقافى وحضارى وعقائدى جذري في المجتمع الاسلامى عامة

والعربي خاصة، ولا يمكن تجاوزه بالأساليب التقليدية الحاضرة، ولا سيما مع وجود الارهاب الاعمى الذي ينهل من جذور تاريخية مؤسسة تمتد الى أبعد من أرض الطف وما جرى فيها.

رابعاً : يساعد بناء الأنموذج الثقافي والاجتماعي الحسيني في إعادة النظر في جوانب من امكانات هذا المجتمع التوليدية والانتاجية في الاضافة المعرفية والحضارية وصناعة قيم الشعور بالمسؤولية وقيم النهضة والحفاظ على الهوية القادرة على تقرير أهمية التفكير بالمستقبل الاسلامي وحل الأزمات، والعمل الجدي على اتخاذ وضع الحيطه والحذر وكذلك التوضع الفعال في صراعات العالم.

وكذلك يمكن القول : إن ذات الفوائد التي يوفرها بناء الأنموذج هي شروط أساسية ومطلوبة في تكوينه وقدراته على البحث والتحليل، بمعنى أن يكون الأنموذج : نابع من الواقع وقادر على تقويم التصورات السليمة عن هذا الواقع الاجتماعي وامتداداته التاريخية والفكرية ووظائفه، وتمثلها في عناصره، وكذلك يكون الأنموذج قادر على التقويم وبيان حدود الانسجام الثقافي والحضاري والنجاح التجريبي في هذا التقويم، وكذلك في مجال قراءة المستقبل وبيان إمكانات الأنموذج على الامتداد المستقبلي والانتشار الى المجتمعات الاخرى والتفاعل مع ثقافتها. ونفس الكلام يجري في مجال ضبط الاولويات وتحديد الاهم، والارشاد في مجال توزيع الأدوار والمشاركة الايجابية، لابد أن تكون هذه الأمور كامنة في جينات هذا الأنموذج وعناصره البنائية .

لقد جاء بناء هذا الباب وفصوله الثلاثة كخارطة طريق في بحوث المنابع والنتائج، أو المصادر والمصائر لأنموذج الثقافة الحسينية، فجاء الفصل الاول، انطلاقاً من حادثة الثورة الحسينية ذاتها، ودلالاتها وأثرها في تشكل الأنموذج كمبحث الاول، ثم المبحث الثاني في: حادثة السبي للعترة الطاهرة التي أعقبت مقتل الامام وأهل بيته وانصاره ، ومن ثم المبحث الثالث في : ردود الأفعال والكلمات والمواقف التي أعقبت الثورة والتي شكلت الخلاصة لأساسيات الرؤية الكونية والمزاج العام في المجتمع الحسيني .

كان البحث في هذه الموارد التاريخية من أجل بناء الأنموذج الثقافي القادر على تمثيل المخزونات أو تحليل الأسرار التكوينية في الفعل الثقافي في المجتمع الحسيني . فجرى الكلام عن جذوره التكوينية الاولى، والمحطات التاريخية الحاسمة التي مر بها في بناء الهوية وصناعة الذاكرة وتشكيل الرموز واللغة الخاصة بالإفصاح عن هذا الانموذج وتقاليده في المحاكاة والتعليم والديمومة، عبر هذه المحطات الاساسية من التاريخ، والتحليل الاجتماعي المحايث لهذا التشكل.

ثم تكفل هذا الباب ايضاً، في الفصل الثاني، بالخلوص إلى مفردات الأنموذج الثقافي الكامن وراء الحراك الاجتماعي في المجتمع الحسيني، وقد حددناها في هذا البحث بخمس وهي : المعارف الخاصة بالرؤية الكونية ، والهوية من خلال الاختلاف والمطابقة مع الآخر أو في تمثيل الاصل الاسلامي، والذاكرة التاريخية في المواجهة، والعمل المشترك على ادامة الزخم والتواصل للثقافة الحسينية، واللغة المشكلة والرموز التي تستهدف المحافظة على المعنى المقاوم والمخلد للثورة والثوار وقيمهم .

وبعد بيان العناصر الكبرى للأنموذج الثقافي في المجتمع الحسيني وقدرته على تمثيل الأنموذج الثقافي الاسلامي العام، كان لابد، أخيراً، في الفصل الثالث، من الوقوف على الواقع الحضاري المعاصر لهذا الأنموذج في مجاله التطبيقي والعملي، والبحث في المجتمع الحسيني في علاقته بما حوله من الحواضن الاجتماعية الساندة له في اداء هذا الانموذج أو المخالفة، وتكوين تصور تطبيقي أو تنظيمي عنه يناقش حدود الانسجام بين الأنموذج الثقافي والانموذج الحضاري العالمي العام، والذي يشكل بالطبع المدى الانتشاري للأنموذج بحسب الفرض والعمق الاستراتيجي الذي ينشده المجتمع الحسيني، ككيان اجتماعي، هائل، يمتد في كل أطراف المعمورة، في هذه المرحلة من تاريخ الأسرة البشرية .

وكيف يمكن أن يضطلع هذا المجتمع وهو معبأ بمحتوى فكري وعقائدي يمثل رؤية كونية وثقافية متجددة في هذا العالم، وقادرة على الاستقطاب وتجميع القوى في زمن الخواء الفكري والعقائدي عند الكثيرين و الافلاس، وكيف يمكن أن يسهم هذا المجتمع من خلال هذه الرؤية في ترسيم خرائط المنطقة الاسلامية والعالم، فكرياً وثقافياً، وسياسياً واجتماعياً، وذلك من خلال انخراط النخب وال جماهير من انحاء العالم كافة في هذا الكيان المجتمعي السائر على خطى الحسين (عليه السلام)، بلحاظ تغير النسب السكانية في العالم وازدياد اعداد المسلمين مستقبلاً، وفشل مشاريع الأعداء الثقافي وانكشاف عوارها وازدواجية معاييرها في التعامل مع المواقف .

وهكذا تدرج الباب من التحليل التاريخي والاجتماعي والوظيفي في الموارد والمصادر، التي ادت الى تشكل المجتمع الحسيني وجذوره الثورية الأولى، ثم الى

التحليل البنيوي لعناصر هذا المجتمع الثقافية، وأخيراً إلى الموقف الحضاري المعاصر لهذا المجتمع وحدود انسجامه الثقافي والحضاري مع ما حوله من حواضن اجتماعية مغايرة، كمصائر، ويعدّ تأسيس الأنموذج الثقافي وعوائده البحثية والاستراتيجية في إدارة التفاعل الاجتماعي والتغيير، هي الإضافة المعرفية لهذا البحث كما هو فرض الدراسة .

الفصل الاول :

الأنموذج الثقافي والمجتمع الحسيني، الجذور

توطئة :

فكرة هذا الفصل تقوم على أساس البحث عن الجذور التاريخية والجينية في أكثر من مجال من المجالات المؤسسة للأنموذج الثقافي ومصادره، وهي مجالات رئيسة مثل : حادث الثورة الحسينية أولاً وهو الحادث المؤسس للرؤية الكونية الحسينية، وحادث السبّي للعترة النبوية الطاهرة ثانياً، وهو استكمال وديمومة للمشروع الحسيني، والحوادث الأخرى وردود الأفعال والمواقف الجماهيرية العامة، ودور الأئمة في أحياء الأمر الحسيني، على ما ارتكبه بني أمية بحق آل الرسول ﷺ، والتي أعقبت ما حصل في كربلاء وفي طريق الشام من الاساءة ثالثاً .

المبحث الاول :

جذور فكرية وصراعات تكوينية أولى

تمهيد :

في هذا المبحث دراسة عن المصادر التاريخية التي أفضت الى تبلور الرؤية الكونية الحسينية كرؤية كونية نابعة من صميم الفكر الديني الاسلامي المنصوص عليه في القرآن الكريم والسنة النبوية المعتبرة، وهي الرؤية المؤسسة لمسار الثقافة الحسينية والمجتمع الحسيني في صراعها مع الرؤية الكونية المعادية للإسلام وكما هي عند الأمويين وأنصارهم من المنافقين وحلفائهم، وذلك باعتبار : إن الرؤية الكونية هي العنصر الاول في بناء الأنموذج الثقافي والمزاج الاجتماعي العام، كما عرفنا منذ الباب الاول من البحث، فكل فعل ثقافي وممارسة اجتماعية مشتركة انما تعكس رؤية فكرية جامعة عن هذا العالم المحيط، رؤية كونية تجمع بين الايمان الديني والطقس الشعائري، بين النظرة للعالم وروح الجماعة، كما يقرر ذلك كليفورد غيرتز :

(إن الايمان الديني والطقس الديني يتواجهان ويؤكدان احدهما الآخر، روح الجماعة تجد مبررها الفكري عندما تعرض على انها طريقة حياة متضمنة في حالة الاشياء الواقعية كما تصفها النظرة الى العالم، والنظرة الى العالم تصبح مقبولة من الناحية العاطفية عندما يجري تقديمها على أنها صورة لواقع الامور في الحياة)^١.

^١ - كليفورد غيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة : محمد بدوي، مراجعة : الاب بولس وهبة، المنظمة

وكذلك في هذا المبحث دراسة عن مصادر أو موارد تلکم الهوية الثورية الاختلافية مع أهل البغي والظلم، في تراثنا الاسلامي، والتي قادت هذا الأنموذج التأسيسي في مراحلہ الاولى، ومسيرة الثورة وذاكرتها التاريخية، وكيف كانت تحاكي بوقائعها البطولية الحركات الاصلاحية للأنبياء السابقين عليهم السلام، وكيف أصبحت الثورة هي : اللغة والرمز للثورات اللاحقة عليها عبر التاريخ، والتي تمثلت لغتها البطولية وجذرت رموزها في المعترك الثقافي والحضاري عند الجماعات الاسلامية، ولاسيما في منزلق الصراع فيما بينها، ومن هنا سنقف عند التأسيس التراثي والتاريخي لهذا الأنموذج، بالاستعانة بالمنهج التاريخي والحفري، الجينالوجي، حيث تكون لهما الاولوية في هذا المبحث، وذلك بإرجاع عناصر الاكبر في الأنموذج الثقافي : الرؤية والهوية والذاكرة، الى جذوره المؤسسة من الوقائع والنصوص، وكما في المطالب الثلاثة الاتية :

المطلب الاول :

صراع الرؤى المؤسس للثقافة الحسينية

الرؤية الكونية الحسينية في عمق الثقافية الحسينية الثورية لشعبنا، هي بلا ريب، رؤية مقاومة للانحراف العقدي الذي أسس له الامويون ولاسيما ضد الرؤية الكونية التي روج لها الامويون ومؤيديهم في مجالات الجبر، والارجاء، والحق الإلهي، من أجل تثبيت خلافتهم وامامتهم الزائفة للمسلمين وتركيع قوى المجتمع الشريفة و الرافضة لحكم الأمويين المخزي عقائدياً واخلاقياً .

في كتاب : ثورة الامام الحسين عليه السلام دراسة في الجذور والتكوين، لمحسن باقر الموسوي قدم الكاتب، عرضاً فكرياً، تفصيلياً، لإيديولوجية الأمويين منذ عهدي عثمان ومعاوية، في حقول : الجبر والارجاء والحق الإلهي^١، وقد لعبت هذه الأفكار المؤسسة للرؤى الكونية والرؤى المضادة لها دوراً حاسماً في تشكيل الثقافة والمزاج العام والتوجهات في المجتمع الاسلامي، وكان من وظائف العترة الطاهرة التصدي الفكري والعملي لهذه الأفكار المؤسسة .

و ذات الشيء نجده عند الكاتب : مرتضى فرج، في كتابه : خلفيات واقعة كربلاء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام، وهي دراسة تاريخية وتحليلية تستهدف التنقيب عن جنود واقعة كربلاء والظروف التي أدت إلى وصول يزيد إلى السلطة، ركز فيها الباحث على أثر الثقافة الاجتماعية والقبلية ونزعة استصحاب المزاج الجاهلي، هذا الأنموذج الثقافي الذي لم يستطع الاسلام اجتثاثه من الجذور^٢.

وهذا الصراع في الرؤى الكونية المؤسسة هو من فجر الثورة، ثم بقي، ولا يزال حتى يوم المسلمين هذا يعمل على تغذية الصراع وإن كان في أشكال أخرى، فقد حلت الصراعات الثقافية والاجتماعية الحديثة والمشتقة من الرؤية الكونية المؤسسة، محل الصراعات الكلامية القديمة المشتقة من صراع المصالح والمنافع في السلطة و التي كانت هي المؤثر المباشر في تأجيج الصراع .

١ - محسن باقر الموسوي، ثورة الامام الحسين عليه السلام دراسة في الجذور والتكوين، مؤسسة الفكر الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م، ط١، ص ١١.

٢ - مرتضى فرج ، خلفيات واقعة كربلاء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام ، دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١١م، ط١، ص ٢٢.

في هذا المبحث لا نريد الكلام التفصيلي في مجالات : علم الكلام ولا عن تفصيلات الثورة الحسينية كتاريخ، الا بالقدر الذي يكشف عن محورية هذه الثورة وأفكارها في التقسيم الاجتماعي والثقافي القائم على الرؤية الكونية الدينية، وكذلك رؤيتها المستقبلية لهذا البناء الاجتماعي الذي ستكون عليه الامة الاسلامية في قرننا الراهن، الحادي والعشرين .

فاذا كانت الرؤية الكونية هي العامل الأساس في قيادة الثقافة عند أكثر مفكري العالم اليوم، فقد أسس الامويون نموذجهم الثقافي والاجتماعي على مسائل الجبر والارجاء والحق الإلهي، ولم تكن حركتهم السياسية، خالية الوفاض من البعد الفكري أو التنظيري كما قد يتوهم البعض من أهل السنة الذين ينظرون الى الحركة الأموية بسطحية وبغفوية وسذاجة تاريخية، وسنعرض بشكل موجز للتعريف بهذه الأفكار الهدامة فكرياً، ولنتائج هذه الرؤى في المجال الثقافي والاجتماعي .

١- رؤية الجبر وبعدها الثقافي :

أول قضية طرحت في الاسلام كمشكلة في مجال الرؤية الكونية هي : مشكلة الجبر في الأفعال الانسانية التي روج لها الحزب الاموي وانصاره، على عهد معاوية، وكانت العامل المؤسس لعلم الكلام بإجماع أكثر المتكلمين، وأساس هذه الرؤية هو كما في تعريف الشهرستاني: نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى^١.

ويؤكد انتشارها على يد الأمويين العلامة جعفر السبحاني في كتبه :
بحوث في الملل والنحل : اتخذت الطغمة الأموية هذه الفكرة غطاء
لأفعالهم الشنيعة حتى يسدوا بذلك باب الاعتراض على أفعالهم بحجة أن
الاعتراض عليهم هو اعتراض على الله تعالى وصنعه وقضائه وقدره، وأن
الله تعالى فرض على الانسان حكم ابن آكلة الاكباد وابنه المنحرف،
وقد كانت هذه الفكرة تروج عبر الخطباء^١.

وكان من النتائج الاجتماعية والثقافية لهذا النمط من الرؤية الكونية
هو : أنها عطلت حركة الانسان وشلت قدماء نحو التقدم والمثابرة للقيام
بأعمال الخير واوجدت اضطرابات في أسس التقييم الاجتماعي
والفكري والأخلاقي للرجال وللأعمال، كما خلقت ردود أفعال مضادة
له في المجال الفكري وان كان ذلك قد حصل في الفترات اللاحقة،
وهو ظهور اتجاه القدرية الذي يرى قدرة الانسان وحرية في توجيه
أعماله وصناعاتها .

ولم تكن القضية في حدود الجبر والتفويض هي الهدف بقدر ما كانت
الامامة والمنصب والامتيازات هي الأهداف من وراء هذا الطرح الفكري،
فالمنصب والصراع بشأن القيادة هو المحرك الاساس في محاولة اعادة
بناء الرؤية الكونية في الاسلام منذ حادث السقيفة واعطاء تأويل لوصية
الرسول وأخذ البيعة بالولاية لعلي، بمعنى تسير الوضع الاجتماعي

والنظام، بعيداً عن التنصيب الذي قام به الرسول ﷺ في غدير خم والذي عين بموجبه علياً ولياً للمؤمنين .

٢- رؤية الارزاء وبعدها الثقافي :

الارزاء كروية كونية هنا بمعنى : تأخير حكم صاحب الكبيرة الى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار^١. ويذكر أن أول ما ظهر فكر الارزاء كروية مؤسسة لثقافة السكوت أو التستر على الجريمة في المجتمع، انما كان على لسان بني امية ثم تحول الى ثقافة عامة مناصرة للحكم الاموي وتدافع عن اعمالهم وتبرر جرائمهم الشنيعة بحق العترة الطاهرة والمؤمنين^٢.

٣- رؤية الحق الإلهي وبعدها الثقافي :

كما يذكر أن أول من تحدث عن رؤية كونية التي تعتقد بالحق الإلهي في السلطة، هو عثمان بن عفان، وذلك عندما صور وصول السلطة اليه على أن ذلك رداء من الله تعالى، قد وضع عليه، وليس من حق أحد مطالبته بخلع هذا الرداء، وهي رؤية مكملية لرؤية الجبر ونتج عنها ثقافة سياسية واجتماعية تؤمن بالطاغوت الذي حاربه الاسلام .

ولا ريب أن هذه الانشاقات في الرؤية الكونية في الاسلام، هو تعبير صريح عن تأسيس انشاقات ثقافية واجتماعية أولى في الامة، بمعنى أن معاوية يريد

١ - الشهرستاني ، الملل والنحل، ج١، ص ١٢٥ .

٢ - حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ص ٤١٨ .

لأمة الاسلام أن تكون منبطقة للطاغوت باعتباره : أولا : قدر من الله تعالى ولا مرد له من قبل الناس، وفي ذات الوقت يحظى هذا الطاغوت بلقب خليفة رسول الله ﷺ ويملك ذات الصلاحيات التشريعية بالحق الإلهي ثانياً ، وهو غير قابل للتكفير أو التأثيم في هذه الحياة الدنيا، وهذه هي أولى المفارقات الفكرية التي أسست لمفارقات ثقافية وكرثة مؤسسة في تاريخ المجتمع الاسلامي .

أسهم الخلفاء السابقون غير الامام علي عليه السلام، بشكل أو آخر ممن اعتمدوا على خدمات الأمويين و معاوية في رسم معالم هذا الصراع الفكري، وعن قصد أو بلا قصد، وسنرى كيف زلزلت الرؤية الكونية الحسينية هذه الرؤى المزيفة والثقافات المنبثقة عنها بلا هوادة حتى يوم الناس هذا .

ثورة الامام هي ثورة مجتمع ايماني بقيادة امام معصوم، وقد تحركت هذه الة المؤمنة في اطار مجتمع كبير من أجل اصلاحه، استهدفت التغيير الاجتماعي والاصلاح . وبذلك عملت على صياغة أثرها في اعادة ترسيم الرؤية الكونية للجماعة الاسلامية بشكل مبكر من حياة الاسلام والمسلمين، وفي ظل بلبلة فكرية وسلوكية كبرى أحدثها اعداء الاسلام التقليديين أي الحكم الاموي وأساليبهم الاجتماعية في تشقيق وحدة الاسلامي من خلال استعادة صراع الاجتماعي بين القبائل العربية، وصراع كتلة العراق في مقابل كتلة الشام، والتأسيس لرؤى : مثل الجبر الإلهي والارضاء والحق الإلهي، في المجتمع برسم حسم الصراع للصالح الاموي كقدر الهي لا يمكن الوقوف بوجهه .

من هنا يمكن الحديث عن الثورة الحسينية في إطارها الاجتماعي وصراع القوى والحواضن بعد رحيل الرسول ﷺ، وذلك من خلال الكلام عن مرحلة الانتقال من سيادة الحواضن الاجتماعية للرؤية الإسلامية الأصيلة للكون والطبيعة والانسان والحياة وما تهدي اليه هذه الرؤية الكونية من قيم اسلامية وممارسات صحيحة، الى سيادة حواضن اجتماعية مضادة ومحاربة للوحي، في المراحل السابقة من نزول الاسلام، وتعتقد بتصورات وممارسات الجاهلية، بمعنى أن محاولة الاختراق الجديدة للإسلام، انما تأتي من خلال فرص العودة التي قادها المنافقون وحواضنهم من الطلقاء الى قيم الجاهلية والرؤية المحلية والعصبية الضيقة ولا سيما في تلك الحواضن الاجتماعية التي تشكلت في محيط السلطة الحاكمة للمجتمع الاسلامي والقبائل السائرة في ركابها.

لقد تمت عملية الاختراق الاجتماعي، بكفاءة عالية وعلى مراحل مدروسة بعناية ولاسيما هجرة الطلقاء الى المدينة بعد رحيل الرسول، ولكنها لم تصل الى حدّ الاحتواء الكامل، أو بما يفضي الى تحويل المنظومة الإسلامية بالكامل الى منظومة تحت السيطرة الأموية، وهي التي بيئت النّية وسبق الاصرار على سحق الاسلام بكل تصوراتهِ السليمة وممارساتهِ الاخلاقية من خلال سحق البيت النبوي الكريم^١، بالتشويه الممنهج للمعالم الرئيسة للرؤية الكونية الإسلامية، والثقافات الاجتماعية التي تترتب عليها والممارسات الحضارية التي تترتب على الثقافة، كشن الحروب

١ - انظر هذا المجال : ما ينقله المسعودي وابن ابي الحديد في ، كتابيهما، من قصة : المطرف بن المغيرة وما ينقله عن ابيه عن معاوية من سياسته، للقضاء على ذكر الرسول الأعظم ﷺ .

باسم الفتوحات، والهجوم على البلاد البعيدة الأمانة وغير المحاربة للعرب، باسم نشر الاسلام والترويج للدين .

وكانت للجهود التي بذلها البيت النبوي الكريم بقيادة الامام علي عليه السلام والامامان : الحسن والحسين (عليهما السلام)، ومن معهم من المهاجرين والانصار الدور الاكبر في الوقوف بوجه الرؤى الكونية الضالة، وتفجير هذه الحواضن المتكلسة على هذه الرؤى الباطلة وفضحها والتعريف بها، ولاسيما مع تورط هذه الحواضن الاجتماعية وقياداتها وثقافاتهما في النهاية بقتل سيد شباب أهل الجنة .

عند الحديث عن حقبة زمنية في الفكر والمجتمع من الضروري تحديد ملامحها أو سماتها، ولا بد من اختيار قاعدة أو نقطة انطلاق موثوقة من أجل فحص الاحداث السابقة واللاحقة وتحديد حجم التحولات، وإذ ليس من شأن هذا الكتاب الحديث عن التاريخ العام للمعارضة أو المعارضات عند المسلمين، بل الكلام عن ذلك النمط من المعارضة الاجتماعية التي تتحرك مثل الحركة البندولية وذلك لمواجهة الصدمات المرتدة عن اساسيات الاسلام، والتي شكلت تمهيداً للثورة الحسينية .

يمكن للباحث أن يختار رسائل الامام الحسين عليه السلام والرسائل المتبادلة بين الجهات المختلفة بين الحجاز والعراق والشام كقاعة لضبط مسار البحث في هذا المطلب الحيوي من تأريخ المسلمين وتصعد رؤيتهم الكونية وروح الجماعة التي أسس لها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومن هذه الرسائل يمكن بناء صورة واضحة عما حصل من تغيرات اجتماعية للمسلمين وتحولات ثقافية استدعت حضور الخطاب النقدي

التصحيحي وليس التخريبي كما هو عند الآخرين، والذي مهد السبيل امام الحدث الثوري.

في هذه الخطابات تكمن عناصر الرؤية الاجتماعية المؤسسة للثورة، وكذلك هوية الحواضن والفضاءات الاجتماعية التي تتبنى تلك الرؤية الناقدة والثورية وفي المقدمة شيعة الكوفة، والتي تتطلع للخلاص من العناصر الاستبدادية والحواضن الساندة لها، هذه الرؤية التي شكلت ثقافة المقاومة الصلبة في الاسلام على امتداد التاريخ الاسلامي . بمعنى أن الأنموذج الارشادي أو الشفرة الموسومة بالدماء للثقافة المضادة لنظم الاستبداد وهيمنتها، والتي تتناقلها عديد الاجيال من الشيعة الامامية وحتى يوم الناس هذا، قد تأسست عند تلك اللحظة وهي مرتحنة لها في المنظور العام.

ومن هنا نؤكد أن أية دراسة اجتماعية عن المجتمع العربي أو الإسلامي لا تقف عند هذه اللحظة المؤسسة من التاريخ العربي والإسلامي هي دراسة لا يمكن المساعدة عليها من الناحية المنهجية ولا وعلى ما تقدمه من نتائج بحثية، وذلك لأن هكنا دراسات لم تلحظ حجم التأثير الذي تركته أحداث كربلاء في الجسد الاسلامي ومساراته اللاحقة، وبالتالي هي دراسات غير مطابقة للواقع في ما تقدمه نموذجا ارشاديا .

ويمكن في هذا المجال من التحليل، إعتبار الرسالة الجوابية التي أرسلها الامام الحسين عليه السلام الى معاوية كرد على رسالة الاخير التي أتهم فيها الامام بعدم الوفاء والكيد والسعي الى شق وحدة المسلمين، ونصح فيها الامام بعدم الاصغاء الى

الذين يشجعونه على المعارضة، وهم لا يعلمون بحسب زعم معاوية، تكشف رسالة معاوية عن رؤية جديدة للدين الاسلامي، يصار فيها الى توصيف سيد شباب أهل الجنة عند السنة والشيعه باعتباره خارج عن الدين، وهذا المنطق هو السائد اليوم في الحواضن الاجتماعية ومنها الحاضنة الوهابية بلا ريب .

ردّ الامام عليه السلام على تلك الرسالة بنص نقدي، ورؤية كونية تؤسس للرؤية الكونية السليمة للإسلام وتأصلها، وكذلك تؤسس للخطاب الثائر الذي يبني روح الجماعة المقاومة للانحراف ، وهو بحق من النصوص النادرة في التاريخ الاسلامي، تكشف هذه الوثيقة التاريخية عن المنحى اللاأخلاقي في الحضارة العربية العالقة بالثقافة الجاهلية، والذي بدأ يتشكل، كفكر وممارسة، في هذه الامة برسم الاسلام الاموي.

جاء في رسالة الامام الحسين عليه السلام :

(... أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه : أنه قد انتهت اليك عني أمور أنت عنها راغب، وأنا بغيرها عندك جديرُ. فان الحسنات لا يهدي لها ولا يسد الا الله تعالى، وأما ما ذكرت : أنه رقي اليك عني، فانه انما رقاہ اليك الملاقون المشاؤون بالنمائم، المفرقون بين الجمع، وكذب الساعون الواشون، ما أريد لك حرباً، ولا عليك خلافاً، وايم الله اني لأخاف الله عز ذكره في ترك ذلك منك، وما أظن الله راضياً عني بتركه، ولا عاذري بدون الاعتذار اليه فيك وفي أوليائك القاسطين الملحدين حزب الظلمة، وأولياء الشياطين.

ألست القاتل حجر بن عدي أخا كنده، وأصحابه المصلين الصالحين العابدين، الذين كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤثرون حكم الكتاب، ولا يخافون في الله لومة لائم، فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا بإحنة تجدها في نفسك.

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله ﷺ العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه، وأصفر لونه، فقتلته بعد ما أمنت وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأة على ربك واستخفافاً بذلك العهد .

أولست المدعي (زياد بن سمية) المولود على فراش عبيد بن ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله ﷺ : (ألولد للفراش وللعاهر الحجر) فتركت سنة رسول الله ﷺ تعمداً، واتبعت هواك بغير هدى من الله، ثم سلطته على العراق، يقتل المسلمين ويقطع أيديهم وأرجلهم، ويسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك.

أولست صاحب الحضرميين الذين كتب اليك فيهم ابن سمية : أنهم على دين علي ورأيه، فكتبت اليه : أن اقتل كل من كان على دين علي ورأيه . فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين علي هو دين ابن عمه محمد ﷺ، وهو الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك لكان أفضل شرفك وشرف ابيك تجشم الرحلتين : رحلة الشتاء والصيف، بنا من الله عليكم فوضعها عنكم .

وقلت فيما قلت، (انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد ﷺ، واتق شق عصا هذه الامة وأن تردهم الى فتنة) .

واني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني ولأمة جدي محمد ﷺ أفضل من جهادك، فان فعلته فهو قربة الى الله عزّ وجلّ، وان تركته فأستغفر الله لديني، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري.

وقلت فيما قلت : إني ان انكرتك تتكرني، وان أكدك تكديني .

وهل رأيك إلا كيد الصالحين منذ خلقت، فكديني يا معاوية ما بدا لك ذلك، أن شئت، فاني أرجو أن لا يضرني كيدك فيّ، وأن لا يكون أحد أضرباً على نفسك عليّ، لأنك قد ركبت جهلك، وتحرصت على نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط، على أنك تكيد فتوقظ عدوك وتوبق نفسك، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم، ومثلت بهم بعد الصلح والايمان والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا أو قتلوا، ولم تفعل ذلك بهم الا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقنا، ما به شرفت وعرفت، فقتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم متّ قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا.

فأبشر يا معاوية، بالقصاص، واستعد للحساب، واعلم ان لله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها .

وليس الله، تبارك وتعالى، بناس أخذك بالظنّة، وقتلك أوليائه بالتهمة، ونفيك إياهم من دار الهجرة الى دار الغربة والوحشة .

واخذك الناس ببيعة ابنك : الغلام الحدث، يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، لا أعلمك الا قد خسرت نفسك، وتبرت دينك، وغششت رعيتك، وأخونت امانتك، وسمعت مقالة السفية الجاهل، وأخفت التقى الورع الحلیم)^١.

ومن الواضح أن الرؤية الكونية التي يحملها معاوية وأمثاله من المنافقين لا تمت للإسلام بصلة لا من قريب ولا من بعيد، فهذه الجرائم التي يجردها الامام والدماء التي سفكها معاوية لكبار الصحابة من الموالين للعترة الطاهرة، وبدم بارد، تكشف عن رؤية شيطانية تعتمد ادارة التوحش كما في لغة اليهود الماسونيين أو منظمة القاعدة وفروعها المعاصرة، وهي تضرب عرض الحائط، بكل القيم الاسلامية في الحفاظ على حياة الناس وادامة السلم الاجتماعي،

تكشف رسالة الإمام الحسين عليه السلام، أذن عن الجذور الحقيقية لظاهرة الارهاب كرؤية فلسفية ضالة وكممارسة حربية معلنة في العالم الاسلامي قادها معاوية وأسس لها كعقيدة وكأخلاق وأنموذج للفقهاء الاموي ضد الاسلام، والذي نجد بصماته لا تزال تطبع ملامح راهننا المعاصر. ويمكن تسجيل عديد النقاط أو الأمور في أهمية هذه الوثيقة من الناحية المعرفية والاجتماعية .

الأمر الاول : تكشف هذه الوثيقة التاريخية عن منهجية اسلامية ورؤية في النقد ومنطق الحجاج، فهي تجمع بين ملاحظة نص الرسالة الذي أرسلها معاوية الى الامام في وقت سابق، وبين معطيات الواقع، ومن ثم بيان حجم المفارقة بين الأنموذج

^١ - نقلاً عن : محمد نقي ال بحر العلوم، مقتل الامام الحسين أو واقعة الطف، المكتبة الحيدرية،

الفكري لمدعيات معاوية في الحفاظ على معالم الاسلام، وبين الواقع الذي يضطلع فيه معاوية بسياسات الارهاب من خلال ارتكاب الجرائم المتسلسلة بحق الصالحين .

الامر الثاني : تكشف الرسالة عن حجم التحولات الاجتماعية في الواقع الاسلامي، فمن سياسات الامام علي عليه السلام، التي قامت على اطلاق الحريات العامة ولا سيما في مجال بيان الرأي، بات العالم الاسلامي يغرق في سياسات الخوف والارهاب والتجسس وأوامر الاعدام على مجرد الشبهة والظنة في مخالفة الحكومة الاموية كما يذكر الامام عليه السلام، من سيادة سياسة الترهيب التي انتهجها معاوية الرجل الثاني في الحكومة الاموية بعد عثمان بن عفان، الذي أرهص الامويون على عهده بمثل هذه الاجراءات، كما حصل في نفي الصحابي ابي ذر الغفاري.

الامر الثالث : ومن الواضح أن معاوية ما كان له الوصول الى هذه المرحلة من الطغيان لولا التمهيد الفكري والتزييف العقائدي الذي سبق وان تأسس في الامة، واستغلال عناصر الجهل والغفلة فيها، فالأمة لا تزال في بداية عهدها بمعارف الاسلام العقائدية والاخلاقية والفقهية ، وكثير من الناس لم يتلق التعليم الكافي أو الصحيح بعد في المجال الديني، وكان لمنع تدوين الحديث وكتابة المعرفة الاسلامية الذي أطلقه عمر بن الخطاب، الأثر البالغ في نجاح سياسات التعم والتضليل التي مهدت السبيل امام معاوية لنشر فكرة الجبر، والتي أرهص بها عثمان بن عفان من قبل ايضاً عندما ادعى أن الخلافة انما وصلته باختيار الهي.

الامر الرابع : يبين الامام عليه السلام في رسالته بوضوح وجود الخيار الانساني في الفعل والحس بالمسؤولية ازاء التكليف الشرعي والاخلاقي، وأن الثورة هي استحقاق

عملي بوجه الظلم، وخيار مطروح لوقف نزيف الكرامة في الأمة واستشراء الظلم، وهو مما يوفر الاعتذار امام الله تعالى عن تلك الاوضاع المزرية في العالم الاسلامي . لمن يستشعر المسؤولية الاخلاقية والشرعية عن هذا الانحطاط الاخلاقي في الامة .

وبمناسبة الحديث عن انقسام الرؤية الكونية في هذه الأمة بين رؤية رحمانية محكمة مشتقة من القرآن، وأخرى جبرية مشبهة، وشيطانية تلبست بلباس الاسلام، تؤكد موضوعية ما لاحظته عديد الكتاب مثل : عبد الكريم الشهرستاني في كتابه : الملل والنحل، وعبد لله العلايلي في كتابه : الامام الحسين ، والكاتب المغربي محمد عابد الجابري صاحب مشروع نقد العقل العربي، في كتابه : نقد العقل الاخلاقي، في أن الاصل في انقسام نظام القيم في عالمنا الاسلامي هو تلك الفترة الانقسامية التي اعقبت رحيل الرسول الاعظم ﷺ، ولاسيما تلك الفتنة الكبرى في عهد عثمان بن عفان، قال :

لو رجعنا نحن أبناء القرن الواحد والعشرون، أو أبناء أي قرن من القرون الماضية المنتمين الى الحضارة العربية والاسلامية، أقول لو رجعنا مع التاريخ الى الوراء نبحث عن بداية لما عبرنا عنه بغياب نظام واحد للقيم، لما توقفت بنا عملية الرجوع الى أن نصل الى تلك الحقبة من الزمن التي نسميها بالفتنة الكبرى، الفتنة التي اندلعت بالثورة على عثمان وانتهت بانتصار معاوية في حرب صفين، إنها الفتنة التي يجمع المؤرخون أنه كان من نتائجها : انقلاب الخلافة الى ملك عضوض.

العالم الاسلامي يمثل فضاء كانت تتواجد فيه حواضن اجتماعية عديدة، وقد اختلفت عندها واضطربت الرؤية الكونية ومعايير التقييم منذ اليوم الاول لرحيل

الرسول الاعظم، عندما أنكر البعض امكانية وفاة الرسول، ثم انكار الوصية والبيعة للإمام علي عليه السلام في غدير خم، ثم وصول أمثال اولاد ابي سفيان، يزيد ومعاوية من بعده الى أمانة المسلمين في الشام، يؤكد حقيقة وجود هذا التضارب في الرؤى الذي تم التأسيس له في المراحل السابقة على قضية مقتل عثمان، فالانقسام في نظام القيم أو في الرؤية الكونية لموقع أهل البيت في الرسالة الاسلامية موجود في فترة سابقة على ما يذكره الجابري.

كما أن ما ذكره الجابري من أن الاصل في سياسات الحكام العرب وملوكهم هو الاستناد الى الجينات الفارسية في الاستبداد ليس بصحيح، إذ أن اجماع علماء الكلام على أن ما حصل من تحريف في عقيدة المسلمين ورؤيتهم الكونية والترويج للجبرية وغيرها من الرؤى الفاسدة، إنما تم من قبل معاوية، ومن المعروف أن معاوية موجود في بلاد الشام ذات الثقافة الرومانية القيصرية وهي ثقافة تنهل من المصادر الغربية : الوثنية والمسيحية واليهودية، فهو يحاكي الانموذج القيصري الروماني في السياسة والحكم، ويستلهم من نفس هذا الأنموذج العداء التقليدي لكل ما هو فارسي .

فيمكن القول، في ضوء جغرافية الدولة الاموية ومركزها ونوع التربية التي حصلت عليها قياداتها في المحيط القريب، أن الأصل في الاستبداد العربي عامة والاستبداد الاموي خاصة، والذي ورثه طغاة العرب حتى يوم الناس هذا هو روماني وليس فارسي وكان على الجابري وهو متخصص بالإشكالات الكبرى للحضارة الغربية، وفي مقدمتها الإشكالية الاخلاقية، أن يلاحظ الرابط الصريح بين اختلال الرؤية الكونية عند المسلمين والاختلال الاخلاقي، منذ عصر حضارة بني أمية

ومروراً بأبن تيمية، وحتى حضارة القاعدة الوهابية وجرائمها في هذا العصر من خلال ادارة التوحش والتفجيرات.

وأن يدرك أن جوهر الحضارة وسر خلودها وبقائها الداخلي أنما يمكن في حضور الفعل الاخلاقي في حياة الفرد والمجتمع، وهذا الفعل لا يمكن أن تقوم له قائمة حقيقية في ظل غياب الغطاء العقدي من الرؤية الكونية الراسخة في القناعات الشعبية العامة وكذلك في الضمائر الحية للنخب القائمة، كما أن الوصول الى هذا الضامن الكبير للأخلاق، وهو الرؤية الكونية لا يمكن أن يتحقق من دون المنهج الجامع بين القدرات الذاتية الخلاقة والخيال غير المتحجر للباحث من جانب، والموضوعية في البحث أو النظر العقلي الرصين للظواهر وملاحظتها.

فالحضارة كما يقرر ألبرت أشفيتسر في كتابه : فلسفة الحضارة، تتطلب الاخلاق، والأخلاق تتطلب الرؤية الكونية :

(إن الانسان لن تكون له قيمة حقيقية بوصفه شخصية انسانية، الا من خلال كفاحه ليكون ذا خلق وخلال حسنة، وتحت تأثير المعتقدات الاخلاقية وحدها تكونت مختلف العلاقات في المجتمع البشري على نحو يسمح للأفراد والشعوب أن تنمو وتتطور بطريقة مثالية، وإذا أعوز الأساس الأخلاقي تداعت الحضارة)^١.

ولاريب أن الرؤية الكونية التي تضمن الاخلاق النبيلة تتطلب منهجاً موضوعياً يتجاوز الذات المستكبرة في نفسها عن النزول الى الحقيقة، وهو المنهج

^١ - ألبرت أشفيتسر، فلسفة الحضارة، ترجمة : عبد الرحمن بدوي، وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٦٦ ن

الحق المتبع في الوصول الى الحقيقة بموضوعية وحياد أو بناءها بصدق، وبما يتجاوز الذات المتحجرة ومن هنا قال تعالى في سورة فصلت :

(نَحْنُ أَوْلَىٰ أُولَآئِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣) نَزَّلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) (سورة فصلت)

من كل ما سلف، نعرف خطورة الرؤية الكونية الجبرية التي أسس لها الاتجاه الاموي في الفكر الاسلامي، الرؤية التي قامت على تزييف المعرفة بالله تعالى، مع أن أول الدين معرفته، كما يذكر مولانا علي بن ابي طالب عليه السلام، فاذا ما تم تزييف الرؤية الكونية، تساقطت كل الامور القائمة عليها أو المستندة لها، كما تتساقط قطع الدومينو الواحدة فوق الأخرى، فلا اخلاق مع غياب الاعتقاد الحق، ولا حضارة صحيحة تتولى بناء الانسان الكامل أو السائر نحو الكمال، ولا يمكن الحصول على القلب الانساني السليم من خبث الاستبداد وامراض الاستكبار، ومن ثم لا خلود ولا جنان لهذا الانسان المسخ الذي عاد الى الآخرة وهو اسفل سافلين، وهذا ما نراه اليوم في عالم داعش وحواضنها ومساعدتها من الصهاينة وأضراب داعش من مسالك الضلال في الفكر والممارسة، ونؤكد مع كثيرين من علماء المستقبليات أن لا مستقبل لحضارة أو حركة عنصرية بلا أخلاق كالصهيونية العالمية أو الوهابية التي تخدمها في عالمنا الاسلامي.

ومع وصول طبقة الطلقاء وابناء الطلقاء، الذين هاجروا الى مكة بعد رحيل الرسول ﷺ، الى مواقع القرار في الامة، تم تهميش كل العناصر والقوى الخيرة في مجتمع المسلمين وفي مقدمة هذا النسق الاجتماعي الشريف تم اقضاء اهل بيت النبوة عن مراكز القرار والقيادة مما تسبب في اطلاق الحرية لإصحاب الغرض السيء، مما جعلهم يتمكنون من تمرير التصورات الشيطانية والممارسات الاجرامية، واعادة تسويق الفكر الجاهلي والعصبية القبلية داخل المنظومة النسقية الاسلامية حتى تمكن هؤلاء المنقلبين على روح الاسلام من ايصال شخص فاسد مثل يزيد بن معاوية للموقع الاول في قيادة العالم الاسلامي، بمعنى أننا سنقدم الاسلام كدين للناس وعلى مدى العصور والدهور المقبلة للبشرية في كل انحاء العالم، على ان هذا الاسلام يمكن أن يقوده امثال هذا الزنيم واشباهه من المنحرفين، ولعلنا سنفخر بعد عقود قليلة بأمثال هذه القذرات التي هي كالأنعام بل اضل من الانعام كما يصفهم القرآن الكريم .

الامر الخامس : يتضح من نص الرسالة أن الامام عليه السلام لا يريد حرباً مع شخص كمعاوية أو فئة مثل بني أمية، أو كتلة محددة كأهل الشام، فهذا الصراع في احسن الاحوال سيكون عبر معركة محدودة في الزمان والمكان، بل كان عليه السلام يؤسس للحرب الشاملة ضد معالم الظلم والعدوان ونقض العهود والمواثيق وتخريب ثقافة المجتمع القائمة على الوفاء ومراعاة الذمم ويريد تأكيد ارادة الحق والحياة بلا عبودية للطواغيت، وبذلك يريد الامام نقل الصراع من الصراع المصلحي أو النفعي الى الصراع الحضاري والثقافي وهو خاتمة الصراعات كما هو عند صاحب كتاب : صدام الحضارات.

لقد أدرك سبط الرسول الاعظم ﷺ، عمق الكارثة التي تنتظر الاسلام في المدى المنظور فضلاً عن نهاية هذا الدين على امتداد الدهور وتوالي العصور، فيما اذا تم السكوت على هذا الانحراف التاريخي الذي وصلت اليه اوضاع المسلمين على عهد معاوية، سواء الانحراف في التصورات أم الانحراف في الممارسات ، وعادة ما تكون التصورات الخاطئة والاعتقادات في الازهان مقدمة للممارسات الخاطئة في الميدان، ولذا وقف الامام الحسين تلك الوقفة البطولية في التاريخ، لكي تعلم اجيال الامة والناس في كل اصقاع الارض، أن سيد شباب اهل الجنة لا يمكن ان يسمح للظالمين بتمرير مشروعهم في تزييف الاسلام وهو على قيد الحياة بين الانام، وبذلك لم يتمكن الجهلة والمجرمون ومن من يقف ورائهم من شياطين الانس والجن، من احتواء نور الرسالة الاسلامية أو القضاء على خطر العترة المحمدية الطاهرة الذي يتهدد كل الطغاة والمستبدين بالكشف والفضح والسقوط.

عظمة هذه الرسالة أنها تكشف عن كل المسار اللاحق الذي اختطه الامام عليه السلام للحرب على القوى الظلامية في تصوراتها عن الله والكون والانسان وفي كل تفصيلات : فكرها وأخلاقها وممارستها، والتي تجعل الحياة غير ممكنة في الواقع الاسلامي الا على نحو النل والعبودية للطاغوت، كما تكشف بأثر رجعي عن العقول التي خططت ومهدت لتأسيس هذا الاتجاه في الاسلام وممارساتها التي كرسست الهيمنة للقوى الظلامية، واستقرارها في السلطة.

وواضح من نص رسالة الامام ﷺ، أنه يركز على : ظاهرة اندثار أية ضمانات لحصول الفعل الأخلاقي في سلوكيات معاوية، فلا شعور بالمسؤولية أما الله تعالى، ولا عهد ولا ميثاق ولا التزام يمكن أن يتم الالتزام بمحتواه، في الوقت

الذي يطالب فيه معاوية الناس والامام بالالتزام بالعهود والمواثيق طبقاً للشرع الاسلامي ومقاصده السامية، وكأنما الشريعة أنما أنزلت لتكون في خدمة الطواغيت والحكام الظلمة، وأهم مقاصدها هي الحفاظ على مصالح هؤلاء كما يؤكد ذلك ابن تيمية في مقاصده، عندما يرى في ثورة الامام مفسدة في الدين والدنيا.^١

المطلب الثاني :

صراع الهويات وتأسيس الهوية الحسينية،

قبل ثورة الطف وحصول المأساة الكبرى، ومع وصول الامام علي عليه السلام بعد مقتل عثمان الى السلطة، برز صراع الهويات التاريخي، أو المصالح القبلية، أو التنافس على السلطة والجاه والثروة، حدوده القصوى وصار واضحاً للعيان، إذ لم تعد الهوية الاسلامية واحدة أو منسجمة في ظل رؤية كونية موحدة، أو مزاج روحي واجتماعي منسجم عند الجميع، كما كان الحال في الظاهر على عهد الرسول ﷺ .

ولا ريب، أن الحديث عن الهوية يتضمن حديثاً عن : الوعي الانساني بالانتماء إلى بنية فكرية أو إلى جماعة أو كيان ثقافي دون الجماعات أو الكيانات الأخرى، فهو حديث عن الاختلاف في الهويات أو حديث عن الصراع مع الآخر الذي يريد تفكيك الهوية والغاء هذا الانتماء أو مصادرته لصالح جماعات قبلية أو سياسية أخرى، وعن السمات الظاهرة أو الخصائص الباطنة، المستترة عند الأفراد

^١ - ابن تيمية، منهاج السنة، تحقيق : محمد رشاد سالم، ج ٤، ص ٥٣٠.

والجماعات، والتي تعزز بهوياتها الاجتماعية وتدافع عنها، وكذلك تطورها في اطار تميزها عن الآخر.

(الهوية بناء يبني في علاقة تقابل فيها مجموعةٌ، مجموعاتٍ أخرى تكون في تماس معهاالهوية هي دوماً علاقة بالآخر، وبتعبير آخر، الهوية و الآخريه متصلتان، الواحدة بالآخرى، وتجمعهما علاقة جدلية)^١.

لقد تشكلت الرؤية الكونية الاسلامية وبنيتها الفكرية والتشريعية والأخلاقية، كبنية مغايرة وصراعية مع الجاهلية تصوراً وتشريعاً وأخلاقاً، وعبر محطات أساسية من الصراع والاقتتال في تاريخ تبليغ الرسالة ونزول القرآن الكريم والدفاع عن هذه الرسالة وعند المؤمنين بها في مواجهة التعصب الجاهلي .

وكان من أهم هذه المحطات وآخرها في التمثل، هي : واقعة غدير خم واكتمال الرسالة الاسلامية بإعلان منصب الامامة كضرورة نبوية في تكوين الاسلام ولابد من تبليغه وعدم الخشية من الآخر المختلف، ومن ثم بتنصيب الامام علي عليه السلام إماماً وولياً على الأمة في مرحلة التجسيد والامتثال للتبليغ الإلهي، فصرخ أحد المتعصبين لهويته الجاهلية : اللهم إن كان هذا من عندك فامطر علينا حجارة من السماء .

لم يكن الصراع مع الآخر صراع عرقي، ولا في اطار المصالح الاقتصادية، ولا في حدود المنصب والحكم، بل كان في جوهره صراع على الهوية في التماهي

١ - دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة : منير السعيداني، مراجعة : الطاهر لبيب، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٧ م، ط ١ ص ١٥٣ - ١٥٤.

مع الاسلام وتمثيله، إذ كيف يمكن لمن ضرب بكل عناصر البنية الاسلامية :
العقدية والأخلاقية والتشريعية، وكان بمثابة العدو في تاريخ وذاكرة الصراع،
وأعلن عن تنكره لهذه البنية الفكرية في أكثر من موقف وتصريح، أن يكون هو
من يمثل هذا البناء الفكري في مرحلة التطبيق والقيادة الميدانية ؟ .

إن قانون الهوية العام في الاسلام، يشترط اجتياز أو تخطي الفئوة
الاجتماعية الخاصة، نحو البعد المجتمعي الكبير للمسلمين، ومن ثم تخطي هذا البعد
المجتمعي الكبير، وذلك إلى البعد الثقافي والحضاري لكل الاسرة البشرية في
تمثيل البنية الاسلامية وتقديهما للعالم كدين كوني، فهل كان بمقدور العنصر
الأموي، كخصائص وسمات مجتمعية وثقافية، اجتياز كل هذه المراحل والمحطات
نحو الكونية في تمثيل الاسلام ؟ . ومن هنا ندرك ما معنى، رؤيا الرسول الاعظم
ﷺ من : أن هوية بني أمية هي الشجرة الخبيثة أو الملعونة في القرآن الكريم .

إن من يراجع السيرة النبوية يلاحظ بوضوح ذلك التثقيف التراكمي
والمركز من قبل الرسول ﷺ باتجاه صناعة وجود ثقافي أولاً، ومن ثم اجتماعي
ثانياً، مهمته أن يقف بجانب الحسين في مواجهة الآخر المعتدي، أو يلتف حول حب
الحسين ﷺ ونصرته في مواجهة الأعداء، وقصة الرسول مع جبريل الذي اعطاه شيئاً
من تربة أرض كربلاء، والتي ترويه أم المؤمنين، أم سلمة رضوان الله تعالى عليها
معروفة للجميع .

لم يستطع المنافقون في مكة أو المدينة من اجتياز عتبات بنيتهم الاجتماعية
والخروج منها، لا إلى كونهم مواطنون صالحون في دولة الاسلام، ولا إلى كونهم

ممثّلون عن ثقافة الاسلام أو بعده الحضاري التطبيقي ، فلقد تستر هؤلاء المنافقون والطلاق بالهوية الاسلامية في الظاهر في عهد النبي ﷺ، فيما هم يحافظون على انتمائهم الاجتماعي القبلي، وانتسابهم العملي للفكر الجاهلي وهويته، وذلك في الخفاء، كانت أهداف البعض هي القضاء على نفس الاسلام من داخله، وكان معاوية في الشام بعد وصوله الى السلطة، لا يخفي امام بعض انصاره أو الناصحين، رغبته الجامعة في القضاء على ذكر الرسول الاعظم ﷺ واهل البيت عليهم السلام، كهوية معلنة لهذه الامة وثقافتها، ويشجب ذكره في الصلوات والآذان من فوق المآذن والمساجد كل حين، هنالك قصة معروفة في هذا المجال تتناولها الاجيال.

كانت الهوية المعادية لأهل البيت ﷺ تتشكل منذ زمن الرسول ﷺ، باستمرار وبشكل تراكمي متسارع عبر ألوان المظاهر التي يصعب حصرها، ولا سيما بعد رحيل الرسول، حتى أن المراقب لا يكاد يجد من الخلفاء من يسمي أسماء المواليد في أسرهم، بما يطابق أسماء عترة الرسول الأعظم ﷺ كأسماء علي، أو الحسن أو الحسين أو فاطمة وغير ذلك السلوكيات الاجتماعية اليومية، التي كانت تستبعدهم أو تعمل على ترسيخ عدم الاعتراف بهم وهذا أول الصراع في الهويات .

وعندما بايع الناس في أكثر من مكان من بلاد المسلمين ليزيد بالخلافة وأنه أمير المؤمنين، قال الامام الحسين صراحة، ومن موقع الوعي بتغاير الهويات والصراع الحضاري، صراع الرؤية الكونية والثقافة والقيم والمزاج العام للجماعة الصالحة وهويتها التي تابي التماهي مع الهويات الفاسدة أو التقارب، كما عبر الامام

(ومثلي لا يبايع مثله ... وقال ايضاً: لقد ركز الدعي بن الدعي بين الذلة والسلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك، ورسوله والمؤمنون).

بقيت الهوية الحسينية تغذي الانموذج الثقافي للمجتمع الحسيني، كهوية وكممارسات عملية تهدي البشرية على امتداد العصور، ولكن في اطار من المعاناة المريرة في مواجهة المنافقين حديثنا، اذن، هو حديث عن تلك الثلة من الثائرين الذين حضروا الى ارض كربلاء بكل ثقلهم الاجتماعي، فرسموا بدمائهم الزكية شفرة الحفاظ على الاسلام كرؤية كونية ومثل أعلى وكرسالة اجتماعية لها تفصيلاتها من : العقائد والقيم والتعاليم السلوكية الاجتماعية، وتركوا لمن بعدهم ذاكرة اجتماعية من المواقف المشرفة، والرؤية الاجتماعية المتكاملة عن الشكل الامثل من السلوك الجمعي في مواجهة وتفكيك القوى المتحالفة على الباطل من المجتمع، والمتكونة من : طلاب السلطة وطلاب المال وجماعات الانحراف الفكري، وبذلك أسسوا اجتماعياً وتفصيلياً للرؤية الكونية الاسلامية القائمة على ثقافة المقاومة والفكر السياسي الذي تتبناه الجماعة من أهل البيت عليهم السلام وانصارهم كمجتمع .

من المعروف في علم الأخلاق أن الفعل الاخلاقي كثقافة لكي يتحقق لابد له من ضمانات للتحقق وهي أجزاء من الرؤية الكونية الساندة للفعل الاخلاقي، وهي : الضامن المعرفي، وذلك من خلال توفير الطرائق للمعرفة للأخلاقية، كالחס الداخلي من العقل أو الضمير، أو مصدرية نصوص الكتاب والسنة، والضامن الآخر هو الضامن المعياري من مطابقة الصدق والوفاء للحقيقة، والضامن التنفيذي من الخوف من المولى تبارك وتعالى والضمير الحي، وكذلك مسائل المجتمع والتاريخ

للإنسان على سلوكه، وكل هذه الضمانات هي اجزاء حيوية من الرؤية الكونية الساندة للأخلاق .

المطلب الثالث :

أرض كربلاء: ذاكرة البطولة والمأساة

لا يمكن عند البحث عن المنابع أو الموارد التي أسهمت في تشكيل الأنموذج الثقافي الحسيني تجاوز أرض كربلاء، وما حصل على تلك البقعة من أحداث وسفك لدماء أشرف الخلائق، في ذلك اليوم الرهيب، ومن صولات وجولات قتالية، وما قيل في كربلاء من الكلمات والاحتجاجات، فهي التي اطلقت الشرارة الحقيقة لهذا الأنموذج الثقافي المقاوم وعملت على تغذيته بالمعاني السامية،وبالعطاء الأخلاقي والعرفان على مر التاريخ .

من المؤكد أنه لم تكتب هذه الواقعة أو تدون في الكتب الا بعد عقود من تأريخ حصولها كما يجمع المؤرخون، الا أنها ولاريب، تشكل الواقعة الأكثر حضوراً في ذاكرة الاجيال من المسلمين ولاسيما عند من قدر لهم أن يكونوا قريبين منها، لما انطوت عليه هذه الواقعة من سمات وخصائص وأسرار، من مضامين في البطولة والصلابة الأخلاقية، ورفض الظلم والاصرار على الحرية، والقدرة على التضحية والتحمل في سبيل الله، وكذلك بدلالة الثورات التي أعقبتها أو كانت بمثابة التناسل الطبيعي لذاكرتها الثورية والبطولية في مواجهة انحدار الظلمة، من أعداء الله تعالى والانسانية، ونذالتهم غير المحدودة في رفض الحق. ويمكن تسجيل جملة من الملاحظات على خصائص وسمات ذلك اليوم.

أولاً : جمع ذلك اليوم التاريخي بين مظاهر البطولة وقيمها العالية في رفض النذل والعبودية، وبين مظاهر المأساة في النهاية الدموية لأشرف الخلق وأكثرهم قرباً من أهل السماء على يد شرار الخلق من المنافقين والجهلاء وادعاء القيادة والوجاهة من أبناء الطلقاء، ولاتزال فكرة التعرض لمظاهر المأساة والبكاء من أجل ذلك فكرة راسخة في الثقافة الحسينية، وذلك بسبب ما تعرض له المجتمع الشيعي من كوارث عبر التاريخ، مع أن المطلوب هو التغني أيضاً بمظاهر البطولة والشموخ في ذلك اليوم، وهذا ما نبه عليه الشهيد المطهري بكثرة في كتابه : الملحمة الحسينية، إذ حاول أن يحول الاهتمام الشعبي والنخبوي على السواء، من المأساة والامعان في البكاء، الى استلهام وظيفة البطولة في الواقعة، ومحاكاتها في رفض الظالمين .

ثانياً : ومن سمات ذلك اليوم عمق التلاحم بين افراد المعسكر الحسيني وانشداهم الفكري والمزاجي لنصرة الحسين عليه السلام، والتضحية في سبيل الدين ورفض الظلم، وهذا الفهم البنيوي والتاريخي لواقعة الطف، كرس ثقافة الطاعة الجماهيرية في الأنموذج الحسيني لعموم القيادة الشيعية على مر الاجيال، والاقتران بتلك الثلة الباسلة في يوم عاشوراء والالتزام بطاعة المرجعية واوامرها الإلهية في نصرة الدين والدفاع عنه .

ثالثاً : كرس ذلك اليوم فكرة الفداء والتضحية بكل شيء في طريق نصره الدين والحفاظ على المبادئ وعدم المساومة مع اعداء الله والرسول ﷺ، قدم الشيعة التضحيات الكبرى، عبر عديد الثورات، وذلك من اجل استمرار الولاء لأهل البيت ﷺ، وهذا الامر زرع ثقافة التضحية والتقديم لكل شيء وبسخاء من اجل نصره الدين والعدالة وكذلك نصره القضية الحسينية، وادامة زخمها على مر الزمان، وكانت نقطة الانطلاق في ذلك من كربلاء .

رابعاً : اوقع ذلك اليوم لحظة الافتراق بين ثقافتين أو مدرستين أو مسلكين في فهم الدين والتعامل مع نمودجه الثقافي، وانعكس ذلك على الافتراق الاجتماعي والفئوي في الحواضن الاجتماعية، فالدماء الزكية التي سالت في يوم الطف سرعان ما استتبع الثورات المتتالية، ضد الأمويين وانصارهم وبذلك تكرر النموذج الاقتتالي أو الدموي في ثقافة المتصارعين .

خامساً : يقرأ بعض الخطباء ما حصل في كربلاء بطريقة تظهر اشكال من البهذلة أو الذلة أو الاسترحام في مجتمع الامام الحسين ﷺ، وهو انعكاسات لشخصية لهؤلاء الخطباء، وضآلتهم الفكرية، ومزاجهم غير السوي في فهم الثورة الحسينية، وتضحيات ابطال كربلاء، هذه التضحيات التي قدمت السيدة زينب بنت الامام امير المؤمنين ﷺ، أفضل قراءة لهذه التضحية عندما قالت : اللهم تقبل منا هذا القربان و وصفه الامام الحسين ﷺ غداة التوجه الى كربلاء : ادراكاً للفتح .

والخلاصة : سواء في هذا المبحث أو المبحث اللاحق هو : اننا نحاول مقارنة بعض الموارد أو المصادر أو المدخلات الرئيسة من وقائع الثورة في كربلاء، أو الصراعات السابقة على الثورة في مجال الالتزام بالرؤية الكونية أو في مجال صراع الهويات، بين استحقاقات الاسلام التي اكرهوا عليها، وتكلسات الجاهلية الثابتة في اللاوعي الاجتماعي، والتي شكلت عبر التاريخ عناصر الأنموذج الثقافي للمجتمع الحسيني المعاصر من خلال تتبعنا الجذور التاريخية لهذه العناصر الداخلة في الأنموذج .

المبحث الثاني :

الأنموذج الثقافي والاجتماعي الحسيني

والحضور النسوي

لم يكتسب الحدث الحسيني الاول، وهو الثورة أهميته الا في ضوء الحدث الثاني أو الصفحة الثانية من أحداث كربلاء وهو السبي للعترة الطاهرة، الذي جاء بسبب الحضور الاجتماعي في احداث كربلاء وثورة الامام عليه السلام . وفي هذا المبحث نظرية تعتمد الرؤية الكونية والتأسيس الثقافي في تفسير الحضور الاجتماعي في الاحداث .

لقد تخطى الحقل الثقافي الحسيني حدود النخبوية الى صيرورته ثقافة جماهيرية أو الشعبية، كما تخطى تلك الحدود الثقافية الذكورية الى تحوله الى ثقافة نسوية مشاركة بفاعلية في هذا الفضاء ، ولقد كتب الكثير من الأدبيات من قبل، بشأن الابعاد الاجتماعية للثورة الحسينية والحضور النسوي فيها وأثره في المتابعة الاعلامية للثورة والتعريف بها، وتحويل التحدي الأموي في الطف الى فرصة تاريخية بفضل الخطاب النسوي الذي عمل على كشف النقاب عن عمق الجريمة، وعن الزيف والتحريف السلطوي الذي أوصل الطلقاء وابناء الطلقاء الى قمة السلطة في الاسلام .

ومن بحث دور النساء في هذه الثورة وخلودها، وخلصت بعض هذه الدراسات الى إعجازية هذا الدور الكبير، بعد أن استطاع الامام السجاد عليه السلام ومعاونة لنساء من

آل الرسول ﷺ، من خلال الخطب التعريفية بحقيقة ما جرى، وسياسات النظام الإجرامية، وهو ما يعرف باستراتيجية الاستفادة من نفس التحديات وتحويلها الى فرص من أجل استكمال الثورة في بعدها الفكري والإعلامي وبيان منطق الثورة الحسينية والرؤية الكونية التي تقف وراء هذا العمل الثوري .

وبالرجوع الى عديد هذه الدراسات يمكن الخلوص الى بعض النماذج النصية والفكرية التي تحاول أن تقارب الفهم الاجتماعي والثقافي، للوقوف على أسرار هذا الحضور وتوصيفه في اطار الرؤية الكونية الاسلامية وموقع المرأة المسلمة من الفضاء الاجتماعي الاسلامي، وجميع هذه النماذج اسهمت بشكل أو بآخر في تعميق الثقافة الحسينية والمساعدة في انتشارها الجغرافي والتاريخي وبالتالي توسيع نطاقها الثقافي الحيوي .

الأنموذج الاول : التفسير الغيبي :

وهو الأنموذج النصي الصادر عن الامام الحسين ﷺ في تفسير الحضور النسوي في المعركة، والذي يتردد في كتابات وقائع الثورة الحسينية، وهو الأكثر حيوية من الناحية الميتافيزيقية، والاقرب الى الرؤية الكونية التي ترى في نفس الإمام ﷺ وأسرته الطاهرة، جزء أساس من البناء الكوني ووظيفة الانبياء وأوصيائهم في هذا البناء، فقد جاء في جواب الإمام لأخيه محمد بن الحنفية في المحاوراة المعروفة، حينما سأله قائلاً :

ما حداك على الخروج عاجلاً؟

قال الحسين : أتاني رسول الله ﷺ بعدما فارقتك _ بمعنى الرؤية في المنام _ فقال : يا حسين أخرج، فأَن الله قد شاء أَن يراك قتيلاً .

فقال ابن الحنفية : إنا لله وانا اليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النسوة معك، وأنت تخرج على مثل هذا الحال ؟، فقال الحسين بالحرف الواحد : إن الله شاء أَن يراهن سبايا^١ .

الأنموذج الثاني : ادارة المخاطر والتحديات:

وقد ورد جانب من هذا التفسير في كلمات الإمام وجوابه لابن عباس بشأن اصطحاب النسوة والأطفال، فلقد قال ابن عباس للإمام الحسين ﷺ : جعلت فداك يا حسين، إن كان لابد من المسير إلى الكوفة، فلا تسر يأهلك ونساءك وصبيتك، فو الله إني لخائف أن تقتل، وهم ينظرون إليك، كان جواب الإمام : يا ابن العم، وإنهن ودائع رسول الله، ولا آمن عليهن أحدا، وهن لا يفارقنني .

ويذكر الدكتور محمد حسين علي الصغير في كتابه : الإمام الحسين، عملاق الفكر الثوري، هذا التحدي الذي لم يأمنه الإمام ﷺ :

(كان من المحتمل جداً، بل من المقطوع به، أن الحسين لو قدر له أن يخلف حرائره في المدينة، أن يعمل الحكم الأموي إلى اعتقالهن جملة، بل ويهدد بقتلهن

جهازاً، مما يعني إحراج الحسين في الماضي في منهجه المخطط له، فيكون ذلك عقبة كأداء في طريقه لا يستطيع تجاوزها، مما يعني عرقلة مسيرة الثورة)^١.

ولاريب، أن ادارة المخاطر لإنجاح الثورة واهدافها هي جزء من عمل الامام المعصوم عليه السلام، ولكن لابد من ملاحظة عمق التأسيس الذي استهدفه الامام بكل هذه الثورة والتحريك الاصلاحى، وهو انقاذ مجمل المجتمع الاسلامى من هاوية العودة الى الجاهلية الكاملة على مستوى الرؤية الكونية والأخلاق العامة والثقافة الموجهة لمجمل المزاج الاجتماعى العام عند المسلمين .

وهنا لابد من استحضار بعض الخطابات النسوية التي تؤكد عمق المساهمة الاجتماعية في الحرب الشاملة بين الرؤى الحضارية والثقافية وأهمية هذا الحضور دوره في رسم خارطة الطريق المستقبلية للصراع وادارة المخاطر الكبرى على مستوى الحرب الثقافية والرؤية.

وفي مقدمة هذه المساهمات ما جاء على لسان السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام، وهي تخاطب ابن أخيها الإمام زين العابدين (عليه السلام)، بعد انتهاء وقائع المعركة واستشهاد الحسين ومن معه من الأقرباء والأنصار، ولكي ترسم المسار المستقبلي للثقافة، وتضع الحدث الجسيم للاستشهاد في سياق رؤية كونية تلامس قلب الحقيقة، والأسلوب الإلهي في صناعة هذه الحقيقة :

^١ - د. محمد حسين علي الصغير، الإمام الحسين، عملاق الفكر الثوري، دراسة في المنهج

فو الله إن ذلك لعهد من رسول الله ﷺ الى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة وهذه الجسوم المضرجة، فيوارونها، وينصبون بهذا الطف علما لقبر أبيك سيد الشهداء، لا يدرس أثره، ولا يمحن رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتطميسته، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً، وأمره الا علواً .

وبذلك يتأكد دور الحاضنة الاجتماعية في التأسيس الثقافي للمجتمع العام وتشكله الحضاري، من خلال المرأة وحضورها الاجتماعي في المعركة، سواء في حماية ظهر المقاومة أو في رسم مستقبلها كثقافة عامة، لا تستبعد هذا الدور الحيوي، يقول الدكتور الصغير : إن رسالة الحسين عليه السلام، قد قدر لها أن تكتمل صفحاتها بما تُظهر هذه الحرائر من الجلد والصلابة عند الثورة، وبما تقدمه من النضال والمحاجة والاستظهار بعد الثورة، وهي تمثل الدور النسوي البارز في ميادين الكفاح^١ .

الأنموذج الثالث : وظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهذا هو التفسير الذي أكد عليه الشيخ مرتضى المطهري في كتابه : الملحمة الحسينية لحضور الحاضنة الاجتماعية للثوار في قلب المعركة، فقد وضع مجمل الثورة الحسينية، والجهود التي بذلها الإمام زين العابدين، والعقيلة زينب وبق

^١ - د. محمد حسين علي الصغير، الإمام الحسين، عملاق الفكر الثوري، مصدر سابق، ص ١٦٠.

النسوة في إطار موحد هو : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من باب وحدة المعنى العام للثورة، وتعدد الأهداف أو الممارسات التفصيلية، فقال:

(لقد قاموا بالتبليغ للقضية الحسينية حتى اللحظة الأخيرة من حياتهم، نهوا عن المنكر، وأمروا بالمعروف، ودعوا الى الإسلام، حتى الرمح الأخير، أقول لم يكن أحدٌ في بلاد الشام يكن الحب لعلي عليه السلام، ولا حتى يعرف من هو علي؟ ولا من هم أهل البيت النبي؟ ، أي إن أحداً لم يتعرف حتى ذلك الوقت أهل البيت، وإن كان أحد قد عرفهم بشيء، فقد عرفهم بصورة بالغة السوء . فتصوروا اذا مدى أهمية عمل أهل البيت النبوة بعد الواقعة ؟ هنالك أقوال زين العابدين، وهنالك حديث إحدى بنات الإمام الحسين عليه السلام، ومن ثم خطاب العقيلة زينب في سوق الكوفة، وذلك الكلام الرفيع لزين العابدين، وتلك الأحاديث، والأقوال، والتبليغ، الذي مارسها آل البيت في الطريق الى الكوفة، وفي الطريق الى قصر الإمارة، ومن ثم إلى قصر يزيد في الشام، وتعاملهم مع الناس، ... وعلى هذا الأساس، لابد من النظر إلى النهضة الحسينية، من زاوية كونها نهضة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أيضاً ومن ثم لابد من دراسة الآثار المترتبة على هذا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولاسيما في بلاد الشام، التي انقلبت انقلاباً شاملاً بعد ورود آل البيت إليها .^(١)

ولا ريب أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هما جزء من الرؤية الكونية والعاطفة عند المسلمين، ولكن ليسا همل كل عناصر الانموذج الثقافي المسير للفضاء الاجتماعي العام في المجتمع الاسلامي .

الأنموذج الرابع: شمولية الرؤية الكونية والأنموذج الثقافي للفضاء الاجتماعي العام .

إن من يريد للرؤية الكونية الاسلامية أن تسود في ثقافة المجتمع ومفاصلها كلها أو تنسكب هذه الثقافة في كل حقول الحياة ومجالاتها وتتشرب، لابد أن يجعل من هذه الرؤية الكونية في متناول الجميع من ابناء المجتمع ومكوناته وتحولها الى تصورات عامة، وليس مختصة بفئة أو نخبة محدودة، وكذلك يجعلها ممتدة الى كل تفاصيل الحياة الصغيرة والكبيرة، وفي السلم وفي الحرب ايضاً، بحيث ينخرط الجميع في هذا الاطار، ويعمل الجميع على الحفاظ على هذه الرؤية، هذا هو مقتضى الالتزام التفاعلي والتأثير المتبادل بين الرؤية الكونية والاخلاق، فليس الاسلام عبارة عن لباس، زينة، نرتديه في المناسبات التي نطمح أن نستفيد من حضورها والظهور بهذا المظهر، ثم ننزعه في الاوقات الاخرى، يقول الامام (عليه السلام) .

(الناس عبيد الدنيا والدين لعق على سنتهم، يحوطونه ما درت معاشهم، فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون) .

لقد اتاحت حركة الامام الحسين عليه السلام في مواجهة بيعة يزيد، تشكيل فضاء اجتماعي، داخل المجتمع الكبير، منسجم، قادر على استيعاب كل الامكانيات الثورية للدفاع عن رؤية الاسلام الكونية والاخلاقية والحضارية، و فتح المجال واسعاً أمام القوى الاجتماعية التي يمكنها أن تعمل على تقويض الظلم والطغيان بكل الاساليب والطاقت الممكنة ومن يقف ورائها من اصحاب الرؤى المنحرفة عن رؤية الاسلام، من أجل تأكيد الحق الحقيقة، فهي بمنزلة الروح من

الرؤية الكونية، والا فلا معنى لرؤية كونية بلا حقيقة، مزيفة، يحتفي بها الجهلاء رداً من الزمن ثم يكون مصيرها الحذف الى مزابل الناكرة والتاريخ.

وفي مقدمة هذا القوى الثورية الفاعلة والتي قد ينظر اليها عادة كقوى هامشية في المجتمع هي قوة النساء ومعا بالطبع قوة الاطفال والصبيان، حيث تشكل هذه القوى القاعدة الاجتماعية للثوار.

لا ريب أن الحاضنة الاجتماعية الثورية بكل تفصيلاتها هي جزء من جدلية الحرب الكبيرة، وإن لم تكن جزء من المعارك التي قد تحدث هنا أو هناك في اطار الحرب المتواصلة، ولكي يتم كسب الحرب الشاملة في الواقع لابد من استحضار الحاضنة الاجتماعية وتهيئتها، كوعي راسخ وسند اساسي في مثل هذه الحروب الشاملة والطويلة، وذلك لما للحواضن الاجتماعية من تأثير على النتائج النهائية للحروب الطويلة وعلى تفكيك امكانيات العدو على المدى البعيد في احتواء الثورة أو طمس معالمها وبالتالي استدامة الثورة على المستوى الحضاري والثقافي وادامة المقاومة وترسيخ قيمها في اللاوعي الجمعي عند الاجيال التالية .

كان لابد أن يعلم الجميع أن الارتباط بالإسلام ورؤيته الكونية أهم من الارتباطات القبلية والعشائرية، أو نصرة الأهل والأقارب على حساب المبادئ، وقد حذر المولى تعالى من أن تكون الارتباطات الجزئية مقدمة على الارتباطات الكلية، وضرب مثلاً للذين كفروا، زوجتا النبيين : نوح ولوط عليهما السلام، ثم ضرب مثلاً للذين آمنوا، زوجة فرعون التي قدمت الارتباط بربها تبارك وتعالى على الارتباط بفرعون،

وفي سابقة خطيرة في هذا المجال لم تقدر عواقبها المستقبلية في حينها قاما كل من طلحة والزبير بجلب ام المؤمنين عائشة، وهي حاضنة اجتماعية كبيرة لكل المسلمين ومهمة أيضاً بكل المعايير الى معركة الجمل وذلك لإضفاء المصداقية على هذا التحرك وكان الهدف ليس الاسلام ومصالحته العليا، بل تحقيق الانتصار على الامام علي عليه السلام الخليفة الشرعي، كان طلحة والزبير في مقدمة من بايع الامام بعد قتل عثمان، ومع عدم الاستفادة الفعلية من هذه البيعة تحركوا باتجاه التمرد على السلطة الشرعية، ولم يسمحوا بالطبع لزوجاتهم وحرائرهم بحضور هذه المعركة، وهذا يكشف عن توظيف الاسلام وكذلك أم المؤمنين عائشة في خدمة أغراضهم الشخصية في السلطة وليس في خدمة اغراض واهداف الاسلام كروية كونية واخلاق وحضارة لكل البشرية .

أراد هؤلاء المتمردون أن يجعلوا من الاسلام والحواضن الاجتماعية المصونة من غير اعراضهم، بالطبع، دروعاً بشرية للحفاظ على مآربهم وأهدافهم في الوصول الى السلطة، وهذا ما سار عليه معاوية من بعد، فقد وظف كل شيء : معالم الاسلام من : القرآن الكريم والحديث والصحابة والمجتمع من أجل مجده الشخصي ومجد بني أمية وكان غاية هذا المجد في الجاهلية، هو حمل بضائع التجار والمسافرين في رحلتي الشتاء والصيف كما ذكر الامام الحسين عليه السلام في تذكير معاوية بموقعه الحقيقي في التاريخ.

كان لابد من بناء فرضية معاكسة وتشيد يثبت أن على الجميع أن يكون في خدمة الاسلام من خلال تجسيد رؤيته الكونية وما يشتق من هذه الرؤية من قيم وتعاليم للحياة، فلا حضارة تقوم وتستمر بدون قيم سامية، ولا قيم سامية يمكن أن

تزدهر بلا رؤية كونية اصيلة كرؤية الاسلام للعالم وللحياة، والذي هو الضامن الوحيد أيضاً للنجاة والاخلاص في الحياة الاخرة فضلاً عن استدامة الحضارة، وهذه هي الاستجابة الطبيعية لتبنيه القرآن الكريم : كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها.

كل ذلك يجعل من القضية وملابساتها غاية في الخطورة والتعقيد، ولاسيما اذا لاحظنا عالمية الدعوة الاسلامية وخاتمها وضرورة استدامتها للأجيال المقبلة من بني البشر الذين ينبغي أن يصلهم الاسلام أيضاً بشكل نقي وخال من التزييف، بعد كل الذي حصل من الانحراف في الرؤية الكونية عند المسلمين، والذي يقود مرة أخرى للارتكاس في حفرة النار، وكأن النبي الكريم لم يقدم شيئاً.

المبحث الثالث :

من الجذور الى التشكل

بعد أن استعرضنا الجذور الاساسية التي أسهمت في تشكل عناصر الأنموذج الثقافي الحسيني من خلال دراسة مادته الاساسية وهي الثورة ومجتمعها بقيادة الامام عليه السلام وصلنا الان الى التكتيكات البحثية الخاصة بمقاربة الوقائع والوثائق التاريخية والوظيفية التي نقلت الأنموذج الثقافي الحسيني الى أنموذج اجتماعي كبير ضمن المجتمع الاسلامي، ومزاج اجتماعي متقبل للمقاومة وثقافتها في مجتمع طريق الامام عليه السلام، لقد تم تمرير الثقافة الحسينية بنجاح من مرحلة الثورة والواقعة الى مرحلة التمثيل الثقافي في المجتمع، وهذا ما حقق الهدف من الثورة وانجحها بشكل، معجز، وتاريخي.

لقد عملت آليات التفاعل وجدليات التأثير على نقل الصدمة والاصداء الثورية العاصفة الى الحواضن الاجتماعية المختلفة التي راحت تمجد هذه الثورة وتستلهم البطولة والاباء من تفاصيلها، وهذه الاليات هي التي أسهمت في تجذير الأنموذج الثقافي في المجتمع، ومن ثم أمنت الديمومة و الانتشار والتكامل والتشكل النهائي لهذا الأنموذج كما وصل الينا، في العصر الحديث والمعاصر، كبنية اجتماعية توسعية وعضوية معاً، وليست ظاهرة نسبية، عابرة للحدود، إذ لم تقف الحواضن الاجتماعية موقفاً سلبياً من هذه الثورة الهائلة، كيف، يكون ذلك، وهنالك جمع من الصحابة الاوائل من المشتركين في الثورة، فيما كان الصحابي : جابر بن عبد الله الانصاري في مقدمة الزائرين لكربلاء بعد استشهاد الامام عليه السلام مباشرة، وكان

للأئمة الدور الكبير، من بعد، في ارشاد الناس الى أهمية مواصلة العمل على ترويج المنهج الحسيني والثقافة الحسينية، وتبني هذا الأمر بكل عناية ولاسيما مع حلول ذكرى عاشوراء من كل عام.

كما لم تعيش الثقافة الحسينية أو المجتمع الحسيني في جزيرة معزولة عن هذا العالم وصيرورته التاريخية والحضارية، بل هما جزء من محيط ثقافي ومجتمعي : محلي وإقليمي ودولي كبير، وهما في حالة من التفاعل والتأثير المستمرين مع هذا المحيط على امتداد التاريخ، ولاريب أن جانباً من هذا المحيط بات يخشى من تطور الحالة الشيعية السياسية وتمدها المستمر، في هذه المرحلة من تطور الأحداث وهذا ليس بخاف على أحد، وهنا تأتي أهمية المنهج العلمي في دراسة انماط هذا التفاعل والتأثير المتبادل بين الأطراف، وهو التفاعل الجدلي، الثنائي، كما أسلفنا في الباب الأول من هذه البحث .

ولتشكل ثقافة المقاومة وفكرها الذي أرتبط بالثقافة الحسينية تاريخ طويل ايضاً، وأساس هذا التفاعل بين القضية والثقافة والمجتمع، هو التأثير المتبادل القائم على جدلية التفاعل الايجابي، الأمر الذي تسبب بنشر هذه الثقافة في معظم أرجاء المعمورة، وستتضح معالم هذا المنهج وخطوطه العريضة، وكذلك في هذا البحث وفي الفصل الخاص بعناصر الثقافة الحسينية من : المعارف المتنوعة، والهوية، والذاكرة، والمحاكاة، حيث فصل الكلام في هذه العناصر .

جانباً كبيراً من النص القرآني وجهود الانبياء السابقين، قائم على اساس مقاومة التصورات الباطلة والمنحرفة في مجال الرؤية الكونية، ومقاومة الممارسات

الخاطئة والجاهلية والتخريبية التي تعج بها حياة الناس وفي المجالات كافة وقد وصفها المولى تعالى بالكفر والفساد في الارض، والآيات المباركة الخاصة بسرديات تاريخ الانبياء في القرآن الكريم هي الشاهد على هذا الرافض والمقاومة.

كما تشكل أفكار المقاومة في الادبيات المعاصرة محوراً أساسياً في افكار العديد من الباحثين والكتاب، سواء أكان في إطار الفكر الكلاسيكي ومناهجه اليسارية التي اتخذت من السلوك الاستعماري و معطيات العصر الحديث كأسلوب في ادارة الهيمنة على مقدرات الآخرين وسرقتها، أم في إطار ادبيات ما بعد عهد الاستعمار ونقد ومقاومة اساليب الاستكبار الحديثة في التخريب والهيمنة على العالم بتفعيل الصراعات القومية والدينية والمذهبية وغيرها من أجل الاستفادة من أجواء الفوضى العارمة في العالم واعادة تشكيله على وفق المصالح القومية للدول الكبرى .

وفي المجتمع الاسلامي الاول، بعد رحيل الرسول الاعظم، وتجزر قوى الانحراف والتمرد، كان لابد من أنموذج ثوري اصلاحي يتخطى أو يميز نفسه عن الحركات التمردية القائمة على اساس المصالح الشخصية والرؤى النفعية الضيقة، والتي يكون في مقدمة أهدافها اعادة تشكيل الرؤية الكونية الاسلامية طبقاً لمصالحها الفئوية والفردية كما هي حركات : الناكثين في الجمل، والقاسطين في صفين، والخوارج في الكوفة، ومن بعدهم حركة ابن الزبير، فكل هذه الحركات، لم تكن مشتقة من الرؤية الكونية الاسلامية الاصلية، بل كانت انشغافاً على الرؤية الكونية الاسلامية التي ترى في الامام علي بن ابي طالب ، وريثاً شرعياً لمنصب القيادة بعد الرسول ﷺ .

في فضاء كبير ومفتوح وتعددي في الاتجاهات والرؤى، كفضاء المجتمع الاسلامي، شكلت الثورة الحسينية سابقة كبرى في سؤال الفعل الثوري والتحرري لدى الانسان المسلم الذي يمكن أن يحاكيه بكل ثقة واطمئنان في ما يتعلق بشرعية الثورة على الظالمين والغاصبين وعدم السكوت على سلوكياتهم المنحرفة عن تعاليم الاسلام الاساسية التي تشكل رؤيته الكونية المولدة للثقافات السليمة في البلاد .

وفي هذا المبحث، وفي ضوء منهج الجدل التفاعلي : سنقف عند آليات التحول من فهم الفعل الثوري للحسين عليه السلام، من مستوى مساوق للرؤية الكونية التي تؤمن بأن الحسين هو : سيد شباب أهل الجنة، وأنه إمام مصوم، سواء قام بالثورة أم قعد عن المواجهة، كما في وصف النبي الأكرم عليه السلام له، الى مستوى المحاكاة، كثقافة جماهيرية مجتمعية راسخة تستند الى مصداقية تلك الرؤية الكونية عبر جدلية التفاعل اليومي مع معطيات الثورة الحسينية وقصص المواجهة والمأساة التي أزاحت الستار عن كفر السلطة بقيم الاسلام ونصبها للعداء المستديم للبيت النبوي الشريف، وجعل الشعائر اساساً لهذه المحاكاة في الفعل المقاوم، والمحاكاة هي من تضمن استمرار الأنموذج الثقافي وبالتالي تحقيق الاستدامة في نفس المجتمع المقاوم، لقد عمل الفعل الثوري للإمام الحسين عليه السلام، باتجاهين.

الاول : سلب الشرعية ليس عن الحكومة الأموية التي اغتصبت منبر الرسول الأعظم عليه السلام، وصدقت بذلك تلك الرؤية الكونية التي وردت في القرآن الكريم وفسرها جبريل على أنها : ستأتي مجموعة من القردة بعد رحيل الرسول عليه السلام، وستتطفل على منبرك من بعدك يا رسول الله ! . عمل الفعل الثوري للإمام على أعضاء

عنصر الشك على مجمل المنظومة الاجتماعية والمنظومة الفكرية ومعايير التقييم بأثر رجعي على الفترة السابقة، التي مكنت هؤلاء القردة من بني أمية من الوصول الى امامة المسلمين .

والثاني : اضاء الشرعية والمصادقية على ثقافة المواجهة لهؤلاء الذين يزعمون أنهم على خطى رسول الله ﷺ، فيما هم لا يتورعون عن سفك الدماء الطاهرة للذرية التي جعلها النص الكريم المعادل الموضوعي للخطاب الإلهي، أي الدعوة الى محاكاة الفعل الثوري، وشعار : الا من ناصر ينصرني.

أسست الثورة الحسينية لثقافة المقاومة المسلحة من موقع الدفاع عن النفس، ولما كان الحسين جزء من الرؤية الكونية للإسلام، إذ يقول الرسول ﷺ : حسين مني وأنا من حسين، صارت الثورة التي قادها جزءاً من رؤية كونية ماثوثة في الواقع الاجتماعي، ومصادقاً تطبيقي للجهاد الذي أمر به القرآن الكريم، وشكلاً من أشكال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذلك انطلقت ثقافة المقاومة والتحدي والمعارضة المسلحة والرفض كجزء اساس من ثقافة الاسلام العامة، الجماهيرية، المستندة الى رؤية الاسلام الكونية على المستوى الفلسفي والكلامي والأخلاقي والفقهي.

من هنا سجلت لنا الذاكرة التاريخية في الاسلام تلك الثورات العشرة التي أغنت ذاكرة الاسرة البشرية بأروع بطولات الرفض والمواجهة للممارسات الظلم والجور والعدوان وسفك الدماء المحرمة والنهب للمال العام والاستكبار في الارض ،

ممارسات الفساد هذه في الحكم، شكلت قاسماً مشتركاً للحكام الجائرين وسفهاء السلطة، منذ عهد النبي الاكرم وحتى يوم الناس هذا .

سجل الباحثون جملة من الهزات الارتدادية للزلزال الحسيني من خلال محاكات الفعل الثوري للإمام (عليه السلام) ، ظهرت في المدينة المنورة والكوفة بعد واقعة الطف الأليمة، وكلها بالطبع مرتبطة بمحاكاة ثورة الامام الحسين (عليه السلام)، وتجمعها خاصية مشتركة هي : طلب الاصلاح، وشرعية مواجهة الحكم الأموي وبالتالي مصداقية الثورة عليه، وصولاً الى تأسيس ثقافة ثورية مقاومة لكل أشكال التزييف للشرعية، لا نريد الوقوف على هذه الثورات وتفصيلاتها فهي موجودة في النازرة التاريخية للأمم، ولكن نريد تأكيد نوع الرابط بين الرؤية الكونية والنظرة للعالم، وبين ثقافة المقاومة، لان تقويم الفعل الثقافي المقاوم للثوار التقويم يجب أن يستند إلى نوع الرؤية الكونية أولاً، وحدود الالتزام بتلك الرؤية الكونية الراعية للثقافة والتشكيل الاجتماعي ثانياً، بمعنى : عدم استبدال هذه الرؤية في المراحل اللاحقة كما حصل مع العباسيين.

لقد تم تمثل الثورة بكل مراحلها في اشكال متنوعة من الوقائع أو الشعائر والنصوص الموثقة للأحداث، شعراً ونثراً، ولاسيما مع كتاب القصص والروايات أو المسرحيات الحديثة والمعاصرة، من أجل محاكاة الفعل الثوري وضبط ايقاعه عن طريق الالتزام : بالأداء والدلالة والمشاركة العامة التي تحرك العواطف الجياشة والانفعالات عند المؤمنين والمحبين للإمام .

بذلك كرس التشيع ثقافة المقاومة في المجتمع الشيعي، في ضوء الانتماء الحسيني والرؤية الكونية التي ترى في الامام الحسين عليه السلام : العصمة، ودفع المجتمع الشيعي من أجل ذلك فاتورة كبيرة من الثمن، وأول الفاتورة هي سمعة تشويه سمعة التشيع نفسه، ووصمه بالشرك والكفر والخرافة .

هذه الواقعة كما يذكر الشهيد مرتضى المطري : شئنا أم أبينا حادثة اجتماعية كبرى بالنسبة لشعبنا وأمتنا، أي انها حادثة مؤثرة للغاية في تربية أهلنا وأخلاقنا، وعاداتهم وسلوكهم، إنها الحادثة التي تدفع بشعبنا، بشكل آلي، ودون تدخل أية قوة خارجية الى ان يتوجه الملايين منه لصرف ملايين الساعات من جهدهم، وانفاق الملايين لسماع ما يرتبط بها من قضايا^١.

ولابد من المحافظة عليها من الانحرافات بكل اشكالها والتشويه المتعمد، وغير المتعمد من قبل السذج والمغفلين، وقد عمل الشهيد مطري بإخلاص من اجل نقل الثقافة الحسينية من ثقافة مأساة وبكاء إلى ثقافة المقاومة ودفاع قيم الاسلام الكبرى في الحرية والكرامة الانسانية واستقلال بلدانهم عن التبعية للأجانب من الناهيين الدوليين .

كما لابد من التميز اليوم بين ثقافة العنف والارهاب وثقافة المقاومة، وذلك لكي لا تختلط ثقافة المقاومة والدفاع المقدس بثقافة عنف السفهاء والحمقى والتكفير كما هو عند طلاب السلطة والساعين في التخريب من المأجورين الدوليين والمرترقة بين الدول، لابد من الرجوع الى تلك الرؤية الكونية التي تقف

وراء الثقافة وتحركها، فهي المعيار في التمييز والتشخيص والفرز، فاستعمال السلاح عنصر مشترك في الثقافتين ولا يصلح للتمييز بين قوى الحق والباطل، ولكن الرؤية الكونية ومكوناتها هي الحاكم في هذا المجال، ورؤية اهل البيت هي الحاكمة في المجال الاسلامي السليم عن امراض الارهاب، وعوارض العمالة للقوى الكبرى .

في جنوب لبنان كان سلاح الدعاء وهو جزء من الثقافة الحسينية في المعركة، مرفوعاً من قبل المؤمنين بوجه الظلم والعدوان الصهيوني، والدعاء هو ثقافة اسلامية تستند الى رؤية كونية تؤمن بالحضور الإلهي في الشدائد لنصرة الأخيار، كان هذا السلاح هو كل ما يمكن تقديمه للمقاومة عند الكثيرين في العالم الاسلامي، في هذا الظرف الاستسلامي للحكومات .

لكن جملة من أئمة الضلال واتباع الصهيونية من الوهابيين والسعوديين كانوا يقولون للناس أن الدعاء بالنصر لحزب الله، من أكبر المحرمات . وبعد أن تأكد للكيان الصهيوني هزيمته أمام حزب الله ومحور المقاومة الممتد من إيران إلى الجنوب اللبناني، أوعز هذا الكيان ومعه الغرب الى هذه النماذج من أنصاره في العالم الاسلامي، والممولة من قطر والسعودية وتركيا وشركات السلاح وسراق البترول، بأحراق البلاد العربية والاسلامية على رؤوس أهلها من المغرب وحتى العراق في المشرق، من أجل الخروج أخيراً بدولة الخلافة الاسلامية أو الاجرامية في سلوك انصارها، والتي هي في حقيقتها، وفي خريطتها، نفس خريطة اسرائيل الكبرى وتطبيق حرفي لها .

وهنا ندرك أهمية الرؤية الكونية في ثقافة المقاومة وتشكيلها لنوع التحدي، فثقافة المقاومة عند الرسول ﷺ، هي العفو والرحمة بعد دخول مكة وهي ثقافة الحسين ﷺ وكل الأحرار، فيما ثقافة اصحاب الفتن والفتوحات الاجرامية المزعومة لشعوب الارض الآمنة، وغزوات الوهابية هي النهب والقتل والفتنة وجهاد النكاح والتفجيرات في الأسواق والمساجد

أما عن أثر توجيهات الأئمة عليهم السلام في تشكل المجتمع الحسيني والأنموذج الثقافي الحسيني السائد فيه، فلقد حث الأئمة على عقد المجالس الحسينية وبناء العلاقات الاجتماعية في هذا الاطار بشكل مبكر بعد الثورة مباشرة . كانت للكلمات الصادرة عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام والموجهة الى شيعتهم من مختلف البلدان، أبلغ الأثر في بناء وتشكل المجتمع الحسيني ونموه على امتداد الزمان وهو يتفاعل مع هذه الأحاديث والنصوص والزيارات المروية عنهم عليهم السلام، والأدعية وفي كيفية الزيارة والآداب عند اللقاء بالمرقد الشريف في المناسبات المختلفة، حتى جمعت تلكم الاحاديث في هذا المجال، والزيارات فشكلت كتباً، وتم تأليف المصنفات الكبيرة والشروحات في هذا المجال وكتبت الادبيات الرائعة لتفسيرها وبيان أسرارها^١.

^١ - السيد ابو طالب الحسيني القائيني، اللؤلؤة الغالية في اسرار الشهادة، دار اسوة، ١٤٢٧هـ جري ،

الفصل الثاني :

عناصر الأنموذج الثقافي في المجتمع الحسيني (الرؤية، والذاكرة، والهوية، والعمل، والخطاب)

توطئة :

الحديث عن الفعل الثقافي، لاريب أنه يشمل : الفعل الثقافي الفردي، والفعل الثقافي الاجتماعي، وفي هذا البحث نقصد على وجه الدقة، الثاني، أي الفعل الثقافي الاجتماعي، لأنه هو من يقرر أو يعبر عن شخصية المجتمع وسلوكياته العامة، وليس شخصية الفرد الواحد كما في الفعل الثقافي الشخصي .

ومن أجل تحديد أنموذج ثقافي متكامل معبر عن الفعل الثقافي الاجتماعي، لابد من ملاحظة ما يمكن تسميته بالمتضمنات، أو عما يختزنه هذا الأنموذج من أمور كامنة في صناعة الفعل الثقافي الاجتماعي من قبيل : ما ينطوي عليه الفعل الثقافي الاجتماعي من الرؤى الكونية المشتركة في المجتمع، ونوع الهوية التي تقف وراء الفعل الثقافي أو هو يعبر عنها، وحدود الذاكرة الاجتماعية المرتبطة بمراسيم هذا الفعل الثقافي، ونوع المحاكاة ، وتصنيف الخطاب العام الذي يقدم هذا الفعل الثقافي، فهذه كلها تجد لها تجليات بصيغ مختلفة في أداء الفعل الثقافي الاجتماعي، وفي هذا الفصل، ومع البحث في هذه العناصر، نكون قد وصلنا الى الذروة في تحديد الأنموذج الثقافي للمجتمع الحسيني طبقاً لهذه التحديد الخماسي،

ورسم ملامحه من خلال البحث في العناصر الاساسية لهذا لأنموذج الثقافي، والتي منها تنبثق كل الممارسات والسلوكيات في هذا المجتمع وتستند، وهي :

أولاً : المعرفة: بمعناها العام الشامل للعلم ولا سيما في المجال الديني من علوم العقائد والشريعة والأخلاق، والمرتبطة بتشكيل الرؤية الكونية ومصادرها المعرفية كما هي معروفة عند المسلمين عموماً : القرآن الكريم والسنة والشريعة، والعقل، والاجماع، وتلحق بذلك كله المعرفة التاريخية التي تسهم بشكل مؤثر في صناعة الموقف العقائدي أو الأنموذج الثقافي كما سوف نرى في هذا البحث.

وثانياً : الهوية وهي التميز والاختلاف عن الآخر المختلف والمعادي في بعض الأحيان كما في واقع الأنموذج الثقافي الحسيني، حيث يقول الامام : ومثلي لا يبايع مثله ، هوية التمايز القائم أساساً على رفض التحريف والتزييف والظلم والطغيان الذي ما رسه الحزب الأموي ضد الاسلام والعترة الطاهرة وشيعة أهل البيت عليهم السلام وانصارهم في كل مكان من العالم الاسلامي.

وثالثاً : الذاكرة : والمقصود بها هنا في الأنموذج الذاكرة الحسينية التي تمتد من ذاكرة يوم المعركة ومن ثم عبر تاريخ طويل من مواجه التحديات وتحمل الالام في طريق الولاء لثورة الامام عليه السلام ومحاسنها .

ورابعاً : المحاكاة : وهي تعني العمل المشترك أو الممارسات التي تحاكي الثورة الحسينية في الرد على الظالمين، وكذلك الممارسات الشعائرية التي تستعيد وقائع الثورة من خلال التشبيه وغير ذلك من الحركات التي تنطوي بالأخير على نوع من

محاكاة ما حصل في الطف،و التي تشتمل على الاداء والمعنى والتنفيذ الجماعي للممارسة الثقافية ولاسيما في مجال أداء الشعائر الحسينية المعروفة .

خامساً : الخطاب : يقال : إن اللغة مأوى الوجود، وكل فعل ثقافي اجتماعي له تجلياته اللغوية المرتبطة به، وقد تكون هذه اللغة حقلاً من المفاهيم المعبرة عن هذا الفعل وابعاده التاريخية والكلامية والأخلاقية، كما في مفردات ثقافة الحزن أو ثقافة الفرح، وقد يعبر عن ذلك بأن : لكل مقام مقال .

ومن هنا فالثقافة الحسينية، لابد أن تكون معبرة عن : نوع من الرؤية الكونية، وكذلك عن هوية محددة لنمط من الاختلاف والصراع السياسي والاجتماعي والاقتصادي داخل الامة، وكذلك مرتبطة بذاكرة طويلة من مواجهة التحديات والرغبة في الانتصار والأمل بتحقيق الثأر من الأعداء، وبأسلوب من المحاكاة والانتشار الثقافي من بلد الى آخر، وأخيراً فهي تمثل نمطاً من الخطاب واللغة التي تغلف هذه الثقافة وتحافظ على مكوناتها عبر الأجيال، وسنقف عند تفاصيل هذه العناصر الخمسة، ودرجة الترابط بينها في صناعة الأنموذج الثقافي الحسيني وتشكيل آليات اشتغاله التي تضمن استمرار هذا النسق الاجتماعي بالوجود والتوسع. والتكيف الحضاري ايضاً .

من المؤكد أن المجتمعات والرؤى الكونية والفلسفات المرتبطة بها والثقافات والممارسات التطبيقية في الحياة لا تولد كدفعة واحدة، بل هي في حالة من التشكل والتحول والضرورة مع مرور الزمن، والبحث عن المجتمع الحسيني في عمق تشكله التاريخي هو : بحث في نصوص التاريخ ورواياته وتنقيب في الذاكرة

والهوية والاثار المادية التي خلفتها الاجيال الراحلة لمن يأتي بعدها، والتي تحكي قصة هذا التشكل المستمر والنامي حول واقعة الطف الكبرى وفهما، هذا التشكل يمثل قطب التنمية الاجتماعية في مسيرة المجتمع الشيعي الكبير، وهو كذلك اساس الرؤية الجدلية التفاعلية كمنهجية في فهم التاريخ وحركته عند الشيعة الامامية.

المبحث الاول : المعرفة أو (الرؤية الكونية)

يعد الفكر والمعارف العلمية، بكل أصنافها وأطيفها المدماك الأول في سفينة الثقافة، وأول المعرفة الشاملة المرتبطة بروح الثقافة ومزاج المجتمع، هي تحديد الرؤية الكونية المستمدة من المصادر المعرفية والموارد الفكرية لذلك المجتمع .

وفي المجتمع الاسلامي عموماً تعد الشريعة وعلومها، وهي : القرآن الكريم والسنة والشريعة، والعقل، والاجماع، هي مصادر تشكيل معارف المسلمين ورؤيتهم الكونية ومزاجهم الأخلاقي .

وقد ذكرنا في الباب الاول من الكتاب، مصطلح الرؤية الكونية وعلاقته بمجمل الوضع الثقافي، والسؤال الأنثروبولوجي المطروح في هذا المبحث هو : كيف شكلت الثقافة الحسينية خياراً ثقافياً لجماعة من المسلمين وهم الشيعة عموماً، ولم تشكل خياراً ثقافياً عند غيرهم من المسلمين ؟ .

وللإجابة عن هذا التساؤل المركزي، لابد من تمهيد أنثروبولوجي للوقوف على العوامل الجدلية في المجتمع والتي تعمل على بلورة اختلاف الرؤى الكونية ومن ثم وقوع الاختلاف في النماذج الثقافية في المجتمع الواحد كمجتمع المسلمين الذي كان موحداً، ولو في الظاهر، حتى اللحظة الأخيرة من حياة الرسول الأعظم ﷺ .

يعدّ حقل الدراسات الثقافية في راهننا المعاصر من الحقول البحثية الأكثر أهمية ومعاصرة في معظم المراكز الاجتماعية في العالم، ولاسيما على مستوى البحث العلمي الذي يتخذ من النسق الثقافي كمنظومة متكاملة وذات وظيفة

اجتماعية وحضارية موضوعاً للبحث، إذ مع هذا الاهتمام والتوجه، تصبح الثقافة السائدة في المجتمع، ينظر إليها كموضوع بحث علمي متواصل، يلقي اهتمام العلماء واجتهاداتهم ومن جميع الاختصاصات والاتجاهات المعرفية، وهناك عديد الاتجاهات المنهجية في البحث العلمي للثقافة الأمر الذي يفرض على كل باحث للثقافة الإسلامية، يروم الالتزام العلمي أن لا يتكرر للإنجازات المعرفية في هذا الحقل عند التطرق للفكر الإسلامي أو الثقافة الإسلامية .

فهناك أولاً :

الاتجاهات الوضعية، المنطقية، القائمة على المنهج الاستنتاجي من مقدمات واقعية وفروض محددة من واقع المادة المدروسة، والاتجاهات الوضعية تنطلق من دراسة مستوى الحضارة العالمية والتقدم وتوصيفهما بحرفية متقنة وذلك لمعرفة الثقافة السائدة وتقويمها، إن كانت بدائية ومتخلفة عن الركب العالمي أم مساوقة للتقدم الحضاري، فالتقويم الحضاري هنا جزء أساسي من المعرفة بالثقافة، إلا أنه يتم على وفق الأسس المادية عند الوضعيين : طائفة تغزو الثقافة إلى عوامل عنصرية واقتصادية وسياسية وعسكرية راقية، فتحكم لذلك على الثقافات الأخرى بالانحطاط والتخلف، أي أنها ذات منحى عنصري نفعي في أحكامها^١.

فهذه الدراسات تنطلق من واقع العلاقات الاجتماعية والحضارية لبلورة الرؤية الكونية والفلسفة المطلوبة للمجتمع المتقدم مادياً، أي تكوين الفلسفة الملائمة و

١ - محمد جواد أبو القاسمي، نظرية الثقافة، ترجمة : حيدر نجف، مركز الحضارة لتنمية الفكر

المواكبة لتطور الواقع وتبريره، وهذا هو الاتجاه العام السائد في الدراسات الفرنسية والانكليزية غالباً، فالمدرستان الفرنسية والانكليزية كما هو معروف تعطيان الأولوية للحضارة والمنجز المادي على الثقافة والروحانيات، والثقافة في نظرهما ماهي إلا نتاج الرؤية الحضارية المتقدمة، يقول كوبر :

(فمفهوم الحضارة العالمية الشاملة كان جذاباً ولأسباب بديهية للطبقات المتنفذة في الدول الإمبراطورية مثل : فرنسا وبريطانيا، في حين أن مفهوم الثقافة (Culture) يعكس الوعي الذاتي لأمة مثل المانيا، كان عليها دوماً أن تبحث عن حدودها وتعيد تشكيلها من جديد من ناحية سياسية كما من الناحية الروحية)^١. وقد عرف هذا الاتجاه بالاتجاه الحضاري بالنظر لأسلوبه أو منهجه عند تقييم الثقافات المختلفة، إذ يعتمد معيار الرقي والتقدم المادي العالمي ولاسيما التقدم الصناعي والانفتاح الاقتصادي.

و ثانياً : هنالك الاتجاه المعروف بالألماني التاريخي، أو المثالي، أو الجدلي، أو الاستقرائي، وهو الاتجاه السائد عموماً لدى المدرسة الالمانية في ترسيم معالم الثقافة، وهي مدرسة تحاول أن تجد الاولوية في الرؤية الكونية والثقافة المستندة الى هذه الرؤية الفلسفية، وبذلك تؤكد المدرسة الالمانية على الخصوصية الثقافية وليس على الحضارة ومنتجاتها العالمية، وتنطلق من الفكر والعقل والخصوصية التاريخية وذلك من أجل تكييف الواقع الثقافي، وبذلك لا تقبل بسلطة العلاقات الحضارية ومعايير تقدم المجتمعات على اعادة تكييف الواقع الثقافي وبناء الرؤية

^١ - آدم كوبر، الثقافة : التفسير الأنثروبولوجي، ترجمة : صباح صديق الدمولوجي، مراجعة : الأب بولس وهبه، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٢ م، ط١، ص ٦٠ .

الكونية والخصوصية في ضوء متغيرات الواقع الحضارية بل ترى الأمر بالعكس تماماً فالرؤية الفلسفية الكونية هي نقطة الانطلاق لبناء اية فلسفة ثقافية للمجتمع الالمانى، وقد عرف هذا الاتجاه بالاتجاه الثقافي، جاء في كتاب : مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية :

(يجب ألا يكون خلط بين منجزات الفكر هذه والانجازات التقنية المتصلة بالتقدم الصناعي المنبثق عن عقلانية لا روح فيها، لقد عارض الكتاب الرومنطيقون الالمان، بشدة متزايدة، خلال القرن التاسع عشر، الحضارة التي تعرف بالتقدم المادي المتصل بالنمو الاقتصادي والتقني بالثقافة، والثقافة هي : تعبير عن روح الشعب العميقة، كانت فكرة الثقافة الجوهرائية والتخصصية هذه على توافق تام مع التصور العرقي - الاجناسي للامة بوصفها جماعة من الناس ذوي أصل واحد، وهو تصور نما في الآن ذاته، في المانيا واستخدم كأساس لتكوين الدولة، الامة الالمانية)^١.

ومن عرض الاتجاهين الثقافي والحضاري، يتبين لنا جملة من الأمور وهي :

١- عمق التعارض المنهجي بين المسلكين في الربط بين تكوين الثقافة والرؤية الكونية، ففي المدرسة الألمانية تشكل الرؤية الكونية مصدراً للتشكيل الثقافي والسلوك، وملهماً للبناء الحضاري، بينما يكون العكس عند منظور المدرسة الفرنسية والانكليزية، حيث يتم تكييف

^١ - ديس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة : منير السعيداني، مراجعة : الطاهر لبيب، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٧ م، ط١، ص ٢٥.

الرؤية الكونية وفلسفة الحياة، على ضوء التطور الحضاري والرقى المادي، وما يفرزه هذا التطور من رؤى ثقافية تعمل على تشكيل الرؤية الكونية للمجتمع وفلسفة تمثل الغطاء الشرعي للثقافة والحضارة فيما بعد وتبررهما .

و الأمر هذا ينفعنا في رصد الممارسات الثقافية في المجتمع الحسيني وتقويمها، فما كان منها منبعثاً من الرؤية الكونية الحسينية ومنسوباً الى الله تعالى كشعائر، فهو لابد أن يكون مساوفاً للتقوى في القلوب التي تصنعها شعائر الله تعالى .

اما الفعل الحضاري القادم الينا بالطبع من الحضارات الأخرى والمستويات الثقافية المتدنية والرؤى الكونية المنحرفة فلا يمكن تنسيبه أو تطويبه برسم الشعائر الحسينية .

٢- كما يتبن لنا موقع الرؤية الكونية في أصل العلاقة مع الثقافة أو الحضارة ومحوريتها في النظرية الثقافية عامة، فالرؤية هي بمثابة المحور أو المحرك، سواء قلنا أنها تشكلت من واقع العلاقات والمصالح والرؤى الثقافية والتطور وانعكاس لكل ذلك، أم قلنا أن الرؤية هي الأساس الذي تقوم عليه الثقافة وملاحها في المجتمع، ومن ثم الحضارة المشتقة منها وانجازاتها المادية والروحية، وهذا ينفعنا في ضبط مسار الشعائر الحسينية في قربها وبعدها من اداء التقوى كروية كونية تؤمن الخلاص للمؤمنين، وبالتالي ضبط انسجامها الثقافي

والحضاري من خلال العلاقة مع التقوى التي تنبثق منها هذه الثقافة الشعائرية .

٣- كما يتبين مصدر الاختلاف والتعدد الثقافي ايضاً في المجتمع الواحد وتنوعه، هذا الاختلاف الذي قد يتسبب احياناً في اقتتال الاخوة وهلاك الملايين أو تشريدهم في طول البلاد وعرضها، بسبب اختلاف تشكيل الرؤى بشأن المصالح والانتماء، ومن هنا أكد على هذه المحورية للرؤى الكونية عديد الكتاب والباحثين في مجال البناء الثقافي وكذلك مجال التعددية : جاء في كتاب : نظرية الثقافة :

(الرؤية الكونية هي : النواة المركزية وغرفة قيادة، عمليات، أية ثقافة من الثقافات، في اطار الرؤية الكونية في المجتمعات والثقافات المختلفة، ثمة وحدة أو قواسم مشتركة من ناحية، وثمة تعددية من ناحية ثانية، وحدة الرؤى الكونية تكمن في أنها جميعاً يجب أن تجيب عن سلسلة من الاسئلة المتشابهة، الا أن تنوع هذه الاجابات واختلافها هو الذي ينتج كثرة الرؤى الكونية، ويفرز بالتالي تنوع الثقافات)^١.

ومن النص يتضح أثر الرؤية الكونية، الاعتقادية، في رسم المسار الفكري والثقافي للمجتمع الذي يحرص على مساوقة خياراته الفكرية والثقافية ويعلن التزامه بها في الاوساط العامة من خلال السلوك القولي والعملي والممارسات

^١ - محمد جواد ابو القاسمي، نظرية الثقافة، ترجمة : حيدر نجف، مركز الحضارة لتنمية الفكر

الحضارية المتنوعة وانه اثر محوري بغض النظر عن نقطة الانطلاق في بناء الرؤية الكونية .

٤- كما لابد أن تتمتع المبادئ، والمعتقدات، والأصول الأنطولوجية والمعرفية لثقافة ما، بالغنى والامتلاء الكافي والصدقية، لكي تتمكن على امتداد التاريخ من مواجهة التحديات دفاعاً عن صدقيتها، وعن تواجدها، وعن شرعيتها، وقدرتها على الاستقطاب الثقافي في الميادين الاجتماعية، وإذا لم تكن كذلك فسيكتب لها الزوال والأفول والاختفاء التدريجي، ويجب أن تترك مكانها الثقافي لرؤية كونية أخرى^١.

ومن العرض التاريخي والنصوص في المباحث السابقة، الذي كان في الواقع مقدمة من أجل تكوين تصور عن أنموذج الثقافة الاسلامي المنقسم في خياراته، بين رؤية نابعة من صميم تعاليم الاسلام، وأخرى تم تصنيعها في ضوء العلاقات الاجتماعية وصراع المصالح المساوق للحضارة الجاهلية واستمراريتها في الوجود ، في ضوء هذا التعارض المنهجي الذي ظهر بشكل تعارض بين : الثقافة والحضارة، كما لاحظناه تاريخياً في طريقة تشكيل الرؤية الكونية عند المسلمين الأوائل، في الفصل الاول، إن الاختلاف في طريقة تشكيل الرؤية الكونية هو من كان وراء الاختلاف في تحديد ملامح الأنموذج الثقافي والاجتماعي الذي يقسم المسلمين ويحدد خياراتهم حتى الآن.

ومن الكتاب العرب الذين اعترفوا بأثر هذا الانقسام المبكر في الرؤية وروح الانسجام المجتمعي وأثرهما العام على المسلمين، هو محمد عبد الجابري في كتابه : تكوين العقل الاخلاقي، فقال :

(لو رجعنا نحن أبناء القرن الواحد والعشرين، أو أبناء أي قرن آخر الى الوراء نبحت عن بداية لما عبرنا عنه أعلاه، غياب نظام واحد للقيم، لما توقفت بنا عملية الرجوع الى أن نصل الى تلك الحقبة من الزمن التي نسميها بالفتنة الكبرى، الفتنة التي اندلعت بالثورة على عثمان وانتهت بانتصار معاوية في حرب صفين، انها الفتنة التي يجمع المؤرخون أنه كان من نتائجها : انقلاب الخلافة الى ملك عضوض)^١.

وقريب من هذا المعنى ما ورد في كتاب : الخطاب الأشعري، مساهمة في دراسة العقل الاسلامي، اذ جاء فيه بشأن محورية الرؤية العقيدية وتداعيتها الثقافية على مجمل اللعبة الحضارية وفي سائر الابعاد الانسانية، ولاسيما عندما تعمل الايديولوجيا على اعادة تشكيل العقيدة، كما تتجلى في علم الكلام أو علم أصول الدين:

(في أصول الدين ومجاله يتوضح الأمر كله، وتتكشف قواعد اللعبة برمتها : فالكلام، أولاً وأساساً، نظر في العقيدة وقراءة ما للقرآن، بهدف التقنين لقواعد الاعتقاد، فهو التنظير للمذهب الذي يعلن المتكلم انتسابه اليه، وفي هذه القراءة يتم انتاج المفاهيم المحورية الكبرى التي يعمل العقل بموجبها، وينصاع لسلطتها

^١ - د . محمد عبد الجابري، نقد العقل العربي ٣ : العقل الاخلاقي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦م، ط٢، ص ٦٣٠ .

وتوجيهها وإذ يحدث هذا في علم الكلام، فإن علم الكلام يكون من العلوم الدينية كلها بمنزلة الرئيس أو العلم الكلي : فمنه تستمد باقي العلوم الدينية من : أصول الفقه، والتفسير، والحديث^١ . وهكذا يتم الانطلاق من الواقع والمصالح لرسم العقيدة .

والخلاصة :

فنحن أمام تبلور كيان مجتمعي، ثوري، مقاوم، يستمد رؤيته الفكرية أو الكونية من ثورة الإمام عليه السلام ومزاج التقوى في هذه الثورة وشعائرها برسم كونها تجسيد للقرآن الكريم الذي لا يمكن أن ينفك عن مسيرة العترة الطاهرة كمجتمع قرآني، ومن ثم يكون المجتمع المنبثق منه أيضاً، مجتمع راسخ الوجود من خلال نموذج الثقافي، فهو ليس ظاهرة عابرة تزول بزوال المؤثرات التي أسهمت في تكوين هذا النموذج ، وهذا الكيان أو العضو الثابت في الكيان المجتمعي الشيعي هو المجتمع الحسيني المقاوم لظلم الطغاة، الذي شكل النواة الصلبة لاستقطاب التشيع العام.

^١ - سعيد بن سعيد العلوي، الخطاب الاشعري، مساهمة في دراسة العقل الاسلامي، منتدى المعارف،

المبحث الثاني : الهوية

في المباحث السابقة ذكرنا جملة من الوقائع التاريخية والأحداث، وفي مقدمتها واقعة الطف، وما أعقبها من صفحة السبي التي تعرضت لها الاسرة النبوية الكريمة على أيدي جلاوزة بني أمية والتي أسهمت في تشكل الهوية الحسينية للمجتمع الحسيني، وفي هذا المبحث سنعرض للخواص والسمات المعاصرة لهذه الهوية وقدرتها على الاستقطاب والتفاعل الجدلي واعادة تشكيل الهويات الأخرى .

وقد ذكرنا عند بحث مفهوم المأسسة الاجتماعية والثقافية ضرورة الوقوف عند تلك الجينات والخصائص والشروط والمقتضيات التي أودعها الامام الحسين في تلك المأسسة الاجتماعية والثقافية التي انطوت عليها الثورة على مستوى واقعة تاريخية وعلى مستوى الحواريات والخطاب مع الآخر ولاسيما ذي النزعة الإقصائية بل الاجرامية . فكانت هذه الجينات الاصل في هذا الخلود والبقاء والانتشار والمقبولية التي تجتاح العالم رويداً رويداً وهي تحمل معها بشائر الأمل بالخلاص من العبودية ومظاهر هدر الكرامة الانسانية، يقول المفكر أنطوان بارا :

(صار الذبيح بارض كربلاء منارة لا تنطفئ لكل متطلع، باحث عن كرامته الإنسانية التي تشعره بآدميته، والتي خص بها سبحانه وتعالى خلقه بقوله : ولقد كرّمنا بي آدم، إنها عقيدة الشهداء البررة التي لا تتخضع بسراب المطامع الدنيوية، ولا ترضى بمبدأ المساومة في ميدان العقيدة، ورفض الخداع والمساومة

مقرون دوماً بالاستعداد لبذل الحياة وإطفاء شعلة النفس، إذا كان في اطفائها ما ينير شمعة تهدي السائرين على طريق الحق والعدل)^١

كذلك فان الهوية الحسينية في المجتمع الاسلامي وتغايرها عن الآخر غير الحسيني، أيضاً، لم تتشكل كدفعة واحدة، بل في مراحل عديدة من الصيرورة والتماهي، كانت جنور الانطلاقة مع الرسول الأعظم ﷺ وجهوده وكلماته بحق الحسين، وهي الاصل في تشكيل هذه الهوية، عندما قال : حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، ليؤكد وبشكل مبكر البعد الحسيني في بناء الهوية الايمانية العامة للإنسان الذي يريد الدخول في عالم الاسلام كبنية دينية في مرحلة الامتثال .

لقد طبعت الشعائر الحسينية مجمل الثقافة الحسينية عند الشيعة، وشكلت الهوية المغايرة للآخرين، من خلال هذه الشعائر وطريق ادائها يعرفون في المحافل العالمية اليوم، ف(شعائر الرثاء والألم التي تشكل نواة التدين لدى الشيعة الاثني عشرية والتي لا يمكن فهم تصوراتهم الدينية الحقيقية إلا عبرها)^٢.

^١ - د . أنطوان بارا، الحسين في الفكر المسيحي، اصدارات العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ٢٠١٢م، ط١، ص ٧٤-٧٧ .

^٢ - هاينس هالم، الشيعة، ترجمة : محمود كيبو، دار الوراق، بغداد، ٢٠١١ م، ط١، ص ١٧ .

النصوص التاريخية والأدبية والتعبير عن الرؤية الكونية والهوية .

لا يأتي الانتاج الفكري والأدبي والبحوث العلمية والتاريخية نتيجة التأمل الصرف في الفراغ، بل تكون هذه النتاجات انعكاساً لجدلية الواقع وطرائق التفكير فيه أو تأويله، تنشأ الأفكار والآداب كمعبرات عن حواضن اجتماعية ومصالح وطرائق في التفكير ومعرفة الحقيقة، وكمعبر عن تشكيل الرؤى الكونية الحاكمة على الثقافة والأخلاق والسلوك واختلافها عن الآخرين، ومن هنا يتفاعل الانتاج المعرفي بأشكاله كافة مع تنظيم المجتمع ورؤيته للحياة وموقع الانسان فيها والمعيشة والعلاقات مع الآخرين .

وفي هذا الاطار جاء الانتاج الفكري والمعرفي والأدبي ليعكس انقسام الواقع الاسلامي والعربي في تأمل الثورة الحسينية وتأويلها بحسب العلاقة مع السلطة والمذهب الفقهي والرؤية الكلامية والفلسفية وطريقة استعادة التاريخ واستنطاق النصوص وتشكيل الهوية ، بين من يؤيد هذا التحرك الثوري وينتصر له ويرى فيه المؤسس الحقيقي لمحور المقاومة في هذه الامة كالكثير من المفكرين الذين كتبوا في احياء الثورة الحسينية من موقع المنهج الوظيفي الذي يبتغي توسيع محور المقاومة الاجتماعي في وجه الاستبداد، وبين من يرى في هذه الثورة مفسدة في الدين والدنيا كابن تيمية الحراني الذي يريد أن يؤسس لعودة الدولة الاموية وحواضنها الاجتماعية بعد سقوط بغداد ونهاية العباسيين، فقتل أخيراً في سجون أهل السنة نتيجة اتهامه بالزندقة والكفر لقوله : بالتجسيم ، فيما يقع عليه اللوم من أهل التشيع بكرة وعشيا، فخسر بذلك ابن تيمية رضا الدنيا ورضا أهل الآخرة نتيجة تطاوله على قامة كبرى في تاريخ المسلمين، تطال عنان السماء في المجد والخلود،

كقامة الحسين عليه السلام، ولم يفلح في استعادة الدولة الاموية وشجرتها الخبيثة ونموذجها الثقافي الى الواقع الاسلامي حينئذ.

وهكذا أذن أثر الفكر ووظيفته في المجتمع وبناء الأنموذج الثقافي، فقد لعب الانتاج الادبي والتاريخي والعلمي - المنهجي، دوراً حيوياً ووظيفياً، مهماً، في توسيع محور المقاومة كمجتمع وحواضن ثورية، وترسيخ ثقافة التحدي في العالم الإسلامي قديماً وحديثاً، وكانت الانطلاقة الادبية والتاريخية من أرض الطف وساحة المعركة في كربلاء، ومن تلكم الشواهد القرآنية التي نطق بها الانبياء السابقون عليهم السلام والكلمات الخالدة والخطب، والتي وظفها الامام الحسين عليه السلام وصحبه الكرام في حجاجهم مع الاعداء، فمن تلك النصوص الخالدة في معركة الطف انطلق التفاعل التاريخي بين النص والمجتمع في عملية التغيير والهداية والتحول من مهادنة الظالمين الى طريق الثورة والمقاومة، وكان تحول الحر بن يزيد الرياحي الى معسكر الامام، الأنموذج الرائد في هذا المجال .

وصلّ خبر استشهاد الامام الحسين عليه السلام إلى المدينة المنورة عبر بيتين من الشعر العربي المقاوم، ذلك النص المبكر في رثاء الثوار والذي يدعو أهل المدينة بثقة الى الخروج والانتفاضة بوجه القتلة والمجرمين، لم تعرف المدينة المنورة مأساة بمثل هذه الشدة الا عند رحيل الرسول الأعظم عليه السلام، ومنذ ذلك التاريخ كتبت الأشعار والمقاتل التي تروي قصة مقتل الامام الحسين في كربلاء . وكانت الجماهير تعبر بصدق عن ولاء هذه الحواضن الاجتماعية لهذه الثورة وتاريخها المجيد في الاسلام، ورغبتها الجادة بذلك الفوز العظيم بالشهادة عند الحضور، أو في ادامة زخم المعركة اذا ما تيسر الظرف المناسب للثورة .

كانت الحاضنة الاجتماعية لا تتوقف عن الانتاج في هذا المجال من صناعة الادب والتدوين التاريخي والقصصي، وكان الانتاج نفسه يدعو الى مزيد من الانصار والداعمين لخط المقاومة الحسيني، ولم تستطع الحكومات المتتالية من وقف هذا التفاعل والجدلية بين النص وثقيف المجتمع على المعارضة الهادفة والملتزمة بالخط الحسيني .

كما لم تستطع الحكومات المتعاقبة ولا انصارها ولا حواضنها المعادية لخط الثورة الحسينية من تفعيل خطوط الانتاج الادبي أو التاريخي المناهض للثورة الحسينية، سوى تلك المقولات البائسة التي اتهمت الامام بالخروج الباطل ضد الحكم الاموي أو أنكرت جرائم الامويين بحق العترة الطاهرة، من قبيل انكار سبي حرائر الرسول الاعظم ﷺ الى بلاد الشام، كما ظلت تتهم نفس الشيعة بقتل الامام الحسين، وفي إطار من التوجهات المخططة لإحياء الفكر الاموي وكذلك للفصل بين الشيعة والائمة، واعتبار أن الشيعة هم اعداء لائمة أهل البيت، ومن ابرز من اسس لهذا النمط من التأليف هو: القاضي ابي بكر بن عربي (ت ٥٤٣ هجري) وابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨ هجري)، وابن كثير (ت ٧٧٤ هجري)، وابن خلدون (ت ٨٠٨ هجري)، وسار على نهجهم المعادي للعترة الطاهرة جملة من الكتاب العرب قديما وحديثاً، وهي كتابات وظيفية لتعزيز فكر النواصب واعداء اهل البيت وترسيخ سلطاتهم وتوجهاتهم في الهيمنة على اتباعهم من المضللين ولا سيما بعد نشوء الدولة السعودية- الوهابية الحديثة، كامتداد للتحالف اليهودي _ الاموي.

في الزمن الحديث والمعاصر شهد الانتاج في مجال انتاج الادبيات الحسينية تطوراً لكي يشمل فنوناً غير البحوث العلمية، كالرواية والمسرحية

والشعر الحر، وتعدّ هذه الادبيات من أنشطة المقاومة للظالمين والمفسدين، وذات وظيفة اعلامية لترسيخ ثقافة التحدي في محور المقاومة والتوسع بهذا المحور.

وفي المقابل تتم استعادة أفكار ابن تيمية واضرابه من النواصب، من قبل مرتزقة أو جمهور (داعش) الارهابي، من الذين صرحوا في كلماتهم على مواقع الأنترنت، بأنهم مع منهج يزيد بن معاوية، وليس مع الامام الحسين ومنهجه، وأن ابن معاوية هو مثلهم الاعلى في ادارة الحياة والدولة ، وان الدولة الاموية في نسختها الدموية، هي الأئمة الذي تسير عليه دولة الخلافة المزعومة، المعاصرة جداً، في العراق وبلاد الشام، ومن هذه الادبيات والأفكار والتجارب التراثية، استلهموا كل انماط الجرائم التي ارتكبوها في غزوة العاشر من حزيران على مدينة الموصل العراقية وما حولها من النواحي .

وفي ضوء هذا المسلك والسير من الواقع الى بناء الرؤية الكونية سنلاحظ بأذن الله تعالى، كيف تم بناء الرؤية المخالفة للمنهج الحسيني في الفكر والثقافة الاسلامية، ولماذا جاء الخطاب الأشعري، كرؤية كونية معادية لمنهج الامام المعصوم، وفي جميع مراحل انتاج هذا الخطاب، مغشوشاً بالواقع السياسي ومعبراً عن مصالح الاسرة الحاكمة، ولا يستحي الغزالي عندما يكتب في علم الكلام وبناء الرؤية الاعتقادية للمسلمين، من ذكرها والاصحار بها في معرض الاشادة بالسلطان .

المبحث الثالث: الذاكرة

الذاكرة هذا هو العنصر الثالث من عناصر الأنموذج الثقافي ومفرداته الاساسية كما تم ترسيمه في هذه الدراسة، وقد اكتسبت بحوث الذاكرة أهمية محورية في الدراسات التاريخية والسياسية والاعلامية والاجتماعية والبحوث الثقافية المعاصرة وعموم السرديات، وذلك لأسباب عديدة من أهمها ارتباط دراسة الذاكرة بالتاريخ والهوية والرأي العام وإدارة التراكم المعرفي والعلمي والثقافي من اجل الابداع والاضافة المعرفية ومكافحة النسيان، الذاكرة اساس بناء العزم والارادة والتقوى والعقل عند الانسان .

اما في مجال المجتمع الحسيني وذاكرته، فيكفي أن نسمع في المجتمع الحسيني شعار المؤمنين الأثير في كل زمان : أبد والله يا زهراء ما ننسى حسيناه، وهذا اعلان صريح عن الحضور المركزي للذاكرة، واستمرار القضية الحسينية في الذاكرة الاجتماعية ودورها المحوري في رسم هوية المجتمع الحسيني وتميزه في العالم الاسلامي .

في المجتمع الحسيني، تتدرج الذكريات من جيل الى جيل، منذ وقوع المأساة حتى اليوم، ذاكرة التحدي عند الثوار، وذاكرة الاصرار على الحرية، وذاكرة البطولات، وذاكرة النذالة والجبن في صفوف الاعداء، والجرأة على الله تعالى والحرمات، فمن هذا التاريخ تأتي الذاكرة، ومن الذاكرة الحية تصنع الهوية ومن ثم مسارات السلوك اليومي الذي يغذي الذاكرة من جديد ويشحنها بجديد

الذكريات، وبذلك تتشكل حتمية التاريخ الذي يتدرج في الازهان عبر الاجيال فيحافظ على حيوية القضية والحفاظ عليها بعيداً عن النسيان.

ومن شواهد الذاكرة في الأنموذج الثقافي الحسيني، ايضاً، ذاكرة الكرامات والمعجزات العميقة التأثير في الاوساط الشعبية والنخبوية والعلماء على حدّ سواء، وهي في قمة الذكريات الحسينية التي لا تنسى من الازهان ولا تختفي من الذاكرة تلك القصص التي وصفها بعض العارفين بالقصص العجيبة، والتي تحكي مشاهد الحضور المقدس للإمام الحسين عليه السلام في مواقف الشدائد والملمات التي تحلّ بساحات المؤمنين والمحبين والضعفاء والمحتاجين للمساعدة في هذا العالم المتوحش، تعمل هذه القصص على تقوية الايمان بالغيب وترغب القلوب بالعالم الاعلى والتوجه الى حضرة الخالق^١.

بعض هذه الذكريات من قصص التاريخ ومذكرات الذين كتبوا ودونوا هذه المشاهد العجيبة وسردوها، وأخرى قصص طازجة في عصرنا الراهن لأشخاص معروفين على مواقع الانترنت الاجتماعية وغيرها، يرويها هؤلاء الاشخاص الاحياء ممن وقعت لهم هذه القصص وكانوا بمثابة الابطال فيها . كقصّة الدكتور الصيدلاني الفلسطيني يوسف يوسف (عافاه الله) وهي قصة موثقة في ارقى مستشفيات القاهرة لعلاج السرطان وبشهادة كبار الاطباء المصريين .

هذه القصص، بالطبع، أقضت مضاجع المبغضين للمجتمع الحسيني، فراح يتهم الشيعة بالترويج لمذهبهم بالخرافات والاساطير ويدعو للانتقام منهم بكل

١ - السيد عبد الحسين دستغيب، القصص العجيبة، دار البلاغة، بيروت، ٢٠٠٨م، ط٦، ص٧

الاساليب، مع أن القصة في الواقع هي بين هذا الرجل الفلسطيني المريض والامام الحسين عليه السلام ولا دخل ولا ذنب ولا حضور للشيعه في شفاء هذا الرجل، وكذلك قصة أخرى لأمرأة مريضة من امريكا اللاتينية، وهي هندية حمراء، تم عرضها من على شاشات الفضائيات، تروي معجزة حصولها على بركات الامام عليه السلام، في الرؤيا، والشفاء من المرض الخبيث .

هنالك ذاكرة الرؤى والاحلام، وذاكرة النكات واللطائف والمشكلات التي تقع للزائرين، وذاكرة الحوادث والمآسي والاعتقالات على الطريق في ازمة حكم الطغاة، و ذاكرة مواقف الصراف للأموال والانفاق بسخاء في خدمة الزائرين والعناية بهم، والرحلات الرمضانية قبل الافطار وذكرىات الطريق الصحراوي الى كربلاء، و هنالك ذاكرة استغلال الزيارة للتخريب والفساد، إذ تعد التجمعات الكبيرة والحشود الهائلة فرصة لذوي النفوس الضعيفة وذوي الامراض النفسية والمنحرفين يمكن الاستفادة منها لارتكاب اعمالهم الشريرة والافلات في وسط الزحمة والاختباء من الملاحقة والمطاردة، وهنالك ذاكرة المستبصرين، بالقضية الحسينية ونموذجها الثقافي.

وهنا لابد من الوقوف قليلاً عند حضور المسألة الحسينية المعرفي الكبير في ذاكرة المستبصرين والمتحولين الى الأخذ بطريق أهل البيت عليه السلام، فهي المنار والفنار والدليل الهادي للضائعين والتائهين في متاهات الرؤية الكونية والعقائدية، ومن أضلوا السبيل بسبب سياسات التضليل والتعتيم والترهيب والترغيب التي ما انفكت في عصر ما، عن ملازمة سلوكيات الظلمة وحكام الجور من اعداء العترة الطاهرة واعداء شيعة أهل البيت ومحبيهم، حيث يعمل أعداء العترة الطاهرة على

تضليل العالم بشكل تتواضع معه امكانات القوى الشيطانية الكبرى وتتعرف بعجزها عن مجاراتهم ولا سيما بعد توفر اموال النفط والغاز بين أيديهم.

من يراجع هذه المذكرات الادبية والعلمية الرائعة للمتحولين يقف على معلومات ومعارف تشهد بأن الله تعالى يعلم حيث يجعل رسالته، إذ لا تزال رواقد الهداية وينابيعها تتدفق على هذه الامة المرحومة ببركة هذا الحضور المقدس للعترة الطاهرة في هذا الوجود الكبير والغامض والمترامي المشكلات والضلالات . فقد كتب المفكر الاسلامي عبد المنعم السوداني في كتابه : (بنور فاطمة اهتديت) ^١ ، يقول :

قضية الحسين عليه السلام من أولى القضايا التي أخذت مساحة من دواخلي وعمقت جرحاً أحسست به منذ اللحظة الأولى التي بدأت فيها الحقائق تتكشف مزيجة جهلاً ووهماً كنا نعيشه بإيعاز وتخطيط ذكي من أولئك الذين حرفوا الحقائق وفقاً لأهوائهم ورغباتهم، وبتنا نحن نعيش في قصور من زجاج نحلم بأن يعيد التاريخ نفسه لنعيش الحياة المعصومة التي كان يعيشها الصحابة والرعيّل الأول من التابعين الذين عاشوا في صدر الإسلام، ولا ننسى دور علمائنا الذين ظلوا يرددون ما وجدوه في التاريخ دون نظر وتحليل لما جرى فيه .

وقضية الحسين عليه السلام من القضايا التي اراد أعداء الاسلام أن لا تبرز للناس لأنها تمثل حلقة من حلقات الصراع بين الحق والباطل وتعتبر من أنصع صفحات التأريخ في قضية الجهاد والتضحية في سبيل رسالة السماء .

١ - عبد المنعم حسن، بنور فاطمة اهتديت، دار المعروف، قم ، ١٩٩٨م، ط١، ص١٩٣.

كثيراً ما كنت أسمع في مجتمعي السوداني أن فلاناً : مظلوم كظلم الحسن والحسين . ولكن من ظلمهم وكيف ؟ . وما هو أساس ذلك الظلم ؟ . وهل الحسن والحسين من الشخصيات الهامشية في الاسلام حتى لا نقف عند ما جرى لهم من هذه الأمة التي لم تحفظ النبي فيهم ؟ .

غاية ما تعلمناه في مدارسنا أنه كانت هنالك مذبة كربلاء بطلها الحسين بن علي بدون ذكر الاسباب أو النتائج، ويبدو أن أهل السنة والجماعة لديهم قناعة بفتوى شريح القاضي : الحسين خرج عن حده فليقتل بسيف جده، أو أنهم يدفنون رؤوسهم في الرمال حياء مما فعله سلفهم الصالح في أهل بيت النبي ﷺ .

أما مع المفكر الاسلامي الكبير الدكتور إدريس هاني وكتابه : لقد شيعني الحسين ﷺ، فإن الذكريات تتحول ليس الى رؤية كونية جديدة للوجود، بل الى ثورة عارمة بوجه الرؤى البائسة في والمزيفة في تاريخ الوجود الاسلامي وفكره، حيث يقول :

ما أن خلصت من قراءة مذبة كربلاء بتفاصيلها المأساوية، حتى قامت كربلاء في نفسي وفكري ومن هنا بدأت نقطة الثورة، الثورة على كل مفاهيمي ومسلماتي الموروثة، ثورة الحسين داخل روحي وعقلي ...وما أن أقرأ عن تفاصيل كربلاء حتى تأخذني الجذبة بعيداً، والحسين ألفاه لديها قد تربع بدمائه الطاهرة، فباليتمني كنت معه، فأفوز فوزاً عظيماً وفي تلك الجذبة هناك من يفهمني، وقد لا

يفهمني من لا يرى للجريمة التاريخية وقعاً في نفسه وفي مجريات الاحداث التي
تلتحقها.^١

١ - الصحافي المغربي : ادريس هاني، لقد شيعني الحسين ﷺ ، انتشارات الاعتصام، ص ٣١٣ .

المبحث الرابع : المحاكاة:

مارست الثورة الحسينية بكل تفصيلاتها البطولية والمأساوية، التعليم بالمحاكاة للمسلمين، بعد أن قدم الامام الحسين عليه السلام الانموذج الثوري والبطولي الذي صار نبراساً تهتدي به الاجيال في التصدي للظلمة والمنحرفين الذين يريدون استعباد الناس، فاندلعت الثورات الواحدة تلو الأخرى، وانهارت مشاريع الاستكبارين بفضل الثقافة الحسينية ورسوخها في المجتمع الاسلامي، انهار المشروع الاموي والمشروع العثماني، الجديد منه والقديم، والمشروع الصدامي في طمس معالم القضية الحسينية ومحاربة ثقافتها . كما انهار المشروع الامريكي في ايران، وفي العراق، واخيراً انهار المشروع الارهابي الذي تبلور في اقبية مخابرات : دول الخليج، وتركيا، والاردن، واسرائيل وبدعم من امريكا وشركات السلاح والعتاد، وبدعم بعض الاحزاب والقوى اللبنانية والكردية والعراقية، وكل هذه القوى قد هزمت بفضل الثقافة الحسينية، وصمود المشروع الحسيني بوجه الظالمين .

إن التعليم الثقافي يواصل ادامة الفعل الثقافي في المجتمع من جيل الى جيل بالتعلم بالمحاكاة، التعلم الذي يوجد في المركز من التربية الذاتية، والذي يتوجه إلى الناس الآخرين وإلى الجماعات الاجتماعية وإلى الكنوز الثقافية فيضمن حيويتها، إن التعليم المحاكي تعلم حسي لا سيما عند الطفولة الجسدية أو الفكرية، يستند الى الجسد ويتعلم في الصور والخطاطات وحركات الفعل العملي، وهو يتحقق بصورة غير واعية الى حد كبير، حتى قيل أن ما من ممارسة ثقافية عامة الا وأصلها المحاكاة واعادة الانتاج والتقليد .ولهذه العلة بالذات فهو ينتج تأثيرات دائمة تؤدي

دوراً معتبراً في مجالات تطوير الثقافة عند الناس، ومن أبرز مصاديق المحاكاة في مجال الثقافة هو الأداء الشعائري :

(إن عمليات المحاكاة، والتي تؤدي في تشكيل متساوق ومتوالٍ، تؤدي دوراً مهماً في نجاح الفعل الشعائري ، فخلال عرض الشعائر يرتبط المشاركون فيها في نفس اللحظة ومباشرة بأفعال المشاركين الآخرين فيها، ويحصل ذلك جوهرياً بصورة محاكية عن طريق الحواس وحركات الجسد والعلاقة المشتركة بالكلمات والنغمات واللغة والموسيقى، ... إن عمليات المحاكاة ينتج عنها توسيع أفق الأشخاص الذين يسلكون سلوكاً يحاكي الممارسة الشعائرية، وتؤدي هذه الحالة إلى انتاج مماثلة مع الافعال المشعرية، فتؤدي خلالها جسديتهم وطابعهم الانشائي دوراً مهماً، وفي هذه العمليات المحاكية تتجسد التشكيلات الشعائرية والمناظر وسلاسل الأحداث والصور ونماذج الفعل، وهي بمقتضيات أخرى تمكن من صوغ كفاءة الأشخاص في الممارسة المشعرية.)^١

الشعائر أو الرموز أو العمل القدوة، أو الأسوة الحسنة أو المثال والأنموذج، كل هذه المفاهيم يمكن تشكل حقل دلالي واحد في مجال ثقافة المحاكاة، وتعدّ المحاكاة للفعل الرمزي أو الشعائري من الركائز الأساسية في ديمومة النماذج الثقافية الاجتماعية أو انتشارها وانتقالها من وسط اجتماعي الى آخر، وكل ممارسة اجتماعية، ثقافية، مشتركة، كشعائر عامة، إنما تعكس قدرة كامنة على استعادة المثال والمحافظة عليه، ومع الأداء الفعلي والمشاركة في هذا الأداء يتحقق المعنى

١ - د . كريستوف فولف، علم الأناسة : التاريخ والثقافة والفلسفة . ترجمة : د . أبي يعرب المرزوقي، دار كلمة، ٢٠٠٩م، ط ١ ص ٣٠٥.

المنشود من الممارسة وكذلك التواصل مع الوسط الاجتماعي و التفاعل والتأثير في ذات المجال .

ومن أهم جوانب المحاكاة كمنهج تعليمي وثقافي يحافظ على قيم المجتمع وثقافته ورؤيته الكونية هو : منهج الشعائر، أو تكرار الفعل الثقافي الرمزي، الذي يستعيد فكرة مرتبطة بالدين ويحاول من اعلاء شأنها، كما في مجال أفعال الحج والعمرة التي تجري بمشاركة الملايين من المسلمين سنوياً .

ولا ريب أن هنالك بنية من الشعائر الحسينية تتولى الحوزات العلمية الشيعية فيها بالدرجة الاولى الجانب التنظيري والاعلامي والتعليم والدراسة الفقهية والتثقيف على ضرورتها في مجال حفظ الدين بشكل عام والقضية الحسينية وثقافتها بشكل خاص والأهم مساهمتها في بناء عمق التقوى، لان محاكاة الشعائر من موقع التعظيم وبناء التقوى، فالشعائر هي من عوامل المهمة في ترسيخ تقوى القلوب كما يؤكد القرآن الكريم، ولكي تكون لها هذه السمات والخصائص في التربية يشترط العلماء، كما يذكر السيد الحجة آية الله السيد علي الموسوي السبزواري :

(إننا لو انعمنا النظر في الآية الكريمة : ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القوب . مع قطع النظر عن الادلة الأخرى واقوال العلماء في تفسيرها بحد ذاتها تبين ثوابت تعظيم شعائر الله واسسه واهمها امران : اولاً، كون الشعائر من العلامات التي لها قابلية الانتساب الى الله سبحانه، حتى ينطبق كونها شعائر الله يتقرب بها اليه سبحانه، وبدونه لا تكون شعائر الله، الثاني : ان تصدر عن قلوب خالصة وتشعر عن خلوصها من الشوائب، وتنبئ عن تقوى قلوب من يقيم الشعائر

وسلامتها عما يشينها، فان تقوى القب العنصر الوحيد في قبول الاعمال، مطلقاً، كما قال عز وجل، انما يتقبل الله من المتقين، فاذا توفر في الشعائر هذان الامران، كانت من شعائر الله عز وجل، وترتبت عليها اعظم الآثار، من ترويج الدين والتقرب الى الله عز وجل ونيل الثواب الجزيل، وغير ذلك، ومما ذكرنا يعرف المؤمن مصاديق شعائر، وعلى المؤمنين، دامت توفيقاتهم التوجه الى هذا الجانب المهم من شعائر الله عز وجل، فلا يصفوا الى كل ناطق لكي لا يخاطبوا يوم انجلاء الحقائق وكشفها بالخطاب الربوبي : يحسبون انهم يحسنون صنعا^١ .

فتكون من وظائف الشعائر الدينية كما هو واضح، بناء الانسان المؤمن، وصولاً الى بناء المجتمع، حيث، تؤدي دور التربية عن طريق المحاكاة، والإعلام للثقافة الاسلامية والبث الديني والإعلاء لشأن هذه الثقافة في المجتمع، ومن نتائجها الواضحة المحافظة على الهوية الدينية في بيئة المسلمين، لأنه لولا الشعائر فإن الدين سوف ينكفى شيئاً فشيئاً، وتتغير المفاهيم الدينية، بل تنقلب رأساً على عقب بالتراجع التدريجي، وتصبح منكوسة الراية، بدلاً من أن تكون مرفوعة عالية مرفرفة .

ومن الدراسات المهمة والجامعة في هذا المجال، كتاب: (الشعائر الحسينية) للمحقق الشيخ محمد السند، والكتاب يقع في جزأين، الاول : الشعائر الحسينية، بين الاصاله والتجديد، والجزء الثاني : الشعائر الحسينية، فقه وموضوعات، وتأتي أهمية هذا الكتاب من أهمية موضوع الشعائر بالنسبة للفرد

١ - النص في جواب استفتاء، وهو صادر عن مكتب سماحة اية الله السيد علي الموسوي السبزواري (دام ظله) .

والمجتمع بشكل عام، والشعائر الدينية بشكل خاص، وكذلك أهمية الشعائر الحسينية في المجتمع الشيعي الامامي بشكل أخص، كما تأتي أهمية الكتاب من منهج المؤلف العلمي في معالجة هذا الموضوع الانساني والاجتماعي وطريقة تناوله لأبعاده التاريخية والوظيفية والجدلية و الإشكالية، فهو منهج جامع بين الحجاج الكلامي والتخريج الفقهي والاستنباط الاصولي، وبذلك يمثل اضافة معرفية مهمة في دراسة موضوع الشعائر^١.

وموضوع الشعائر يكاد أن يكون من الموضوعات المركزية في كل ميادين الحياة اليومية، كما يؤكد البروفسور كريستوف فولف في كتابه : (علم الأناسة والثقافة والفلسفة) ، ولا يمكن الاستغناء عنه في ترسيم معالم الدين والسياسة والاقتصاد والعلم والأسرة والمدرسة، ذلك أنه بفضل الشعائر يتم تكوين الفروق والغيرية وإنتاج الجماعة والعلاقات الاجتماعية كما بفضل الشعائر تنتظم العلاقات البشرية وتوؤل، إن الشعائر تصل التاريخ والحاضر والمستقبل، إنها تجعل التواصل والتغيير ممكنين، وكذلك التجارب والتجاوز والتعالي^٢.

لقد ارتبط البحث المعاصر في موضوع الشعائر، ولاسيما في أزمنة ما بعد الحداثة ببروز الهويات الفرعية والهامشية والمستبعدة في وجودها وفي شعائرها، تلك

١ - المحقق الشيخ محمد السند، الشعائر الحسينية، بين الاصاله والتجديد، تقرير : رياض الموسوي، ج١، دار الأميرة، بيروت، ٢٠١١ م، ط١، ص ١٨٧.

٢ - د . كريستوف فولف، علم الأناسة : التاريخ والثقافة والفلسفة . ترجمة : د . أبي يعرب المرزوقي، دار كلمة، ٢٠٠٩ م، ط١، ص ٢٨٠ .

الشعائر المعبرة عن رؤاها الكونية وأفكارها الدينية والسياسية والاجتماعية، فمن خلال الشعائر يتم تمثيل هذه الرؤى والايديولوجيا واعادة انتاجها .

كما أرتبط هذا البحث الحيوي أي الشعائر، بمسائل التاريخ والذاكرة والهوية والثقافة ومجمل فلسفة الحياة والحضارة والتقدم، وهي حقول بحثية معاصرة في غاية الأهمية والخطورة والتأثير في مسار الأمم والشعوب وقضاياها الاساسية كالحرب والسلام الدوليين، ومشكلات الارهاب والحرب عليه، وكذلك مسائل العولمة والتخلف الاقتصادي والتنمية الشاملة والعلاقات الدولية والاقليمية .

تكتسب الشعائر الدينية في الاسلام عامة، والشعائر الحسينية خاصة أهمية قصوى وذلك لارتباط هذه الشعائر بالتعبير عن الرؤى الفلسفية والكلامية للإسلام، وكذلك ارتباطها بالمسائل الفقهية والاخلاقية ومقاصد الشريعة السمحاء في بناء عنصر التقوى، والأهم في الموضوع هو طريقة تبليغ هذه الرؤى والأفكار والثقافة للناس كافة وبما يحقق مقبوليتها عن طريق ممارسة الشعائر وعلى وفق الاساليب الحضارية والعقلانية السائدة في العالم القديم والمعاصر .

من هنا كتب الكثير من البحوث في موضوع الشعائر الدينية عامة والشعائر الحسينية خاصة ولاسيما من قبل علماء الشيعة، سواء في إطار المنهج التاريخي والبحث في تاريخ هذه الشعائر وتكوينها وتحولاتها عبر الزمان وتطورها التاريخي، أم في إطار المنهج الوظيفي والبحث في أهداف هذه الشعائر وفلسفتها في حفظ الدين والشريعة بين الناس وتربية الاجيال واشاعة الاخلاق والتقوى، أم في اطار المنهج البنيوي ودراسة الأجزاء والمكونات، والوقوف على انماط هذه الشعائر

الزمنية والمكانية ومكوناتها وطرائق الاداء لها، ومواردها في الحياة اليومية واختلافها من مكان الى آخر .

ومن أهم ما كتب في موضوع الشعائر وأدبيتها، هو الدفاع الكلامي عن هذه الشعائر و الوقوف على الجوانب الإشكالية في ممارستها أو المقبولية لها كمعبر عن معتقدات، ولا يخفى في هذا المجال حصول جدل كبير بين فرق المسلمين بشأن مسائل المشروعية أو عدمها في أنماط كثيرة من هذه الشعائر ولاسيما المستحدثة منها، وهو جدل قديم ارتبط بمسألة البدع والانحراف عن الدين، كما يظهر من كلمات المتتبعين لهذا الموضوع، كما ارتبط بالتوظيف السياسي وبمحاكمة السلوك اليومي للأفراد والجماعات، وأحدث شرخاً هائلاً في صفوف ابناء هذه الامة، مما أثر في مسارها التاريخي والنهضوي، الأمر الذي اتضح جلياً مع الموقف السلبي التكفيري للوهابية من هذه الشعائر وطمس معالمها وكل ما يتعلق بآثار المسلمين الاوائل المادية، كالبيت الذي ولد فيه النبي الاكرم ﷺ، ثم ظهور الجماعات التكفيرية المسلحة في الزمن الراهن وما ترتب عليه من أعمال إجرامية تحت ذريعة تكفير من يمارسون هذه الشعائر، وقد أفاد الاعداء كثيراً في تمزيق وحدة الصف الاسلامي من هذه التوجهات السلبية في النظر الى الشعائر.

وصف المحقق الحجة الشيخ السند الشعائر الدينية الاسلامية عامة والحسينية خاصة، بأنها : بوتقة لتربية المجتمع المسلم على المعارف الالهية والأحكام والآداب الشرعية، فهي العقيدة المتجسدة، والأدب المتمثل، وأنها ذلك السلوك الاجتماعي القائم على مناهج الهدى، ومن أجل هذا حرص التشريع الاسلامي

على تعظيمها وإحيائها وإقامتها ونشرها بالأشكال والاساليب المتعددة لتسري في غالب سيرة الأفراد والجماعات .

وفي كتابه هذا، يجد القارئ تتبعاً علمياً دقيقاً لموضوع الشعائر على وفق المنهج الاستنباطي كما هو عند الفقهاء و الاصوليين، وبحثاً أنيقاً في أكثر من جانب حيوي من جوانب هذا الموضوع الواسع والمركزي والخطير، وهو موضوع بات يؤثر بشكل واضح في واقع المجتمع الشيعي الامامي وحياته اليومية المرتبطة بالدين في أكثر من مجال، ولاسيما في بلدان اسلامية كثيرة : كالعراق وايران ولبنان وباكستان ودول الخليج العربية واليمن .

كما بات هذا الموضوع مؤثراً في طريقة المجتمع الشيعي في ايصال رسالته الانسانية الى الآخرين وأسلوب تبليغها، وذلك عن طريق التمسك بالشعائر الحسينية و استدامة ممارستها، والدفاع عنها أمام الخصوم من الناقدين والمشككين بكل الوسائل الفكرية والثقافية، والانتماء لهذه الشعائر بحرارة وعشق من خلال حث الآخرين وتشجيعهم على الانخراط في إحيائها، وبالتالي إدامة زخمها السنوي حتى وصلت أعداد المشاركين في الزيارة الأربعينية للإمام الحسين (عليه السلام)، كشعيرة من الشعائر الحسينية، على سبيل المثال، الى ما يقرب من ثمانية عشر مليون مشارك في اداء الزيارة لعام ١٤٣٥ الهجري، ومن هنا يتضح أهمية هذه الدراسة العلمية الوافية، وفي هذه الظروف من حياة الامة الاسلامية عامة والمجتمع العربي خاصة.

المبحث الخامس : الخطاب أو اللغة :

يعد الإنتاج اللغوي والتداول الرمزي في مجال التواصل الاجتماعي من أجل صور الانتاج الثقافي عند الشعوب لأغراض التواصل وتحقيق الاعتراف والتمجيد وصناعة الأدب والتعليم والتربية، ولاريب أن الفعل الثقافي وممارسته تعكس بنية لغوية أو رمزية ومستوى ما من الخطاب ^١ .

ونمو هذا المجال الرمزي وتطوره، هو دليل كبير على الحيوية والتواصل البناء ووجود التقويم المستمر للفعل الثقافي والمكافأة على الابداع والاحترام والتقدير للإضافة المنسجمة مع التطور الثقافي والحضاري والموائمة للرؤية الكونية التي تنطلق منها الثقافة المحلية للمساهمة في الكونية .

جاء في معجم العلوم الاجتماعية : (تعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية تتوافر فيها خصائص الظواهر الاجتماعية، وهي لذلك تتأثر في جميع مناحيها بجميع ظواهر الحياة الاجتماعية كما تؤثر بدورها في هذه الظواهر) ^٢ .

ولا ريب أن اللغة وجملة الرموز الموظفة في المجتمع أنما تعكس الرؤية الكونية لهذا المجتمع ودرجة الرقي الحضاري والثقافي التي بلغها في عملية التواصل

١ - الخطاب : كمجال هو اوسع من مجال النص أو سلسلة من الأفعال الكلامية، كما يعدّ نوعاً من تنظيم المعرفة من خلال : الكلام أو الممارسات الحركية، أو أية اشارات دلالية الأخرى، ومنها شكل المؤسسات وطريقة تنظيمها، السندرو دورانتي، الانثروبولوجيا اللسانية، ترجمة : فرانك درويش، مراجعة : قاسم البرسيم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٣م، ص ٣٨.

٢ - علي عبد الواحد وافي مع نخبة من الباحثين، معجم العلوم الاجتماعية، مراجعة وتصدير : إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ط١، مادة لغة .

الاجتماعي في مختلف المجالات، وقدرته على الأداء والتوظيف أو استنباط الدلالات العميقة والمعاني السامية في الحياة المشتركة بين الأفراد والمجموعات، وأي سياسة تطويرية أو تنمية للمجتمع والثقافة بما في ذلك المجتمع الحسيني وحواضن الثقافة الحسينية، لا تبدأ من الترقى اللغوي والاصطلاحي وضبط المفاهيم والوعي بها، ودلالات الرموز المختلفة، إنما تكون سياسة غير مضبوطة المداخل والنتائج.

- الخطاب الحسيني في بعده التداولي:

البعد التداولي للخطاب الحسيني (الا من ناصر ينصرني)، يشكل مورداً اساسياً من موارد بناء الأنموذج الثقافي الحسيني على مر الاجيال، لأنه، ومنذ واقعة الطف، كان يشكل انموذج القوة الانجازية أو التربوية للحدث أو النص في إعادة بناء الإرادة وتوجيه السلوك باتجاهات الحفاظ على الكرامة الانسانية امام الاستنزاف الذي تتعرض له بفعل السياسات الطاغوتية والشيطانية القائمة على اسس هي : الترغيب والترهيب والتضليل والتعتيم . تلك السياسات التي ابدع معاوية في تنفيذها .

يقوم هذا الأنموذج على اساس المقاربة التداولية المعروفة في اللغة والتي تنص على قدرة الكلام على توجيه السلوك، وبالتالي هي مقاربة تقوم على أساس الفهم التواصلي مع الثورة، وذلك من أجل استكمالها والجري طبقاً لمقرراتها، فالثورة في ضوء الفهم التداولي تصبح كفعل الأمر الذي لا بد من تنفيذه من أجل اسقاط التكليف الذي تعلق بذمة المكلف الثائر، وليس المعنى هنا مجرد دلالات أو مضامين لحدث عابر أو نص أدبي كشف عن واقع معين دون أن يفرض على المكشوف له مهمة التغيير، وإنما هو : انجازات تتطلب الاستكمال والتواصل معها :

(وترمي الى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية بالكلمات، والتأثير في المخاطب : بحمله على فعل أو تركه أو دعوته إلى ذلك، أو تقرير حكم من الأحكام، أو توكيده، أو التشكيك فيه، أو نفيه، أو وعد المتكلم للمخاطب، أو وعيده، أو سؤاله واستخباره عن شيء)^١.

فمن منظور الأنموذج التداولي لا تكون الثورة الحسينية ونصوصها مجرد حدث أو الفاظ، يمكن أن نتواصل معها في حدود فهم المعنى وضبط الدلالات، كما هي حدود الفهم عند الأنموذج الوظيفي، أو رموزاً للتعبير عن الفكر والمقاصد الثورية كما يتصورها الأنموذج التوليدي ، وإنما هي (أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه والتأثير فيه)^٢.

كان صوت الإمام المعصوم يدوي في صحراء كربلاء : الامن ناصر ينصرني، الا من ناصر ينصر دين الله، قد بلغ الفتح، كصوت جده ابراهيم عليه السلام، عندما أذن بالحج في جرود مكة المقفرة والخالية من السكان في حينها، وأفهم الأمة وظيفتها الشرعية وتكليفها الإلهي أو ما ينبغي عليها القيام به من أجل التغيير واستعادة الهداية في أوساط الامة جميعاً، والحفاظ على كرامتها وحريتها وإسلامها، امام تجبر الطواغيت وانصارهم من الجهلة وشذاذ الأفاق والمنافقين .

لقد اصبحنا اليوم وبعد مرور أكثر من الف وثلاثمائة عام، امام بنية من خطاب حسيني متكامل من مختلف الرموز والكلمات والصور والإشارات، أو هو لغة

^١ - د، مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥، ط١، ص ١١.

^٢ - المصدر نفسه والصفحة .

حسينية واسعة الطيف من الرموز التي تؤثر الانتظام في السلك الحسيني ومجتمعه وثقافته، والتواصل مع هذا المجتمع من خلال الانخراط في إعادة إنتاج الأفعال الشعائرية والمراسيم مع الجموع ومحركاتها، في مجال الكلمة والأدب وفي مجال الصورة والملابس والأشرطة والعلامات والألوان، وفي مجال الرايات والأعلام والخطوط والزخارف، وفي مجال تصنيع واعداد أنماط من الطعام والشراب، فمما السبيل برسم تذكر عطش الحسين عليه السلام، تجده في مكان في شوارع وأزقة العراق، وفي مجال الشعارات والهتافات والانشيد والألحان والايقاعات، بل حتى الأماكن العبادية من المساجد والحسينيات والساحات العامة والحدائق، وكذلك الأبنية والدروب والطرق التي باتت جميعاً ترمز الى القضية الحسينية وخطابها وأسماء من الخطباء المبدعين والفنانين والشعراء ممن ارتبط اسمه بهذا الخطاب.

بشكل أو بآخر اضحت الرموز الحسينية خارج السيطرة في عالم من الاتصالات الشبكية غير المحدودة، والتواصل الحديث والتراكمي بين أجزاء المعمورة، الأمر الذي يمهد لوجود أدب عالمي عابر لحدود الهيمنة والتسليع الثقافي، ثقافة مقاومة إنسانية قادرة على جعل الأدب عالمياً كما يريد هومي . ك . بابا في كتابه: موقع الثقافة :

(إذا ما كان سعيها هو : أن نجعل الأدب عالمياً، فلعل ذلك يكمن في فعل نقدي يحاول التقاط خفة اليد التي يبيدها الأدب في تلاعبه بالخصوصية التاريخية، مستخدماً ما هو سام ومصعد فنحن كمخلوقات أدبية وحيوانات سياسية

يفترض بنا أن نعنّى بفهم الفعل الانساني والعالم الاجتماعي على أنهما تلك اللحظة التي يكون فيها شيء ما خارج السيطرة، لكنه ليس خارج الاستيعاب (١).

ومن مجموع هذه البنية الدالة على تكريس فعل المقاومة وثقافتها، يمكن للكثير من الشعوب استلهام روح التصدي لتلك الغطرسة والجموح الاستكبارين للقوى الكبرى المستغلة، التي تمارس الأذلال عبر تقسيم العمل الدولي وإبقاء الفقراء أكثر فقراً في هذا العالم بمساعدة أذنانهم في الداخل من سماسة بيع الأوطان.

وعلى امتداد التاريخ كان الطغاة والمستكبرون، ولاسيما من الحكام العرب والأتراك خصوصاً، يرصدون عمق التحدي والجسارة في هذه اللغة العالمية، وفي هذه الرموز الدالة على المقاومة للظالمين، سواء على مستوى البنية اللغوية والرمزية أم على مستوى الكلام والتوظيف والأداء لها بكل اللغات والرموز، فتتزل في كل عام من عاشوراء وشهر صفر، مفردات هذه اللغة، كالصواعق على أسماعهم، فيعملون المستحيل لقمعها واسكات صوتها، أو يجعلون أصابعهم في أذانهم من هول الصواعق الحسينية.

ولعل من مشاكل هذه البنية اللغوية ورموزها أن بعض الشعائر الحسينية قد ارتبطت بمرحلة الانكفاء اللغوي والتخلف الحضاري وصعوبة التعبير عن الذات امام بطش الاعداء، فأكتفى الفعل الشعائري بالحركة الصامتة وغير المعبرة بكفاءة عن الحس الحسيني الاصيل وعمق رؤيته الكونية عن قيم الاسلام في التقوى وحرمة

١ - هومي، ك، بابا، موقع الثقافة، ترجمة : نائر ديب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦م،

الحرية الانسانية، ويلاحظ في هذا المجال أنه كلما ارتقى الانسان المؤمن في مقام التعبير عن القضية الحسينية، وتمكن من محاكاة اصحاب الثقافة المعلوماتية العالية بقضايا واهداف الثورة الحسينية من أمثال العلماء والفضلاء في الحوزات، كلما ترفع بشكل عام عن استعمال التعبيرات العامية الفجّة، أو من خلال الحركات الخرساء التي لا تسهم في بناء هوية التقوى ومقام القرب من الحضرة الإلهية أو الرضا الحسيني .

الفصل الثالث :

الأنموذج الثقافي للمجتمع الحسيني

خصائص وسمات حضارية

توطئة :

عرضنا في الفصلين السابقين : الموارد والمحطات التي أسهمت في رقد الثقافة الحسينية كخيار ثقافي في المجتمع الحسيني، كما استعرضنا العناصر الكبرى التي تشكل الأنموذج الثقافي للمجتمع الحسيني، بمعنى أننا سعينا إلى بناء أنموذج يعمل كممثل أصيل للأنموذج الثقافي الاسلامي العام من خلال الاعتماد على الثقافة الحسينية، أولاً في مراحل هذا الأنموذج التكوينية الاولى ومن ثم في المراحل التاريخية من تطوره العام في المسار الاجتماعي، وصولاً الى ضبط عناصره الاساسية الخمسة : الرؤية، والهوية، والذاكرة، والمحاكاة، واللغة .

ولكي يكتمل البحث الآن لابد من الوصول بالأنموذج إلى بعده التجريبي والواقعي النظامي الحالي، جاء سرد هذا الفصل لبيان الأنموذج في مرحلته التطبيقية أو تمظهره في الممارسات الحضارية والتنظيمية المعاصرة، وبالتالي فهو الفصل الجامع لكل الخيوط السابقة من الأفكار : التاريخية والوظيفية التي أسهمت في تشكيل الأنموذج وكذلك البنيوية التي تجلت في عناصر الأنموذج الثقافي في مجتمع

طريق الامام الحسين عليه السلام، بمعنى الخروج برؤية وظيفية وتطبيقية متكاملة لهذه العناصر في مرحلة الاشتغال الواقعي والحضاري في الزمن الراهن .

وكذلك ما يمكن أن يؤديه هذا الانموذج من أهداف في اعادة بناء المجتمع الاسلامي المعاصر، أو قيام حضارة اسلامية ،أو جامعة اسلامية ومجتمعية، من خلال : اقامة قواسم مشتركة في مجالات : تأمين انتشار الثقافة الحسينية في العالم الاسلامي، كأنموذج ممثل للثقافة الاسلامية، في السلام والحوار والاعتراف بالآخر، ومقاومة القوى المعادية لتطلعات المسلمين بالاستقرار والعيش الكريم، وكذلك تأمين السياق الحضاري والنظمي لهذه الثقافة، وايضاً، تقويم الفعل الثقافي ليس على طريقة الرفض والقبول، أو الحلية والحرمة في مجال توصيف الشعائر وما أثاره هذا التوصيف من جدل فقهي واجتماعي عارم، بل في حدود الانسجام وعدم الانسجام الثقافي والحضاري للفعل الشعائري أو الرمزي، بمعنى : بيان حدود الانسجام الثقافي والحضاري في هذا الفعل الاجتماعي كفعل تواصل وادماجي يحقق المقبولية الاجتماعية العامة، وذلك من أجل ضبط مساراته في الانتشار الثقافي والتأثير أو التواصل مع المجتمعات الأخرى.

لقد أثبتت الثقافة الحسينية، وثقافة اقامة الشعائر الحسينية، السنوية، بانتظام في هذا المجال قدرة هذا الأنموذج على توجيه الخيارات الثقافية والحضارية في المجتمع الاسلامي وتكريس خياره الثوري في اقامة الدولة الاسلامية الكبرى وكذا الالتزام بالجماعة أو الجامعة الاسلامية الشاملة، ومن ثم فإن هذا الأمر يساعد كثيراً في تأمين النهوض بحضارة اسلامية قائمة على اساس الرؤية الكونية الاسلامية والهوية الاسلامية والذاكرة الحسينية المقاومة للتحديات، والتي تنهل من

الخطاب والرمز الحسيني في البناء والمواجهة بمعنى أنها تحاكي تطلعات الامام الحسين لبناء دولة العدل والقضاء على الفساد، وفي مقدمة هذا الفساد التخریب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي باسم الدين الاسلامي، أو التكبر على الناس من مواقع القيادة الدينية .

ومن هنا تتضح أهمية النقاء والصفاء في نفس الثقافة الحسينية والشعائر، إذ انها تضطلع بمهمة كبرى في اعادة البناء، فلا بد أن تكون هي ذاتها خالية من شوائب الفعل التخريبي . وسيماء الاهواء والطمع بالدنيا ومفاخرها والصراع من أجلها والتسابق في سبيل الجني الوفير من دولاراتها ودنانيرها ونسيان البلاد واهلها، إن كانت بخير أم عمها الخراب بلا فرق !، وكذا نسيان المستضعفين والفقراء واهل الحاجة، والانشغال بالحزب والمنصب وتأمين المستقبل الشخصي .

في ضوء الأنموذج الثقافي للمجتمع الحسيني الذي بيناه يفترض في الفعل الشعائري الحسيني ان ينتمي إلى تلك الرؤية الكونية التي تستحضر القبول الإلهي وضرورته في اداء الفعل الشعائري، بمعنى أن يكون منسوباً الى الله تعالى، فهو من شعائر الله التي تستوجب حينئذ التعظيم والإكبار، فهو مطابق للرؤية الكونية الاسلامية المنصوصة والعقلانية ولا يخرج عنها، هذا من جانب المولى تعالى، اما من جانب المؤدي للشعيرة، فلا بد أن تكون في اطار ثقافة التقوى، لان الشعائر من تقوى القلوب، وليس من فعل أهواء النفس أو الرياضات النفسية والجسدية القاسية التي تستهدف رضا الذات وبناء القدرة على التحمل وليس الهدف منها بناء التقوى والحصول على مقام القرب من الله تعالى ، ومن هنا يؤثر هذا الفعل الشعائري في السلوك ومجالات النشاط الثقافية والحضارية الأخرى في المجتمع الحسيني، فالذي

يقول : انا حسيني، لا يمكنه ان يعمل على مخالفة هذا الانتماء والهوية ويرتكب ما يجعل اعماله الصالحة تذهب مثل السراب .

وبذلك يتضح أن الافعال التي تستورد للمجال الثقافي الحسيني من المجالات الحضارية الهابطة والمتدنية في ثقافتها وفي رؤيتها الكونية لا تحقق الانسجام الثقافي أو الحضاري مع مجتمع طريق الامام عليه السلام الذي تبتني ثقافته على مسلمات الرؤى الاعتقادية الاسلامية والمزاج الاخلاقي للتقوى، وبذلك فهي مشكوكة في تحقق التقوى ايضاً، ومن ثم لا تؤمن البعد الحضاري القائم على الاساس الأخلاقي .

إننا نعتقد أن اخراج المجتمع الاسلامي من أزماته الكبرى وانسداده التاريخي ولاسيما مع تفاقم الفتن الطائفية واشتدادها وكثرة الاعداء الدوليين ونفوذهم العالمي، انما يتم من خلال استلھام الانموذج الثقافي الحسيني في راهنه المقاوم وما يحققه من قوة تواصلية، وفي كل مراحل الثورة التي مر بها، وأنموذج تلاحم اصحاب الامام والتفافهم حول القائد والهدف القائم على اساس الحفاظ على الحرية والكرامة الانسانية، وكيف تجسد هذا الأنموذج في افعال ثقافية مرمزة في الثقافة العاشورائية .

لقد كتب الكثير عن المجتمع العراقي وعن طبيعة هذا المجتمع، وعن شخصية الفرد العراقي، والسمات والخصائص لهذه الشخصية، الا أن اكثر هذه الكتابات كانت ملتبسة في ذاتها، وهي تحاول بيان الالتباس في الأنموذج الثقافي العراقي، بمعنى عاجزة أو قاصرة عن تقديم الأنموذج الثقافي والاجتماعي القادر على رسم حقيقة هذا المجتمع أولاً، وكذلك في ترسيم سبل النهوض بواقعه الثقافي

والاجتماعي من خلال الانطلاق من ذات الواقع ومن امكاناته السائدة، وتطويره والنهوض به .

ومن الغريب أن يتحدث بعض الكتاب وعلى مدى عشرات الصفحات في كتبهم عن الهوية في العراق والتباسها، وعن النموذج الثقافي في المجتمع العراقي من حيث المصادر والمصائر، فيما الباحث يغفل عن عمق الثقافة الحسينية في تشكل مصادر هذا النموذج وفي رسم مصائره ونهاياته قديماً وحديثاً، مع أن الباحث قد وقف على أنموذج محمد عابد الجابري الذي أعترف بتجذر الصراع الأموي – الهاشمي و واقعيته في مجمل إشكالية التكوين في المجتمع العربي،^١ وقد التزم الجابري بهذا الكشف، الذي نبه عليه في، الواقع، علماء الكلام قديماً، كذلك في كتابه : تكوين العقل الأخلاقي و ذكرنا ذلك سابقاً في بحث الرؤية الكونية .

فمع سقوط صدام ونظامه في العراق،، نتيجة حروبه التي شنها على القريب والبعيد، هذه الحروب التي أدت الى انقراض اعداد كبيرة من قيادات النواصب واعداء الثقافة الحسينية سواء على خلفية طائفية أم حزبية، علمانية، أم غير ذلك، واستهلاكهم في تلك الغزوات الاجرامية للنظام، انطلقت الجماهير الحسينية في العراق الى زيارة المرقد الطاهر لسيد شباب أهل الجنة، وجددوا العهد معه والولاء الى تلك المبادئ والقيم التي استشهد من أجلها، وفي مقدمتها اقامة العدل الإلهي، و عدم الركون للظالمين، وبذلك اعلنوا رسمياً عن الانتصار التاريخي لثقافة وحضارة اهل بيت النبي ﷺ .

١ - ثامر عباس، الهوية الملتبسة، الشخصية العراقية واشكالية الوعي بالذات، مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٢م، ط١، ص ٥٧.

وثبت للجميع، مرة أخرى من خلال حركة التاريخ، ان القوم الذين لم يتمكنوا من تحدي القرآن الكريم أو احتواء خطره على عروشهم، لم يتمكنوا أيضاً من احتواء خطر العترة الطاهرة، على تلك العروش الخاوية، وأنهم لم يقدرُوا على وقف الزحف الكبير للمؤمنين نحو الانتصار النهائي، الذي تتجلى من خلاله معجزة ظهور الاسلام على الدين كله، اسلام محمد وعلي وفاطمة سيدة النساء والحسن الحسين، سيدا شباب اهل الجنة، ^{عليهما السلام}، واتباعهم في كل بلاد العالم، وليس اسلام المزيفين والمجرمين ممن يذبحون الابرياء ويفجرون في الاسواق، أو يأكلون قلوب الناس على شاشات الفضائيات لكي يقول الناس عن الاسلام : بئس هذا الدين، الذي يأمر اتباعه بكل هذا الكم من الحقد والاجرام وانعدام الاخلاق .

ورغم كل المشكلات التي تجسدت بعد وصول الأحزاب الشيعية السياسية الى السلطة في بغداد، وبروز مظاهر العوار فيها بسبب الطمع والجهل والاختراق، الا ان قافلة التغير في طريقها الى المحطات النهائية من التصحيح، ولا سيما مع تنامي الوعي الجماهيري، وارتباط الشعب بالمرجعيات العلمية، وبالثقافة الحسينية .

لقد ثبت عند الجميع قدرة الثورة الحسينية على استنهاض الهمم في مواجهة قوى البغي والفساد واسقاط الطواغيت وتفجير الثورات بوجههم واسقاط مشاريعهم، فهذه المشاريع تتبخر ما أن تتصادم مع الثقافة الحسينية وتنهار، وما يشغل المؤمنين اليوم في العراق خاصة هو استلهاهم هذه الثورة المباركة وقيمها الاسلامية الخالدة في جهاد البناء والاعمار وتشيد الحضارة الانيقة وتحقيق القطيعة مع الفساد الاداري الذي ينخر في مؤسسات الدولة والبلاد والتخلف، ومن ثم التواصل مع السياق الحضاري الاسلامي والتفاعل الايجابي مع عموم محور المقاومة الاسلامي في : ايران

وسوريا ولبنان واليمن والبحرين بما يؤمن ازدهار الثقافة الحسينية وحضارتها وينعشها في كل مكان.

يتم اليوم استعادة مجد الاسلام في بناء مكارم الاخلاق، وقيمه الكبرى في استشعار المسؤولية، والتضحية، والايثار، والعطاء، والصبر، والعمل، والتفان في خدمة الاخوان، واکرام المؤمنين، واحترام النساء، والتواصي بالحق، تتم اليوم على طريق كربلاء، استعادة كل هذه القيم الكبرى من خلال : مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام.

أولاً : السمة الاجتماعية والعلائقية، (الاندماج وازالة ازدواج الشخصية)

مجتمع طريق الامام يشكل نسقاً اجتماعياً ومدنياً كبيراً قائماً بنفسه، وهو يقف ازاء الانساق الاخرى كنسق الأسرة أو العشيرة أو أهل البلد والهويات، سواء من حيث المكون الطبقي أم الاداء الوظيفي، وكذلك في شكل العادات والاعراف والتقاليد وشكل العلاقات القائمة بين الأفراد، فهو مجتمع يتألف من فئتين اساسيتين هما :

الاولى : فئة الجماهير السائرة الى مدينة كربلاء، والثانية : فئة الجماهير التي تؤدي الخدمات الى هؤلاء السائرين، وهما فئتان تتبادلان المواقع والأدوار، بمعنى أن الذين يخدمون يتحولون في زمن لاحق لممارسة خدمة السائرين، وكذلك من سار يرجع بعد اداء الزيارة الى ممارسة خدمة الزوار بشكل أو آخر، وهذا التحول في الاختصاص يكشف عن وحدة هذا المجتمع في عين تعدده.

يمثل مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام مجتمعاً مدنياً في روابطه الاجتماعية، فهو لا يقوم على أولوية نسق القرابة أو العشيرة والأهل، بل يمثل مؤسسة مدنية عملاقة من حيث التكوين الانساني، إذ تنظم جماعات المدن المختلفة على شكل مواكب منظمة لهذا التجمع وتنصهر الأفراد في تجمعات الخدمة للسائرين، ومع تكرار الزيارة منذ عام ٢٠٠٣م، يلاحظ تشكل علاقات اجتماعية في اطار الزيارة لا تقوم على اساس القربى أو الجوار والأهل أو دائرة العمل اليومي الروتيني، بل في اطار المشاركة في المسير أو تقديم الخدمة، وهذا يشكل تأسيس واضح لمجتمع بمواصفات غير مسبوقة في التكوينات التقليدية لمجتمعنا العراقي، مما يتطلب رصد هذه الظاهرة ومتابعتها كظاهرة اجتماعية وتعميق الوعي بأهميتها كخروج عن النمط السائد في بناء المجتمع العراقي القائم على الاساس العشائري والعلاقات في حدود الوظيفة الرسمية وهي علاقات اتسمت بكثير من الجمود والتحجر نتيجة المشكلات التي وسمت هذه العلاقات في المراحل العصبية السابقة التي ساد فيها حكام الجور والتخلف والنفاق .

التعددية في الانساق الاجتماعية المشاركة في الزيارة من حيث الخلفيات الريفية والحضرية وانماط الوظائف أو التحصيل العلمي، أو الفئات العمرية أو المناطق الشمالية والجنوبية، أو من حيث البلدان التي يقدم منها الزوار كالبلدان الاسلامية وغير الاسلامية، كل هذا التنوع يسهم في صهر واندماج المشاركين في تشكيل نسق جديد ضمن الثقافة الحسينية، ومنفتح يسمح بخروج الافراد والجماعات من حالة الانغلاق الفئوي أو الاجتماعي بنسبة كبيرة وتطوير ثقافتهم الحياتية .

إن التزايد الكمي للمشاركين في مجتمع طريق الامام يكشف عن قدرة هذا النسق على تخطي الانساق الاجتماعية الأخرى في الاستقطاب الجماهيري وزحزحتها عن مواقعها التقليدية، وهذا التزايد لا يمن أن يكون حيادياً في تأثيراته النوعية على الانساق الاجتماعية الأخرى، وعلى الأولويات الحضارية والثقافية والمركزيات ومواقع الهيمنة، مع مرور الزمن وتكرار الزيارة.

إن هذا الاندماج الاجتماعي لانساق اجتماعية متباعدة ضمن نسق ثقافي واحد، مما يسهم بمرور الزمن على إزالة مشكلات ما يعرف بالازدواج الاجتماعي حيث يرفع من قابلية الكتل والافراد على التكيف مع الآخرين .

ثانياً : المحتوى الحضاري والثقافي (مجموعة الفعاليات الفكرية والانشطة الثقافية والإعلامية).

يتسم المجتمع العراقي بشكل عام، ولاسيما اتباع اهل البيت عليه السلام بالتحلي بالأخلاق الرفيعة لأهل البيت عليه السلام، لمعرفتهم الدقيقة بهذه الابعاد الاخلاقية التي ارسى اساسها الامام علي عليه السلام في فترة حكمه للعراق، وكذلك يؤمن اتباع اهل البيت في العراق بدور الحوزة العلمية المقدسة، القيادي، هذه المؤسسة التي لم تفرط بمصلحة الاسلام والبلاد في كل الظروف السابقة . بالإضافة الى تيقنهم بوعي هذه الحوزة وقدرتها العلمية والمنهجية في الوصول للحق المبين و قدرتها على تخطي كل الصعاب والتحديات والمشكلات التي مرت بمجتمعنا في الظروف السابقة .

ونتيجة للسلمات السابقة والخصائص لم يتمكن الاعداء من احتواء هذا المجتمع أو تسييره نحو أهدافهم الخبيثة في كل الظروف والاحوال، وكان هذا المجتمع يعبر باستمرار عن رفضه للسياسات الموجهة ضد الاسلام أو الحوزة وقياداتها من خلال الشعائر الحسينية، وفي مقدمة هذه الشعائر : المجالس الحسينية الفكرية والثقافية والمسير الى كربلاء، التي كانت توحد القوى المؤمنة وتمدها بالعزم، فتكون هذه القوى دعامة قوية لاستمرار الاخلاق الشيعية الثورية على طريق الامام الحسين وأهل البيت عليه السلام في رفض ردائل الطغاة والمستكبرين، ونصرة الحوزة والعلماء، وتوفير الظروف المناسبة لتواصل البحث العلمي النزيه في الاوساط الفكرية الشيعية، وكل ذلك بفضل محورية القضية الحسينية وزيارة كربلاء.

و نتيجة ذلك، وقفت الانظمة الطاغية والظالمة على امتداد الحقب التاريخية بشكل سلبي من ظاهرة المسير الى الامام الحسين عليه السلام والتجمعات، وذلك لما تنطوي عليه هذه المسيرة من دلالات كبرى، وفي مقدمتها الاعلان أو الاصحاح بحق الانسان المسلم في رفض النظام السياسي الفاسد، هذا الحق الذي اشتغلت عليه الحكومات المتعاقبة من أجل طمسه من الوجود، وتصوير المسلم على أنه ذلك المتعبد بطاعة الحاكم الجاهل الظالم والفاسد بل القاتل، الامر الذي تقف الزيارة الحسينية بالضد منه تماماً، وتشتغل باستمرار على استعادة هذا الحق في الرفض لحكم الادعاء.

ومع سقوط النظام البعثي الطائفي في العراق عام ٢٠٠٣م، مباشرة، انطلقت جموع الزائرين من المدن العراقية كافة وبشكل علني لتجديد العهد مع ابي الضيم الامام الحسين عليه السلام، وثورته الخالدة وهي تهتف (لبيك يا حسين)، استجابة لذلك النداء التاريخي الذي اطلقه الامام في صحراء كربلاء قبل اكثر من ٣٠٠ سنة، بقوله

عليه السلام : الا من ناصر ينصرني، ثم تزايد عدد الوافدين للزيارة ليس من العراق فحسب بل امتد ليشمل اغلب بلدان العالم.

تشكل الاحداث التاريخية لقضية الامام الحسين عليه السلام والمحتوى الفكري لثورته الخالدة وأهدافها، الذاكرة الواعية والحية لهذه الجموع الزاحفة نحو المرقد الشريف من كل انحاء العالم، ومن مجموع التاريخ والذاكرة تتشكل هوية مجتمع طريق الامام ويتبين حقيقة الانتماء لهذا المجتمع.

لقد اتسمت أكثر مجتمعاتنا الاسلامية بالازدواجية الحضارية بعد ظهور معالم النهضة الاوربية الحديثة كما في مجال الصناعة كمدير للأمر الاقتصادي، والاحزاب السياسية كمدير للأمر السياسي، والجامعات للأمر العلمي .

لقد أتمت هذه المجتمعات بمشكلة تعدد المعايير وتضارب الثقافات، حيث كرسست الهجرة من الريف الى المدن مشكلة هذه الازدواجية، إذ يجمع الفرد او التجمع البشري بين نوعين من السلوكيات احدهما يناقض الآخر، فلا هو بالريفي على وجهه، ولا هو بالمدني على وجهه .

وكذلك تجد الفرد المسلم أو المجتمع يلتزم بالتعاليم الاسلامية تماما في السلوكيات الفردية ولاسيما العبادية وفي ذات الوقت هو لا يلتزم بالمعايير الاسلامية او لا يعرفها اصلا على مستوى بناء المجتمع ككل أو حاجات المجتمع التي لا تتطابق مع المصالح الفردية .

نلاحظ اليوم ومع تنامي اعداد الزائرين تنامي الوعي بالأبعاد الكلية للمجتمع، كيف تهب الملايين من الجماهير المؤمنة لتأمين الغذاء والسكن والحماية

والخدمات المختلفة على طريق الامام الحسين عليه السلام، كل بحسب طاقته وهو يستشعر الفرحة في تقديم الخدمة للآخرين التي قد تكلفه كل مدخراته على امتداد السنة وذلك التماساً للثواب الأخروي.

نلاحظ اليوم في مجتمع طريق الامام مختلف الأنشطة الاعلامية والثقافية والادبية، فهناك اللوحات والمعرض الفنية للرسميين، و معارض الخطوط المعبرة عن حالة حضارية رائعة في تصوير النهضة الحسينية، وكذلك القصائد الشعرية والمهرجانات الخاصة بألقاء هذه الاشعار ومشاعر الحماسة المتأججة في نصرة قضايا الحق واستشعار الروح الوطنية .

وعلى امتداد الطريق نلاحظ اللوحات الكبيرة والتصاميم والنشرات الاعلامية التي تلخص البعد الحضاري والثقافي والانتماء للقضية الحسينية .

وكذلك الحال في مجال التمثيل والعروض التي تصور مظاهر الظلم الذي ترض له ال البيت على يد الطغاة والتابعين لهم من الجنود السفلة، وهذه كلها ممارسات تعكس قدرات فنية متنامية ستعكس على مجمل نشاط المجتمع وتطوره الاجتماعي والثقافي وإن كان ببطء، الا أنه نمو متواصل.

والخلاصة : إن الأنشطة الفكرية والعملية، التنظيمية، التي قدمتها المسيرة الحسينية جعلت من هذه المسيرة، غير قابلة للاحتواء من قبل الاعداء أو الاستغلال وبذلك ثبت عجز هؤلاء الطغاة عن التصدي للإسلام، وكانت المسيرة الى مرقد الامام خير تعبير عن فشل الاعداء في تغيير اخلاق الشيعة، أو تغيير الحوزة أو

توجيهها أو تغير منهجها العلمي، وذلك للدعم الكبير الذي توفره المسيرة الحسينية للقوى الشيعية ومراكزها التاريخية ومرتكزاتها المبدئية.

ثالثاً : النمو المتواصل لمجتمع طريق الامام عليه السلام .

ذكرنا أن الاعداء لم يتمكنوا من طمس معالم قضية الامام الحسين عليه السلام، أو احتواء خطرهما، وهم لم ولن يتمكنوا من احتواء مجتمع طريق الامام عليه السلام أو وقف هذا المجتمع على مواصلة السير على الدرب الذي اختطه سيد الشهداء، فمن الواضح أن مجتمع طريق الامام هو مجتمع أخذ بالنمو المتواصل من حيث العدد، كما هو واضح من البيانات الواردة عن طريق الاجهزة المرورية والامن والقاءمين على تقديم الخدمات .

هذا النمو المتواصل يجعل من الصعوبة التعامل مع هذا الحشد في ضوء المناهج السكونية (الستاتيكية) أو القارة، فهو مجتمع غير متجهر في حالة واحدة، بل يستشعر هذا المجتمع من خلال المد الصعودي له، قدرته غير المحدودة على تكريس أهدافه ووضوحها في هذه المرحلة من تاريخ البشرية، وهي نصرة القضية الحسينية وشعاراتها المعنوية والنظمية للإنسان المعاصر، ومع هذا التزايد العددي تتزايد فرص افراد هذا المجتمع في الوعي الحضاري والثقافي والسياسي والاطلاع على شؤون الحياة المختلفة، مما يعمق حالة الصيرورة الاجتماعية أو يسرع فيها باتجاه دولة العدل، كما وصف رئيس الوزراء العراقي هذا الامر في كلمته عن مراسم الزيارة الأخيرة، لهذا العام ١٤٣٥ .

يلاحظ أن النمو والتوسع لا يقتصر على الاعداد من العراقيين فحسب، بل تتزايد اعداد الوفود من الخارج، كما تتوسع الممارسات الثقافية والاعلامية والانشطة الحضارية والفعاليات على امتداد الطريق، والتفنن في تقديم الخدمات .

ان نمو هذا المجتمع سيكرس حالة النظم الحضاري المتواصل، وما يتطلبه ذلك من حشد للقدرات الذهنية والعملية من أجل تذليل العقبات والتحديات وهذا من شأنه تكريس البعد الحضاري للزيارة الذي ينعكس رويداً رويداً على مجمل اوضاع المجتمع العراقي، ولاسيما مع ما تقوم به إدارات العتبات المقدسة من جهود مخلصة في هذا المجال، مجال التوسع في اشاعة الحالة الحضارية في الانجاز، من : الدقة والسرعة والاتقان النهائي، والنزاهة في العمل، الامر الذي تفتقر له اعمال مؤسسات الدولة عادة، مما يجعل من مجمل العمل في طريق الامام الحسين نموذجاً في النزاهة والابداع على الاخرين الاقتداء به.

رابعاً: السمة الاستراتيجية للزيارة في اعادة البناء والعلاقات المحلية والدولية).

من الواضح أن مجتمع طريق الامام ﷺ له من نقاط القوة والقدرة على مواجهة التحديات الكثيرة والكبيرة، ما يجعل من هذا المجتمع غير قابل للاحتواء من قبل الاعداء، مهما تكن الاستراتيجية التي يتبعونها في محاولة تقويض هذا المجتمع، بل من الواضح أن هذا المجتمع الحسيني صار قادراً على توجيه تحديات للأعداء قادرة على تقويض كياناتهم الكارتونية وازاحة قدراتهم بمرور الوقت وكشف نواياهم ضد الناس وكشفها .

والآن، يستشعر الحسينيون من خلال الحدس التاريخي عندهم الأهمية الاستراتيجية للزيارة الحسينية، في تجاوز نقاط الضعف والتهديدات التي تطل المجتمع الحسيني الواعي سواء في بيئته الداخلية أم القادمة من الجهات الخارجية، فهي من معالم القوة في مواجهة الأعداء ومن ثورة الامام يستلهمون العزم والاصرار على مواجهة الظلم والتحديات، وهي عنصر مهم في توحيد صف المؤمنين وتماسكهم في هذه المواجهة الطويلة والمستمرة حتى يوم الناس هذا.

لقد شكلت اموال النفط الخليجية، نقطة قوة للمنافقين من اتباع بني امية والخوارج المعاصرين، الذين وظفوا هذه الاموال بشكل متواصل لضرب منهج أهل البيت عليهم السلام بكل السبل المتاحة، وكان في مقدمتها توفير الدعم الدولي والاقليمي للنظام الصدامي سابقاً وللإرهابيين فيما بعد . ومع ذلك وفرت الزيارة الحسينية المناخات والاجواء المناسبة لتجاوز هذه التهديدات من خلال تلاحم الجماهير المؤمنة بالقضية الحسينية مع القوات المسلحة العراقية، وعدم تمكن الاعداء من تحقيق النصاب الكامل لتمزيق المجتمع الشيعي انما كان ببركة الانتماء الحسيني لهذه الجماهير ولجيشها الذي لا يكل في توفير الحماية للزائرين ولا يتوانى.

لقد حققت الزيارة وثقافتها بفعل التواصل الجماهيري العراقي الكبير استقطاباً للمسلمين من بلدان أخرى، وهذه ظاهرة واعدة بتشكيل نسق جماهيري حسيني كبير في المستقبل المنظور، وبالتالي قادر على احداث تغيرات دولية في العالم من خلال استقطاب المزيد من المؤيدين للقضايا الجوهرية في العالم ونصرتها وفي مقدمة هذه القضايا القضية الفلسطينية وفضح المنافقين الدوليين ولاسيما

القوى الارهابية والجهات الاقليمية والدولية الداعمة لها بالسلاح، السلاح الذي يشكل مصدر رزق للقوى الغربية وشركاتها المجرمة، وبالفكر التيمي -التكفيري وامتداداته، الذي يحاول استعادة امجاد بني امية ودولة الاندلس المنقرضة.

والخلاصة : أن الزيارة تشكل استراتيجية للتوحد للقوى الخيرة في العالم والمنطقة باتجاه كسب المعركة الانسانية والحضارية، والوقوف البطولي بوجه قوى الفساد والارهاب في المنطقة والعالم، وانها تقدم بديلاً جماهيريا في العلاقات الدولية المستندة للمحبة وليس العدا.

خامساً: الاستقامة الاخلاقية والمعنوية الشاملة لمجتمع طريق الامام.

ذكرنا أن من سمات مجتمع أهل البيت عليه السلام، وخصائصهم الراسخة البعد الاخلاقي، الذي هو اساس الدين، وهو بعدُ عجز الاعداء عن النيل منه رغم كل ما عملوه في مضمار التشويه الاخلاقي الذي مارسوه بوحي من انصارهم في الغرب الذين يهتمهم بقاء هذه البلاد متخلفة ومصدر للتصدير المواد الاولية واستيراد السلاح، لقد أفضل الأنموذج الثقافي الحسيني كل المؤامرات في المنطقة، وفي مقدمة هذه المؤامرات، هجوم داعش الارهابي على العراق الذي يستهدف الوصول الى الحدود الايرانية ليعوض أو يوازن موقف اسرائيل مع حزب الله الموجود على حدود فلسطين المغتصبة .

لقد عانت مجتمعاتنا الإسلامية بشكل عام من انهيارات اخلاقية هائلة بسبب التخلف الثقافي والفكري، والموروث الاستبدادي للقوى الظلامية العثمانية ومن ثم جاءت الحروب الكثيرة التي اشعلتها قوى الغرب الاستعماري مع بروز الحضارة

الحديث والمعاصرة، وتأميرهم على كل ممارسة أو تجربة من شأنها استعادة الاسلام المحمدي الاصيل، وهنا تأتي الزيارة الاربعينية خالصة ونقية من عبث هذه القوى وأذئابها من المأجورين والحريصين على مصالح الغرب وهيمنته على العالم الاسلامي، تأتي هذه المناسبة لكي تطلق قوى الخير والنزعات الانسانية القائمة على محبة أهل البيت والولاء للرسول الاعظم ﷺ من خلال السير الحثيث الى مرقد سيد شباب أهل الجنة .

تتطلق جحافل الشباب المؤمن لكي تنهل من هذا المصدر الاخلاقي الكبير، حيث مظاهر التزام المؤمنين والمؤمنات بمقتضيات العفة الجسدية والروحانية والشرف والهوية المتسامية على الرذائل، واستشعار المسؤولية تجاه الآخرين والمجتمع والحرص على الممتلكات الشخصية للزوار أو العامة والمحافظة على النظافة .

لقد لعبت الجهود الاعلامية والتثقيفية ولاسيما الجهود الميدانية في التعليم دوراً فذا في ابراز الهوية الاخلاقية للسائرين، والتزامهم بمقتضيات اظهار الزيارة بشكلها اللائق وانتمائها الى سيد الشهداء، بما ابهج الاصدقاء واغاظ الاعداء، وتعد التوصيات الاخلاقية للزائرين، وضرورة الالتزام بها، في طليعة التوصيات التي يتقدم بها المراجع العظام في كل عام.

إننا نفترض أن هذا الوازع الاخلاقي في مجتمع طريق الامام قادر على أن يخلص الافراد والجماعات من من مشكلة ازدواج الشخصية الذي ذكرناه في الفقرات السابقة، إذ يلتزم الافراد في هذا المجتمع بالتعاليم الاسلامية سواء على المستوى الفردي أو الشخصي وكذلك على المستوى الكلي الاجتماعي، وبذلك

يتحقق الانسجام في الرؤية وفي المصالح وتخطي حالة التضارب والازدواجية التي يعج بها المجتمع التقليدي.

سادساً: الاستحضار الثوري (التوضيحية لبيان انموذج الاسلام الارشادي).

لم تستطع كل الجهود التي بذلها اعداء الاسلام، قديماً وحديثاً من وقف المد الثوري لمجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام وثقافته المقاومة، أو احتواء خطر هذا الزحف الذي يهدد عروش الظالمين والمستكبرين على الدوام .

تقوم الزيارة اصلاً على التحدي ومواجهة المصاعب وذلك من خلال السير على الاقدام ولمسافات طويلة جداً قد تستغرق الليالي والايام، يتأمل فيها الزائرون مسير ابي عبد الله الحسين عليه السلام مع علمه المسبق بمواجهة الشهادة على ايدي الاعداء من بني أمية، وهذا يجعل من فرصة الزيارة السنوية محطة للاكتساب الروح المعنوية العالية لمواجهة قوى الشر والفساد والظلم في عالمنا اليوم حيث عاد الفكر التكفيري والاجرامي الذي يقتل على الهوية ويستبيح دماء الابرياء خدمة للصهيونية العالمية وفرعها تنظيم القاعدة الارهابي، لاريب أن المسير في طريق الحسين كل هذه المسافات هو دورة اساسية في التعبئة العسكرية والجهادية.

سابعاً: الوحدة والتقريب وقبول الآخر.

من السمات الأساسية لمجتمع طريق الامام والأئمة الثقافي فيه، القدرة على احتواء الانساق الاجتماعية المختلفة، وعدم الانغلاق بوجه الآخرين، إذ لم تكن ثورة الامام عليه السلام إلا للإصلاح في كل انحاء المجتمع، وليس لفائدة فئة معينة، أو طبقة، أو حزب أو عرق من الناس، فعرف كل الشرفاء والاحرار أن الحسين لكل الاسرة البشرية ممن لا يقبلون بالظلم والطغيان.

واليوم بفضل تطور وسائل الاتصال والنقل الحديثة وتسهيلات الحكومة العراقية لإجراءات وصول الزوار من خارج العراق، من الدول الإسلامية أو الأخرى، باتت أعداد كبيرة من الوفود الزائرة تصل إلى طريق الامام الحسين عليه السلام، وهذه فرصة عظيمة للوحدة والتقريب بين المسلمين عن طريق الثقافة الحسينية، كان يفترض في مناسبة الحج في مكة أن تكون فرصة لتلاقي المسلمين من كل انحاء العالم ولكن يد المستعمر الغاشم ومنذ وقت مبكر من عصر الانبعاث الأوربي عرفت كيف تعبت بهذه الشعيرة العملاقة وتحول برنامج الحج إلى برنامج ولاء للمستكبرين بدل برنامج البراءة من المشركين .

ثامناً: التكافلية والسمة الاقتصادية (قدرات الاغاثة والأخذ قدر الحاجة).

لقد أظهرت الزيارة الحسينية وثافتها قدرة الاسلام العظيم على حشد الجهد الجماهيري، وتوفير الاموال اللازمة والروح السخية في البذل والعطاء على طريق

الامام الحسين بشكل تظل فيه اكبر المؤسسات الدولية عاجزة عن اغاثة هذه الاعداد الهائلة وهي تزحف في العراق في ظروف جوية غاية في الرداءة .

ففي الوقت الذي تنطلق فيه الملاين البشرية نحو كربلاء المقدسة، تنطلق ملايين اخرى من الاموال والرجال والعجلات والمستلزمات المهمة لخدمة الزوار على امتداد الطرق الواصلة بين كربلاء عاصمة الولاء لأهل البيت والمدن العراقية الكثيرة .

أخذ البعض من ذكر هذه المصروفات المالية، سبباً للقدح بالزيارة وانها طريقاً للتبذير، الا أن هذا البعض نسي ان الرقي الاقتصادي والتقدم من متطلباته الاساسية هي وحدة المجتمع والبلاد والتكاتف الثقافي والحضاري، ومع وجود العدو المتربص من المستعمرين والارهابيين وشركات بيع السلاح، لا يمكن ضمان الوحدة والتكاتف الا في ضوء ثقافة موحدة للمجتمع أو ايديولوجيا، وحدوية، سليمة تحقق اتساق المجتمع وتوحده، والا فان مصير كل المعامل الصناعية والمرافق الخدمية والتطور الاقتصادي يكون كمصير معامل حلب في سوريا ومرافقها التي هدمت، أو كمعامل البعث المهزوم في العراق من قبل، وهكذا يكون طريق الوحدة في مجتمع الامام هو الضامن لتطور البلاد والحفاظ على هذا الانجاز الحضاري، مع اننا لا نعتقد بوجود صرف غير معوض أساساً، فورود الزائرين الاجانب على العراق يعوض البلاد من النقد الاجنبي بطرق شتى ليس هنا مجال ذكرها.

تاسعاً: البعد الاداري والتنظيمي للمسيرة.

طوال العهود المنصرمة سعى أعداء الامام الحسين عليه السلام من الطغاة الى استبعاد القوى المؤمنة برسالة الامام من الساحات الفكرية والعملية أو ادارة المرافق العامة

للدولة أو الحكومية، فتركز بذلك الجهل والتخلف ولاسيما في المجالات الحيوية في الدولة والمجتمع، والقائمة على السيطرة والتنظيم واتخاذ القرارات وبناء الاستراتيجيات والتخطيط، كما هو الحال في مجال بناء المجتمعات الواسعة والمعقدة، و قضايا التغيير الثقافي، والتحولات التنموية وغير ذلك من الامور المرتبطة بالتكوين الاجتماعي وادارة البلاد والمؤسسات وتوجيه السياسات العامة طبقاً لرسالة مقدسة تؤمن بدور الانسان في اعمار الارض وخدمة العباد على وفق المعايير التي ارسى اسسها الرسول الكريم ﷺ، واهل البيت عليه السلام، وشهدتها الامة على عهد مولانا امير المؤمنين عليه السلام .

ومع التطورات الدولية الاخيرة في العالم وبروز دور الشيعة من اتباع مدرسة اهل البيت في العراق خاصة، ظهر بشكل واضح ضرورة البعد الحضاري للقضية الحسينية في نظم الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والنفسية عند اتباع هذا النهج المقدس، وكذلك ضرورة تقديم هذا المنهج الانساني، في ثوب حضاري للأمم والشعوب من حولنا - أو ما يسمى في الادبيات الحضارية بتسويق الانموذج وتعميم الخبرة الطليعية.

وهنا نأتي الى اهمية الزيارة الأربعينية في بناء لقدرات ادارية وتنظيمية في ادارة المؤسسات الحسينية الكبيرة أو المواكب الصغيرة التي تضطلع بتقديم الخدمات على الطريق واغاثة الزائرين في مختلف المجالات، إذ اصبح العمل في هذه المؤسسات الحيوية والفاعلة، فرصة حقيقية لاكتساب المهارة في العمل التنظيمي واتخاذ القرارات والسيطرة والتوجيه اللازم، ولم تكن هذه المهارات في إدارة مجتمع الامام

عليه السلام نظرية تعلم في الكليات او المعاهد الادارية وتعطى لطلبة لا يعملون بها بعد التخرج، بل كانت تجريبية واقعية تمارس في ضوء الحاجة الحقيقية .

ففي مجال تقسيم المكان : تبوب اماكن المواكب بشكل يسهل العمل اليومي، من تقديم الطعام والشراب الى مكان أخذ الراحة وللمبيت، واخر الى تقديم العلاج الطبي، الى اماكن المحاضرة الدينية واللقاء الثقافي، وغير ذلك من الخدمات .

اما على مستوى تقسيم العمل والجماعات والتخصصات التي تقوم بالأنشطة المختلفة، فيجري اساسا تقسيم العمل بين الرجال التي تقدم الخدمات للرجال في المكان المخصص للرجال، ومكان منعزل للنساء لتقديم الخدمات للنساء، فهذا اول اشكال التقسيم الوظيفي في خدمات المواكب الحسينية، وهناك الوظائف المختلفة : كتوفير الطعام والشراب، والعناية الطبية، والعناية بالمبيت والراحة، والخدمات الثقافية، وخدمة الاتصالات، ومتابعة قضايا الامن للزائرين وغير ذلك من وجوه النشاط الخدمي .

وبذلك تشكل الزيارة فرصة طيبة لاكتساب المهارة في التنظيم والادارة والتخطيط المستقبلي لألاف الكوادر العاملة على طريق الامام الحسين عليه السلام .

وقد برزت أهمية هذه التشكيلات الخدمية في أعقاب فتوى الامام السيد السيستاني بالجهاد الكفائي لرد كيد الصهاينة من الوهابيين والبعثيين بعد مهاجمة مدينة الموصل وما حولها، إذ توجهت العديد من تنظيمات المواكب الحسينية نحو تقديم الخدمات والدعم للمجاهدين وقوات المتطوعين .

عاشراً: المشكلات والحلول وتعميق دور الدولة الايجابي.

لاشك أن وجود الملايين من الناس على الطرق الخارجية وفي البراري بين المدن المتباعدة يمثل تحدياً كبيراً للدولة في مجال توفير الامن للزائرين، وكذلك مطالبهم، ولاسيما عند العودة من الزيارة، بتوفير وسائل النقل في نقاط قريبة من المرقد الشريف، و كذلك تسهيل عبور الحدود الدولية في اطار من الاجراءات الميسرة والاماكن المحترمة الانتظار، وغير ذلك من الاحتياجات الطبية والخدمية الأخرى التي تتولى الدولة تأمين جانباً منها، وهذا الامر بالتأكيد يفرز القيادات الحكومية، الكفؤة، والمؤمنة بتوجهات الجماهير الحسينية وتطلعاتها وهي جزء من هذا الانتماء، و تحرص على هويتها الثورية التي اسست لها الثورة الحسينية .

لاشك ان وجود النظام الانتخابي يفتح المجال امام الجماهير الحسينية أن تحافظ على نسقها من خلال انتخاب الكوادر الثورية كما يجعل من هذه الجماهير تعي اهمية وجود القوى المؤمنة بالقضية الحسينية والواعية بصدقية هذه الثورة وعطاءاتها في الحياة المعاصرة للمسلمين، فتعمل الجماهير الحسينية على انتخاب هذه الكوادر المخلصة التي يفرزها العمل الجماهيري الحسيني والتعاون مع المرجعيات الرشيدة على خدمة الاسلام والمسلمين وانتشال البلاد من ربة الجهل والتخلف والفساد الاداري والحكومي الذي يسمم اجواء الفرد والمجتمع معاً، والتخلص بذلك من براثن واحتكار المندسين والمتملقين والمنافقين الذين يشكلون نسقاً اجتماعياً وثقافياً وسياسياً معادياً لتطلعات الجماهير العريضة في النهضة والتقدم ولا ينفعون الا انفسهم واقربائهم والمتملقين السائرين في ركابهم ، وبالتالي تسعى القوى الثورية الحسينية الى تكريس وصول هذه القوى التي تلتزم بالأخلاق

الثورية لنهضة الامام، ومشروعه التاريخي في وقف الممارسات الخاطئة والانحرافات الجسيمة التي من شأنها تقويض انسانية الانسان المسلم وتحويله الى عبد مستلب عند الظلمة والمستكبرين .

ستشكل جدلية الانتخاب في ضوء المنظور الحسيني والوعي بأهمية الانطلاقة الحضارية والثقافية والالتزام بالنزاهة والشعور بالمسؤولية الكبرى في ادارة البلاد ستشكل هذه الجدلية طريقاً لوصول العناصر الجيدة لمراكز القرار، وبما يفضي مع مرور الزمن وتركز دور الجماهير الحسينية الى وصول حكومات محلية في المحافظات : عالمة، ومثقفة، ونزيهة، من اصحاب المشروع الاخلاقي والشفافية في السلوك والعمل وقادرة على أداء دورها الرسالي في النهضة والاصلاح على وفق المنظور الحسيني الانساني.

أحد عشر: تأسيس مراكز ابحاث لدراسة مجتمع الإمام الحسين عليه السلام.

تعد مراكز الابحاث في العالم، اليوم، حكومات دائمة في الدول المتقدمة والديمقراطيات، وذلك لمكانتها في توجيه اصحاب القرار في المؤسسات : التشريعية أو التنفيذية، من خلال توفير المعلومات والاحصاءات، أو تحليل البيانات، أو إعداد البحوث والدراسات، أو تحديد الخطط ورسم الاستراتيجيات وتقديم الرؤى المستقبلية التي من شأنها نقل مسارات الواقع أو التطوير فيه، وتحويله من حال الى حال، الامر الذي يؤكد أهمية انطلاقة البحث في مجتمع طريق الامام الحسين عليه السلام .

لقد اتضح بعد مراسم زيارة عام ١٤٣٥هـ جرية، بصورة جلية أهمية وجود مراكز بحثية تخصصية بدراسة الزيارة الاربعينية وذلك نتيجة التوسع الهائل في اعداد

الزائرين والوافدين الى كربلاء مشياً على الاقدام، وتزايد حاجاتهم الخدمية والحيوية بشكل مذهل، الذي أدى، بكل تأكيد، الى إحداث ضغط كبير على البنى التحتية للمدن التي تمر بها افواج الزائرين، ولاسيما مدينة كربلاء المقدسة وهي المحطة الأخيرة للرحلة المضنية عبر المسافات الطويلة، وقد عملت وزارة الأوقاف على انشاء وحدة بحثية لتوثيق بعض المعلومات في هذا المجال والدراسات، الا أنه لا يمكن التعويل في دراسة هذه الظاهرة المدنية والشعبية الدينية الكبيرة وابحاثها على جهود الدولة لوحدها خاصة وأن هذه الجهود تتسم بعدم الكفاءة عادة، بمعنى أنها خاضعة للبيروقراطية، التي تؤدي الى زيادة الكلفة البحثية مع رداءة المخرجات أو الانتاج في أحسن الاحوال، وان كان لا يمكن الاستغناء عن دور الدولة ايضاً في هذا المجال نظرا لقدرتها الرسمية على توفير البيانات المتجمعة في مؤسساتها المعنية بمتابعة الزيارة .

ومن هنا تتأكد أهمية ما قاما به تجمع الرضوان في كربلاء ومركز كربلاء للدراسات والبحوث، من إطلاق مهمة البحث والدراسة في هذا الموضوع، من خلال تأسيس دائرة الابحاث في زيارة الاربعين وهي دراسات نأمل أن تكون بعيدة عن الروح التثقيفية أو الدعوية في هذه المرحلة من تجسد خطورة الموضوع ولاسيما أن عدد الزوار قد اجتاز ارقام مذهلة، قد تفوق تعداد دولة من الحجم المتوسط ، وأن حجم المصروفات ومتطلبات الخدمة باتت تكلف المليارات، الأمر الذي يعكس خطورة وأهمية الموضوع، نرجو من المولى تعالى أن يوفق الأخوة في هذا المشروع البحثي من القدرة على توفير الخدمة البحثية المرجوة في هذا المجال الحيوي واعداد الدراسات العملية التي من شأنها أن تجعل من هذا التجمع السنوي الهائل أكثر

كفاءة في ترسيخ قيم الاسلام العظيم، وقيم مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي من أجلها كانت التضحيات الجسيمة التي قدمها ابي الضيم، مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وفي ظروف حياتية أفضل للزائرين الكرام .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم .

أ- -

- ١ . ابراهيم الحيدري، تراجيديا كربلاء، سيسيولوجيا الخطاب الشيعي، دار الكتاب الاسلامي، ط ١ ٢٠٠٢م،
- ٢ . السيد ابو طالب الحسيني القائني، اللؤلؤة الغالية في اسرار الشهادة، دار اسوة، ط ١، ١٤٢٧ ، هجري .
- ٣ . د . أحمد القصير، منهجية علم الاجتماع بين الماركسية والوظيفية والبنوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١ ، القاهرة، ٢٠١٢م، .
- ٤ . البرت اشفيتسر، فلسفة الحضارة، ترجمة : د . عبد الرحمن بدوي، مراجعة : زكي نجيب محمود، المؤسسة المصرية للكتاب، ٩٦٦م.
- ٥ . إرنست غلينر، مجتمع مسلم، ترجمة : أبو بكر أحمد باقادر، مراجعة : رضوان السيد . دار المدار الاسلامي، ط ١، ٢٠٠٥ م
- ٦ . إدريس هاني ، خرائط أيديولوجية ممزقة، الانتشار الثقافي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦م .
- ٧ . إدريس هاني - الإسلام والحداثة - دار الهادي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م .
- ٨ . إدريس هاني - محنة التراث الاخر - دار الغدير ، ط ١ ، - بيروت .
- ٩ . السندرو دورانت، الانثروبولوجيا اللسانية، ترجمة : فرانك درويش، مراجعة : قاسم البرسيم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط ١ ، ٢٠١٣م.
- ١٠ . إدريس هاني ، المعرفة والاعتقاد ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، بيروت ، ط ١، ٢٠١٢ م .

١١. د . أنطوان بارا، الحسين في الفكر المسيحي، اصدارات العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ط ١ ، ٢٠١٢م.
١٢. آدم كوبر ، الثقافة : التفسير الأنثروبولوجي ، ترجمة : صباح صديق الدملوجي ، مراجعة : الأب بولس وهبه ، المنظمة العربية للترجمة، ط ١ ، ٢٠١٢ م .
- ١٣ . ألسندرو دورانتى، الانثروبولوجيا اللسانية، ترجمة : فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، ط ١، ٢٠١٣م،
- ١٤ . اندرو ادجار، وبيتر سيد جويك، موسوعة النظرية الثقافية، المفاهيم والمصطلحات الاساسية، ترجمة : هناء جوهرى، مراجعة : محمد جوهرى، المركز القومي للترجمة : العدد : ١٣٥٧، القاهرة، ٢٠٠٩م، ط ١
- ١٥ . د، امام عبد الفتاح امام، المنهج الجدلي عند هيجل، المكتبة الهيجلية، دار التنوير، ط ٣، بيروت، ٢٠٠٧ م
- ١٦ . اميتا اتزوني، وايفا اتزوني، التغير الاجتماعي، مصادره، نماذجه، نتائجه . ترجمة : محمد احمد حنونه، ومراجعة : عبد الكريم ناصيف، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، ط ١، ١٩٨٤ .
- ١٧ . ابن تيمية، منهاج السنة، تحقيق : محمد رشاد سالم، ج ٤.
- ١٨ . اللهوف لابن طاووس،، طبع النجف الاشرف.
- ب -
- ١٩ . براين تيرنر، علم الاجتماع والاسلام، دراسة نقدية لفكر ماكس فيبر، ترجمة : ابو بكر احمد باقادر، دار جداول، الكويت ، ط ١، ٢٠١٣ م .
- ت -
- ٢٠ ، تيم إدواردز ، النظرية الثقافية ، وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة ، ترجمة: أحمد عبد الله ، اصدارات : المركز القومي للترجمة ، العدد : ٢٠٠٨ ، القاهرة، ط ١ ، ٢٠١٢م . .

٢١ . ثامر عباس، الهوية الملتبسة، الشخصية العراقية واشكالية الوعي بالذات، مكتبة عدنان، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٢م .

-ج-

٢٢ . جون سكوت، جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ج٣، ترجمة : محمد جوهري، ومحمد يحيى، وهناء رشيد، ومحمود عبدالرشيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١١.

٢٣ . جاك هارمان، خطابات علم الاجتماع في النظرية الاجتماعية، تعريب : أ. د . العياشي عنصر، دار المسيرة، الاردن، ط١ ، ٢٠١٠م،

٢٤ . جوزيف فان أس، علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة، الجزء الاول، ترجمة : د. سألما صالح، منشورات الجمل، بغداد - بيروت، ط١ ، ٢٠٠٨م.

٢٥ . جيروم كيغان، الثقافات الثلاث، العلوم الطبيعية والاجتماعية والانسانيات في القرن العشرين، ترجمة : صديق محمد جوهري، عالم المعرفة، العدد : ٢٤٧٦، الكويت، ٢٠١٤م.

٢٦ . العلامة جعفر السبحاني، بحوث في الملل والنحل، ج٣.

-ح-

٢٧ . حسن آقا نظري ، التنظير في الاقتصاد الاسلامي - دراسة في امكانه ومنهجيته ، تعريب : حسين صافي ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢م .

٢٨ . د. حسن حنفي، الحركات الاسلامية في مصر، الهدى، المؤسسة الاسلامية للنشر، بيروت، ط١ ، ١٩٨٦،

٢٩ . حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، منشورات الاختلاف، والدار العربية للعلوم، ناشرون ، ط١ ، ٢٠٠٩م.

٣٠ . حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي .

-خ-

٣١ . د، خليل محمد حسن الشماع، و، د . خضير كاظم حمود، نظرية المنظمة، دار المسيرة، الاردن، ٢٠٠٧م . ط ٣، .

- د -

٣٢ - دنيس كوش ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، ترجمة : منير السعيداني ، مراجعة : الطاهر لبيب ، المنظمة العربية للترجمة، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .

٣٣ . ديبورا آموس، افول اهل السنة، ترجمة : محمد فاضل ، تقديم : د، رضوان السيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط ١، ٢٠١٤م

- ر -

٣٤ . ر . بودون وف . بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة : د. سليم حداد، دار مجد، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م،

-ز-

٣٥ . زكي الميلاد، المسألة الثقافية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت ، ط ٢، ٢٠١٠م .

-س-

٣٦ ، سعيد بن سعيد العلوي ، الخطاب الاشعري ، مساهمة في دراسة العقل الاسلامي، منتدى المعارف ، بيروت، ط ١ ، ٢٠١٠ م .

٣٧ . د . سالم يفوت، العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة، دار الطليعة، بيروت ، ط ١، ١٩٨٩م .

- ش -

٣٨ . الشهرستاني ، الملل والنحل، ج ١،

-ص-

- ط -

- ع -

٣٩ . د . عبد الرزاق بلعقروز، المعرفة والارتياح، منتدى المعارف، بيروت، ط ١، ٢٠١٣ م.

٤٠ . د . عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع، الاشكاليات، التقنيات، المقاربات، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧ م.

٤١ . علي عبد الواحد وافي مع نخبة من الباحثين، معجم العلوم الاجتماعية، مراجعة وتصدير : إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط ١، ١٩٨٥ م.

٤٢ . السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري (قد) - مواهب الرحمن، ج ٥ دار التفسير، قم المقدسة، ط ٢، ٢٠٠٧ م.

٤٣ . د. عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٧١

٤٤ . السيد عبد الحسين دستغيب، القصص العجيبة، دار البلاغة، بيروت، ط ٦، ٢٠٠٨ م.

٤٥ . د. عبد العزيز بو الشعير، النظام المعرفي في الفكرين الاسلامي والغربي، منتدى المعارف، بيروت، ط ١، ٢٠١٤ م.

- ف -

- غ -

٤٦ ، غالب الناصر ، : جدلية الواقع والمنهج وأثرها في تطور البحث الاقتصادي ، مركز الفكر الاسلامي المعاصر ط ١ ، النجف الاشرف . ٢٠١٢ .

٤٧ ، الدكتور كمال عبد اللطيف ، اسئلة الحداثة في الفكر العربي - من ادراك الفارق الى وعي الذات ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .

- ٤٨ . د . كريم موسى ، فلسفة العلم من العقلانية الى اللاعقلانية ، دار التنوير ،
الفارابي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢م .
- ٤٩ . كليفورد غيرتز ، تأويل الثقافات، ترجمة : محمد بدوي، مراجعة : الاب بولس
وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م .
- ٥٠ . د . كريستوف فولف، علم الأناسة : التاريخ والثقافة والفلسفة . ترجمة : د .
أبي يعرب المرزوقي، دار كلمة، ط١ ، ٢٠٠٩م .
- ل -
- م -
- ٥١ . المحقق الشيخ محمد السند، الشعائر الحسينية، بين الاصاله والتجديد، تقرير :
رياض الموسوي، ج١، دار الأميرة، بيروت ، ط١ ، ٢٠١١م .
- ٥٢ . : محمد نقي ال بحر العلوم، مقتل الامام الحسين أو واقعة الطف، المكتبة
الحيدرية، النجف ، ط٢ ، ٢٠٠٣،
- ٥٣ . محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار التعارف، بيروت، ط٢، ١٩٩٨ .
- ٥٤ . محمد جواد ابو القاسمي ، نظرية الثقافة ، ترجمة : حيدر نجف ، مركز
الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- ٥٥ ، - جمال الدين الافغاني، الرد على الدهريين، ترجمة : محد عبده، بلا تاريخ .
- ٥٦ . ميل تشيرتون، وآن براون ، علم الاجتماع : النظرية والمنهج، ترجمة : هناء
الجوهري، المركز القومي للترجمة، الاصدار : ٢٠٧٥، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م .
- ٥٧ ، د . محمد عابد الجابري ، نقد العقل العربي ٣ : العقل الاخلاقي العربي ،
مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢ ، ٢٠٠٦م .
- ٥٧ . السيد محمد حسين الطباطبائي ، رسالة التشيع ، ترجمة : جواد علي كسار ،
مؤسسة ام القرى ، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٤م .

- ٥٨ . د . معن خليل عمر، نحو علم اجتماع عربي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ١، ١٩٨٤ م .
- ٥٩ ، محمد أركون - تاريخية الفكر العربي الإسلامي - ترجمة : هاشم صالح - المركز الثقافي العربي، مركز الإنماء القومي - بيروت، ط ٣ - ١٩٩٨ .
- ٦٠ . - مالكولم رذر فورد، المؤسسات في علم الاقتصاد، المؤسسة القديمة والجديدة، ترجمة : نادر ادريس التل، دار الكتاب الحديث، عمان، ط ١، ٢٠٠٩،
- ٦١ ، د، مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت ، ط ١، ٢٠٠٥ .
- ٦٢ . د . محمد الشيخ، فلسفة الحداثة في فكر هيجل، الشبكة العربية الابحاث، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م،
- ٦٣ . محمد الخطيب، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار علاء الدين، دمشق، ط ١، ٢٠٠٨م،
- ٦٤ . محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي، دار الشؤون الثقافية العامة في العراق، بغداد، ط ١ ، ١٩٨٢ .
- ٦٥ . د. محمد حسين علي الصغير، الإمام الحسين، عملاق الفكر الثوري، دراسة في المنهج والمسار، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .
- ٦٧ . الاستاذ : مرتضى المطهري ، الملحمة الحسينية ، ج ٢ . بلا تاريخ .
- ٦٨ . البرفسور، محمود أيوب، الألم الخلاصي في الاسلام، ترجمة : د . أمير ججي الدومنيكي، المركز الاكاديمي للأبحاث، بيروت، ط ١، ٢٠١٣م، .
- ٦٩ . مرتضى فرج، خلفيات واقعة كربلاء، وشهادة الإمام الحسين بن علي [٢]، دار الانتشار العربي، بيروت، ط ١، ٢٠١١ م .
- ٧٠ . محسن باقر الموسوي، ثورة الامام الحسين [٢] دراسة في الجنور والتكوين، مؤسسة الفكر الاسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م .

-ن-

٧١ . نيكولاس لومان، مدخل الى نظرية الانساق، ترجمة : يوسف فهمي حجازي، منشورات الجمل، بيروت، ط١ ، ٢٠١٠ م.

- ه -

٧٢ . هومي، ك، بابا، موقع الثقافة، ترجمة : ثائر ديب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٦م.

٧٣ . هاينس هالم، الشيعة، ترجمة : محمود كبيبو، دار الوراق، بغداد، ط١ ، ٢٠١١ م.

٧٤ . هانس رايشينباخ ، نشأة الفلسفة العلمية ، ترجمة : د فؤاد زكريا ، دار الوفاء ، الاسكندرية. ط١ ١٩٧٧ .

٧٥ . هنس زندبلر ، المثالية الألمانية ، ترجمة : ابو يعرب المرزوقي ، فتحى المسكينى ، ناجي العوثلى ، الشبكة العربية للأبحاث ، بيروت، ط١ ، ٢٠١٢م.

- ي -

المصادر الانكليزية :

- ٧٦ - Milton Friedman : Essays in Positive economic ,Chicago , University of ,Chicago Press 1966A.

محتويات الكتاب

الباب الاول : المفهوم والمنهج والأنموذج	٢٥
الفصل الاول : في المفاهيم	٢٧
الفصل الثاني : الموضوع والمنهج العلمي :	٤٩
الفصل الثالث : في الأنموذج	٩٣
الباب الثاني : الأنموذج الثقافي والمجتمع الحسيني	١٣٥
الفصل الاول : الأنموذج الثقافي والمجتمع الحسيني : جذور تكوينية أولى	١٤٥
المبحث الاول : جذور فكرية وصراعات تكوينية أولى	١٤٦
المبحث الثاني : الحضور الاجتماعي النسوي في الثورة	١٧٦
المبحث الثالث : من الجذور الى التشكل (ولادة مجتمع وثقافة المقاومة)	١٨٦
الفصل الثاني : عناصر الأنموذج الثقافي الحسيني :	١٩٥
المبحث الاول : الرؤية الكونية	١٩٩
المبحث الثاني : الهوية	٢٠٨
المبحث الثالث : الذاكرة	٢١٤
المبحث الرابع : المحاكاة	٢٢٠

(٢٧٠)..... البناء الإجماعي والثقافة الحسينية

المبحث الخامس : الخطاب أو اللغة ٢٢٨

الفصل الثالث :المجتمع الحسيني : خصائص وسمات معاصرة، وآفاق مستقبلية: ٢٣٥

المصادر والمراجع ٢٦١

محتويات الكتاب: ٢٦٩

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٧٤٣) لسنة ٢٠١٤م

